اكتشف عطاء الله الكامل
لتسديد جميع احتياجاتك

الكفّــارة

موعدك مع الله

بقلم
ديريك برنس

اسم الكتاب : الكفّــــارة
المـؤلـف : ديريك برنس
الناشر : المؤسسة الدولية للخدمات الإعلامية ـ ت : ٦٩٠٧٧٥٢
الإنتاج : المؤسسة الدولية للخدمات الإعلامية ـ فاكس : ٦٩٠٧٧٥١
المطبعة : إم دى جرافكس
التجهيز الفنى: چى سى سنتر ـ ت : ٦٣٧٣٦٧٦
رقم الإيداع : ١٣٠٩٧ / ٢٠٠٦
الرقيم الدولى : 977-6194-02-3

VISION 4 MEDIA

البيانات المرسلة من دار الكتب

برنس ، دريك.
كتاب الكفارة / التأليف دريك
برنس. ـ ط ١ . ـ القاهرة:
المؤسسة الدولية للخدمات الإعلامية، [٢٠٠٦]
٢٠٨ ص ؛ ٢٤سم.
تدمك ٨ ٠٢ ٦١٩٤ ٩٧٧
١ـ المسيح (الكفارة)
أ . العنوان
٢٧٣,٢٣

الفهـــرس

مقدمــة ٥

الجــــزء الأول : الـصـلـيـب فـى المـركـز

الفصــــل الأول : ذبيحة واحدة كافية تماماً ٩

الـفـصـل الـثـانـى: تـام إلـى الأبـد ١٩

الفصل الثــالث : المبادلة الإلهية التى سبق الله وأعدها ٢٩

الجـزء الثانــى : المبادلات الإلهية التسع

الفصل الرابــع : الغفران والشـفـاء ٤١

الفصل الخامس : البر بدلاً عن الخطية ٥١

الفصل السادس : الحيـاة بـدل المـوت ٥٧

الفصل الســابع : البركة بدل اللعنة ٦٥

الفصل الثامــن : الفيض بدل الفقر ٨١

الفصل التاســع : المجد بـدل الخـزى ٨٩

الفصل العاشر : القبول بدل الرفض ٩٧
الفصل الحادى عشر :الإنسان الجديد بدل الإنسان العتيق ١٠٧

الجزء الثالث : جوانب التحرير الخمس

الفصل الثانى عشر :التحرير من الدهر الحاضر ١١٩
الفصل الثالث عشر :التحرر من الناموس والذات ١٢٧
الفصل الرابع عشر :التحرر من الجسد ١٣٩
الفصل الخامس عشر:التحرر من العالم ١٥١

الجزء الرابع : كيف ننال ما أعده الله لنا

الفصل السادس عشر: من الأمور الشرعية إلى الإختبارية ١٦٣
الفصل السابع عشر : مرشدنا الشخصى للخلاص الشامل ١٧٥
الفصل الثامن عشر: إمتلاك ميراثنا ١٨٧

المقدّمة

مكثت لمدة عام فى عدة مستشفيات عسكرية فى مصر فى حالة مرضية لم يكن لدى الأطباء أى علاج فعّال لها. كنت فى المكان الذى يذكره «يوحنا بنيان» (John Bunyan) فى كتابه «سياحة المسيحى» ويسميه مستنقع الاكتئاب، فى وادى اليأس والوحدة المظلم. ولم أجد أى طريق للخروج من هذه الحالة.

لاحقاً، وبدون بحث، زارنى ثلاثة أشخاص من المثير للدهشة أن يجتمعوا معاً: امرأة برتبة عميد فى جيش الخلاص فى السبعين من العمر، وجندى من نيوزيلندا، وامرأة شابّة من ولاية أوكلاهوما! وقد سمحت لى الممرضة أن أجلس معهم فى سيارتهم فى الجراچ.

عندما صلينا معاً فى السيّارة، أظهر الله حضوره بطريقة مثيرة، وخارقة للطبيعة. كانت السيّارة ثابتة على الأرض والمحرك مطفأ، لكن قوّة الله بدأت تهز السيّارة كلها وتهزّنا نحن الأربعة الجالسين فيها. وبينما الاهتزاز مستمر، تكلّم الله من خلال شفتى المرأة الشابّة القادمة من أوكلاهوما. وبعد أن أعلن عن نفسه، أنه الإله كلّى القدرة، وجّهنى بوضوح بالكلمات التالية: «تأمّل فى عمل الجلجثة، إنه العمل الكامل، التام من جميع الجوانب، التام على جميع الأوجه». خرجت من السيّارة حينها مريضاً كما دخلت، لكنى أدركت أن الله قد وجهنى إلى مصدر تسديده الكامل لكل احتياجاتى: «**عمل الفداء على الجلجثة**» وفهمت أن هذه الكلمات تصف ذبيحة المسيح على الصليب؛ صليب الجلجثة.

وخلال تأملى الطويل فى هذا الأمر وبتوجيه الرب لى وخضوعى لتوجيهاته لى من خلال كلمته، نلت الشفاء الكامل والدائم.

جميع الشواهد الكتابية مأخوذة من ترجمة بستانى ـ فاندايك إلا إذا أُشير إلى غير ذلك.

لكن كان هذا فقط الجزء الأول من البركات التى نلتها، ففى الستّين سنة اللاحقة، واصلت اتّباع توجيه الرب لى أثناء ذلك الاهتزاز الخارق للطبيعة فى تلك السّيارة: «**تأمّل فى عمل الجلجثة**». اكتشفت أن الله قد وضع رجلى على الطريق المؤدى إلى:

«**غنى المسيح الذى لا يستقصى**» وإلى:

«**شركة السّر المكتوم منذ الدهور فى الله خالق الجميع بالرب يسوع المسيح**» (أفسس ٣: ٨ ـ ٩).

سأتحدث فى هذا الكتاب عن تسديد الله المذهل وغير المحدود لجميع الإحتياجات التى قد تظهر فى حياة أى إنسان، وذلك من خلال صليب الرب يسوع. **وجوهر هذا الاكتشاف أنه فى الصليب حصلت مبادلة إلهيّة مميّزة حيث وُضع كل الشر الناتج عن آثامنا على الرب يسوع، وفى المقابل أصبح كل الخير الناتج عن برّه التام مُتاحاً لنا.**

ينقسم هذا الكتاب إلى أربع أجزاء رئيسية:

- **الصليب فى المركز**
- **المبادلات التسع**
- **خمسة جوانب للتحرير**
- **كيف أنال ما أعدّه الله لى**

انضم إلىَّ إذاً بينما نمضى فى هذه الرحلة المثيرة!

ديريك برنس

الجزء الأول

الصليب في المركز

الفصل الأول

ذبيحة واحدة كافية تماماً

يتناول هذا الكتاب موضوعاً واحداً وهو «**الكفَّارة**»، وهى كلمة نادرة الاستخدام نسبياً فى اللغات المعاصرة، وكثير من الأشخاص لا يعرفون حتى معنى هذه الكلمة. إنَّ المعنى الذى تعنيه كلمة كفارة فى الحقيقة هو أن الله يقيم مع الخاطئ علاقة تجعلهما واحد. والكلمة البديلة الأكثر شيوعاً اليوم هى «المصالحة»، فعمل الصليب هو الطريق إلى مصالحة الله القدّوس بالإنسان الخاطئ. وهناك فرق هام وجوهرى بين كلمة «**كفَّارة**» المترجمة من العبريّة التى كتب بها العهد القديم، وكلمة «**كفَّارة**» المترجمة من اليونانية التى كتب بها العهد الجديد.

فى اللغة العبرية الكلمة هى «**كيبّور**» وتعنى «التغطية»، فيوم **الكفَّارة** كان هو يوم التغطية. كانت الذبائح المُقدّمة فى ذلك اليوم تُغطِّى خطايا الشعب، ولكن فقط لسنة واحدة. وفى السنة التالية فى نفس الوقت، كان يجب أن تُغطَّى خطاياهم مرّه أخرى. فلم تكن الذبائح المُقدّمة فى ذلك اليوم تقدّم حلاً دائما لمشكلة الخطيةً، ولكنها كانت تقدّم حلاً مُؤقتاً، فتغطية الخطايا فى يوم الكفَّارة لا يكفى لأكثر من سنة واحدة، ويجب إعادة الكرّة مرّة تلو الأخرى.

إلا أن صورة الكفَّارة فى العهد الجديد مختلفة عن هذا تماما. نرى هذا الفرق حين نقارن ما جاء فى الفقرتين التاليتين من الرسالة إلى العبرانيين؛ وهى الرسالة التى تركّز أكثر من غيرها، على الرب يسوع بصفته كاهننا الأعظم وعلى ذبيحته التى قدّمها بدلاً عنا.

تتحدث (عبرانيين ١٠ : ٣ـ٤) عن ذبائح العهد القديم التى: «**فيها كل سنة ذكر خطايا**» فلم تكن هذه الذبائح تبطل أو ترفع خطيّة، ولكنها كانت تذكّر الشعب أن مشكلة

الخطية مازالت قائمة، لأنه «**لا يمكن أن دم ثيران وتيوس يرفع خطايا**» ، فالقضية المركزية هنا هى فى رفع الخطايا، وليس تغطيتها فحسب.

وفى المقابل فى (عبرانيين ٩ : ٢٦) يتكلم الكاتب عن ما تم تحقيقه بموت الرب يسوع، فى مقارنة مباشرة مع ذبائح العهد القديم. يقول الجزء الثانى من الآية عن الرب يسوع:
«**ولكنه الآن قد ظهر مرّة عند انقضاء الدهور ليبطل الخطيّة بذبيحة نفسه**» .

لذلك، عندما أتى الرب يسوع وقدّم نفسه ذبيحة على الصليب، رَفَعَ الخطيّة. وهذا العمل مضاد تماماً لذبائح العهد القديم، التى لا يزيد عملها عن تذكير الشعب أن خطاياهم باقية، وأن الذبيحة لم تقدّم أكثر من غطاء لمدّة سنة واحدة فقط.

ولهذا عندما قدّم يوحنا المعمدان الرب يسوع فى (يوحنا ١ : ٢٩) قال: «**هُوذا حمل الله الذى يرفع خطيّة العالم !**» فلنلاحظ مرّة أخرى الفرق بين الرب يسوع وذبائح العهد القديم. الرب يسوع رَفَعَ الخطيّة، ولهذا كل الذين قبلوا ذبيحته، لا يلزمهم بعد تقديم ذبائح عن الخطايا.

ما يقوله الكتاب المقدّس عن مشكلتنا :

قبل أن أصبح واعظاً، كنت أُستاذاً للفلسفة فى جامعة كامبريدج فى إنجلترا. وكفيلسوف قررت فى أحد الأيام أن أدرس الكتاب المقدّس، معتبراً هذا واجباً علىَّ بحكم تخصصى فى الفلسفة. كنت أعتقد أنّى حين أنهى دراسته سأكون قادراً على إعلان رأيى القاطع فيه. لكن وأثناء دراستى للكتاب المقدّس، قبلت الرب يسوع بطريقة مثيرة وقوية وشخصيّة. ومنذ ذلك الوقت حتى الآن آمنت بحقيقتين ولم أشك فيهما قط: **الأولى: أن الرب يسوع حى ، والثانية: أن الكتاب المقدّس صادق، ويمكن الاعتماد عليه فى كل الأزمنة.**

عندما بدأت أقدّر قيمة الكتاب المقدّس، أدركت أن ما يقدّمه لا يمكن أن يوجد فى أى عمل من أعمال الحكمة البشريّة، أو المؤلفات الأدبية، فالكتاب المقدّس يعلن بشكل خاص موضوعين فى غاية الأهميّة وهما: التشخيص لمشكلة الإنسان، والعلاج لهذه المشكلة.

التشخيص: الخطيّة

فى عالم الطب، إذا لم يتمكن الطبيب من تشخيص حالة ما، فلا يقدر عادةً على تحديد نوع العلاج. ولأن مشكلة الإنسان هى موضوع فى غاية الأهمية، فإن الكتاب المقدّس يشخصها فى كلمة واحدة هى «الخطيّة»، فلم يوجد حتى الآن أى كتاب آخر قام بتشخيص مشكلة الخطيّة إلا الكتاب المقدّس، وبعض الكتب المستمدة منه. لم يستطع أى من الفلاسفة تشخيص هذه الحالة. إنه موضوع يتفرد فيه الكتاب المقدّس، وإن لم يقدم لنا الكتاب المقدس أى شئ آخر فيجب إن نبقى ممتنين إلى الأبد لهذا التشخيص الدقيق لحالة الإنسان. ولكن شكراً لله، فالكتاب المقدّس لا يقدّم فقط التشخيص ولكنه يقدّم العلاج أيضاً، ألا وهو الكفَّارة.

سنتناول فى هذا الكتاب مشكلة الإنسانية الأساسية التى هى الخطيّة. سيشمل بحثنا الخطيّة كمشكلة جوهرية، و أيضاً الخطيّة كمشكلة شخصية يعانى منها كل منا على حدى، سواء أدركناها أم لا. قد ندعوها بعدة أسماء، وبعض من يسميهم الناس «علماء» فى العالم اليوم يضعون لها تفسيرات وهمية، وأسماء معقّدة، لكن أساس المشكلة الإنسانية يبقى كما هو: الخطيّة، ولن يتمكن أى شخص من التعامل مع مشاكله بطريقة فعّالة، حتى يواجه أساس المشكلة الحقيقى فى الحياة، ألا وهو الخطيّة.

يقدم الكتاب المقدّس تعريف الخطيّة فى (رومية ٣: ٢٣) فيقول: «**الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله**» . إن جوهر الخطيّة سلبى أكثر منه إيجابى، فالخطيّة ليست بالضرورة ارتكاب جرائم رهيبة، بل هى إخفاقنا فى أن نعطى الله مكانته المناسبة فى حياتنا، وقيادتنا لحياتنا بأنفسنا، غير مقدمين لله المجد الذى تدين له به كل الخليقة.

العلاج: الصليب

لكن شكراً لله، فالكتاب المقدّس لا يشخص حالتنا فقط، بل أيضاً يقدّم لنا علاج الله الكامل وهو «الصليب».

عندما أتحدث عن الصليب، فأنا لا أعنى تلك القطعة من المعدن أو الخشب التى يعلقها الناس حول رقابهم، أو التى يضعونها على جدران الكنيسة، مع أنى لست ضد هذا. عندما أشير إلى

الصليب، فأنا أتكلّم عن الذبيحة التى قدّمها الرب يسوع بدلاً عنا. أغلب المؤمنين لا يدركون تماماً أن ما جرى على الصليب هو ذبيحة، ولنبرهن على هذا، سنتأمل فى ثلاث عبارات من الرسالة إلى العبرانيين، كلها تؤكد أن الصليب ذبيحة.

تتحدث (عبرانيين ٧ : ٢٧) عن الرب يسوع، بالمقارنة مع كهنة العهد القديم فتقول:

«الذى ليس له اضطرار كل يوم مثل رؤساء الكهنة أن يقدّم ذبائح أولاً عن نفسه ثم عن خطايا الشعب، لأنه فعل هذا مرّة واحدة، إذ قدّم نفسه».

تشيركلمة «يقدم» إلى ما كان يفعله الكهنة عند تقديمهم الذبائح، وفى المقابل قدّم الرب يسوع نفسه على الصليب. وبكلمات أخرى، كان الرب يسوع نفسه الكاهن والذبيحة، وككاهن قدّم الرب يسوع ذبيحة، ولكن هو نفسه كان الذبيحة، الضحيّة، أى أنه قد قدّم نفسه. وتوجد فقط كاهن واحد صالح يستطيع تقديم الذبيحة لله، وتوجد فقط ذبيحة واحدة مقبولة لدى الله. مرّة أخرى فى (عبرانيين ٩ : ١٣ـ١٤) نرى المقارنة المباشرة مع العهد القديم:

«لأنه إن كان دمُ ثيرانٍ وتيوسٍ ورمادُ عجلةٍ مرشوشٌ على المُنجَّسين يُقدّسُ إلى طهارةِ الجسدِ، فكم بالحرىِّ يكون دم المسيح الذى بروح أزلى قدّم نفسه بلا عيب يطهّر ضمائركم من أعمال ميتة لتخدموا الله الحى».

لنلاحظ أن الرب يسوع **«بروح أزلى قدّم نفسه لله بلا عيب»**. وهذا يشير إلى الروح القدس، الذى كان له دوراً جوهرياً فى هذه الذبيحة. فى الحقيقة نكتشف أن أقانيم• اللاهوت تشترك بشكل مباشر فى جميع المراحل الأساسية فى عملية الفداء، ويمكن توضيح أدوار الأقانيم الثلاثة فى المراحل المتتالية بالنقاط التالية:

• أقانيم: جمع كلمة «أُقنوم» وهى كلمة سريانية الأصل معناها «شخص» لكن فى حالة ارتباط حتمى بآخر، أى لا معنى لهذه الكلمة ولا وجود للفظها إلا بوجود طرف آخر واحد على الأقل. مثال ذلك الكلمة «توأم» فى العربية، لا معنى لها ولا حاجة للفظها إن لم يكن هناك طرف آخر واحد على الأقل يحقق علاقة التوأمة. لذلك استُخدمت هذه الكلمة فى اللغة العربية للإشارة إلى الترابط الأزلى الحتمى فى الثالوث الأقدس: أقنوم الآب، وأقنوم الابن، وأقنوم الروح القدس: الله الواحد.

١ . **التجسد**: جسّد الآب الابن فى رحم مريم العذراء بالروح القدس (انظر لوقا ١ : ٣٥) .

٢ . **المعموديّة فى نهر الأردن**: حل الروح القدس على الابن، وتكلم الآب من السماء عن سروره بالابن (انظر متّى ٣ : ١٤ـ١٧) .

٣ . **خدمة الرب يسوع العلنية**: مسح الآب الابن بالروح القدس (انظر أعمال ١٠ : ٣٨) .

٤ . **الصلب**: قدّم الرب يسوع نفسه للآب بالروح القدس (انظر عبرانيين ٩ : ١٤) .

٥ . **القيامة**: أقام الآب الابن بالروح القدس (انظر أعمال ٢ : ٢٣ ، رومية ١ : ٤)

٦ . **يوم الخمسين**: أخذ الإبن الروح القدس من الآب ثم سكبه على تلاميذه (انظر أعمال ٢ : ٣٣) .

و قد كان كل أقنوم فى اللاهوت غيوراً ـ إن جاز التعبير ـ ليشارك فى عملية فداء البشر.

سيكون تركيزنا فى الوقت الحاضر على الصليب وعلى الرب يسوع ككاهن وكذبيحة. قدّم الابن نفسه للآب بروح أزلى، بلا عيب ولا دنس، فقد كان الرب يسوع نقيّاً بالكامل، وكان هو الذبيحة الوحيدة المقبولة لأنه الوحيد الذى بلا خطيّة.

إعادة الصليب إلى مكانته فى المركز:

تصف لنا الكلمة «أزلى» (عبرانيين ٩ : ١٤) أمراً يتجاوز حدود الزمن. لقد كان ما حدث على الصليب حقيقة تاريخية، لكن أهميتها تتجاوز الزمن، ففى تلك الذبيحة أخذ الرب يسوع على نفسه خطايا جميع الناس فى جميع العصور، الماضية والحاضرة والمستقبلة. ويصعب على عقولنا المحدودة إدراك كل ما أنجز فى تلك الذبيحة الواحدة، فجميع خطاياك وخطاياى وخطايا جميع الناس الذين عاشوا حتى الآن، وحتى جميع الذين لم يولدوا بعد، جاءت على الرب يسوع بواسطة الروح الأزلى. لقد أخذ الرب يسوع على نفسه جميع الخطايا التى تخص الجنس البشرى.

إنه أمر فى غاية الأهمية أن ندرك هذا، وأن نعيد الصليب إلى مكانته المناسبة فى تفكيرنا كمؤمنين. قبل عدة سنوات كنت بصحبة شخص مسيحى مؤمن مساعد لى فى سنغافورة.

وفى سياق الحديث علق قائلا: «أصبح لدى الكنيسة كثير من الموضوعات لتعرضها واجهات مكتباتها، لدرجة أن الصليب لم يعد ملحوظاً بينها».

اعلم الآن أن صديقى وضع أصبعه على خلل رئيسى فى الكنيسة المعاصرة. اليوم تستطيع الذهاب إلى المكتبات المسيحية لتجد كتباً عن أى موضوع تقريباً، «كيف تحصل على زواجاً أفضل»، «كيف تربى أطفالك تربية مسيحية»، «كيف تفهم جوانب شخصيتك»، «كيف تحافظ على بيتك»، وتقريباً لا يوجد حد لعدد الموضوعات، وكثيرٌ من هذه الموضوعات جدير بالاهتمام، ولكن لن يكون أى منها فعالاً بدون الصليب. الصليب هو المصدر الوحيد للنعمة والقوّة، الذى يجعل أى نصيحة أخرى نافعة. حان الوقت للكنيسة لتضع الصليب مرّة أخرى فى الصدارة بين الموضوعات التى تعرضها فى المقدمة.

قال الله لبنى إسرائيل قبل دخولهم أرض الموعد أن لا يضعوا حول المذبح الذى سيبنوه أى أدوات، وأعطى الله لهم فى (خروج ٢٠ : ٢٤-٢٥) تعليمات محددة عن نوع المذبح الذى يطلبه ليقدّموا عليه ذبائحهم: «**مذبحاً من تراب تصنع لى ... وإن صنعت لى مذبحاً من حجارة فلا تبنه منها منحوتة، إذا رفعت عليها إزميلك تدنسها**».

كان المذبح يصنع من المواد كما هى فى الطبيعة، فلا يتم تعديلها من قبل الإنسان، بل تُبنى من التراب، أو من الحجارة غير المنحوتة، وأى شىء تضيفه يد الإنسان إلى هذه المواد يدنّس المذبح.

وفوق ذلك يحذّر الرب شعبه فى (تثنية ١٦ : ٢١):

«**لا تنصب لنفسك سارية من شجرة ما بجانب مذبح الرب إلهك الذى تصنعه لك**».

لا شىء على الإطلاق يمكن أن يحوّل انتباه بنى إسرائيل عن المذبح حيث يقدّمون

ذبائحهم للرَب. لا مكان لأى شيء من فن الإنسان أو إبداعه. لا شيء يشغل الشعب عن البساطة والصلابة التامة التى للمذبح. وهذا درس لنا أيضاً، فلا يجب أن نضع أى شئ بجانب الصليب، ولا نضع عليه أو أمامه ما يمكن أن يجعله غير واضح، فالصليب أمر متقن كما كان صلب المسيح مشهداً متقناً ورهيباً.

أنا أشك فى وجود أى عمل فنى استطاع تصوير ما حدث عند موت الرب يسوع على الصليب بشكل وافٍ. لو نجح العمل الفنى فى ذلك، لما استطعنا أن نمنع عيوننا عن النظر إليه، ولكن مازال الصليب حتى الآن مركز إيماننا، والأمر الذى تنفرد به المسيحية. لا توجد أى ديانة أخرى ـ لا البوذية ولا الهندوسية ولا أى نظام دينى آخر على الإطلاق ـ تمتلك أى شيء يُضاهى بالصليب أو يشبهه ولو من بعيد.

وفوق ذلك فالصليب يثبت الإيمان المسيحى ويربطه بالتاريخ، بينما تلقَى أنبياءٌ وفلاسفةٌ نظرياتهم فى ظروف معزولة؛ فى مغارة مهجورة أو فى رؤيا غامضة لا ترتبط بظرف محدد أو سلسلة حوادث تاريخية مشهود لها، حتى تكون موضع تأمل وبحث. أما رسالة الصليب فهى ترتبط بحدث محدد فى تاريخ البشرية، فإما أن يكون حدث أو لم يحدث، إما أنه حقيقى أو كاذب، لا يوجد احتمال ثالث. وإن كان هذا حقيقياً، فلابد أن يكون هو الحدث الأكثر أهمية فى تاريخ الإنسانية.

عندما واجهت الحقائق المركزية فى بشارة الإنجيل قبل عدة عقود، ثم اكتشفت أن الرب يسوع حى الآن فى وقتنا هذا، استنتجت أن حقيقة وجود رجل مات بالفعل وقام من الموت ومازال حياً حتى هذا اليوم، هو الحدث الأوحد والأهم فى تاريخ البشرية، ولا يوجد أمرٌ آخر يمكن مقارنته به.

إذا لم نضع الصليب فى مكانه المناسب فى مركز حياتنا، فسيفقد إيماننا معناه وقوته، وسننتهى إما بقائمة كبيرة من المبادئ الأخلاقية أو بمقياس للسلوكيات لن نتمكن من تحقيقه، فلن يستطيع أحد تنفيذ تعاليم الرب يسوع فى الموعظة على الجبل دون وجود قوة الصليب فى حياته.

منذ عدة سنين وأنا أصلى لكى يمكّن الله الكنيسة أن تعيد الصليب إلى مكانه المناسب. وأنا أثق أن هذه الدراسة عن موضوع الكفّارة والمبادلة الإلهية التى حصلت كنتيجة لها، ستكون جزءاً من استجابة الله لصلاتى.

الموضوعات التى يتضمنها الصليب:

لنقم بالاختبار الشخصى التالى فى (١كورنثوس ١ : ٢٣) يقول بولس الرسول: «**نحن نكرز بالمسيح مصلوباً**». اسمح لى أن أسألك هذا السؤال: فى عملك كواعظ أو كمعلم أو كمرشد أو خادم فى أى من خِدمات الكنيسة، هل تكرز بالمسيح مصلوباً؟ إن كان الجواب «لا»، فحتى لو ظهر وعظك وتعليمك أو إرشادك جيداً، فعلى المدى الطويل سوف لن يحقق شيئاً، فالمصدر الوحيد للقوّة هو الصليب.

وفى (١كورنثوس ١ : ٢٥) يقول بولس الرسول إن «**جهالة الله أحكم من الناس، وضعف الله أقوى من الناس**». الصليب هو جهالة وضعف الله! هل يمكن أن يبدو شىء أشد جهالة من أن يسمح الله لابنه أن يُصلب على يد الخطاة؟ أيوجد أضعف من مشهد رجل معلق على صليب، جسده ممزق نازف، وهو يموت تحت وطأة الألم الشديد؟ لكن يقول بولس ضعف الله أقوى من الناس، وجهالة الله أحكم من الناس! فالمصدر الحقيقى للقوّة والحكمة للمؤمن المسيحى هو الصليب، فقد نمتلك الكثير من الفضائل والنوايا الطيبة، ومجموعة كبيرة من العظات الجميلة، ولكن كل هذا بدون الصليب لن يجلب أى نتائج ذات أهمية.

تأمل (عبرانيين ١٠ : ١٤): «**لأنه بقربان واحد قد أكمل إلى الأبد المقدّسين**».

لقد أكمل بالفعل إلى الأبد. يظهر الفعل «أكمل» فى النص اليونانى باستخدام الزمن الماضى التام. فقد قُدّمت هذه الذبيحة مرّة واحدة فقط، ولن تتكرر أبدا. هى ذبيحة كاملة، وستكُمِّل إلى التمام جميع الذين يؤمنون بها. ما عمله الرب يسوع وتأثيره فينا كامل وتام ودائم، ولا يوجد أى نقص فيه، ولا حاجة أبداً لإضافة أى شىء إليه. فما عمله الله كامل

وتام ونهائى، ولن تكون هناك أبداً أى حاجة لتغييره أو تعديله، ولكن يجب أن يكون نوالنا وامتلاكنا لهذا العمل مستمر أيضاً. فمن المهم أن ندرك هذا، خصوصاً مع استمرارنا فى التأكيد على كمال وتمام هذا العمل.

قد تقول فى نفسك: «أنا لا أمتلك هذا النوع من الكمال أو القداسة». فى الحقيقة، لا أحد فينا يمتلك هذا الكمال أو القداسة. لقد درست وعلّمت حول هذا الموضوع لمدة تزيد عن الخمسين عاماً، لكننى مازلت أتقدّس، فالتقديس عملية متواصلة يومياً. نحن نقترب أكثر وأكثر إلى الله، و بذلك نبتعد أكثر وأكثر عن الخطيّة وعن العالم، فنأخذ أكثر وأكثر من الله لأنفسنا، وهذا ما يعمله إعلان الصليب لنا و فينا.

سنتناول فى الفصول التالية، ثلاثة أسئلة قصيرة نادراً ما يطرحها أحد:

- **ماذا يفعل الصليب لنا؟**
- **ماذا يجب أن يفعل الصليب فينا؟**
- **كيف ننال عملياً ما سبق الله وأعدّه لنا من خلال الصليب؟**

هذه الأسئلة لا تطرح فى العادة، ولكن إجاباتها ستعطيك عمقاً جديداً من التقديس لم تحصل عليه من قبل، فمن خلال ذبيحة الرب يسوع على الصليب نستطيع أن ندرك كامل ما يتيحه الله لنا. إن محاولة البحث عن عطايا الله بأى طرق أخرى هو إهمال للصليب، وهذا شىء فى غاية الخطورة. ستكون الدراسة القادمة مطولة وشاقة، لكن إذا ثابرت، فإنها ستنعشك وتشجعك كثيراً.

الفصل الثانى

تام إلى الأبد

أوضحت فى الفصل السابق أن موت الرب يسوع على الصليب كان ذبيحة عن خطايانا، وأن الرب يسوع كرئيس كهنة، قدّم نفسه ذبيحة لله من خلال الروح القدّس، وبذبيحة نفسه هذه رَفَعَ الخطيّة إلى الأبد.

ذكرت أيضاً أنى أتيت إلى الرب من خلفية لا تعرف تعاليم الإنجيل ولاحقيقة الخلاص، ولم يتعامل الرب معى من خلال قواعد عقلية، لكنه ألقى بى ببساطة فى بحيرة عميقة وقال لى «اسبح». تعمدت فى الروح القدس قبل أن أعرف بوجود المعمودية فى الروح، وقبل أن يتمكن أى شخص من «تحذيرى» منها! وقادنى هذا لدراسة الكتاب المقدّس، ولدهشتى اكتشفت أن الأمر صحيح ومناسب وصالح لكل زمان. وكان على أن أبحث بشكل مستمر فى النصوص الكتابية عن تفسيرات للأحداث التى كانت تحدث فى حياتى.

كل هذا كان يحدث معى أثناء خدمتى كجندى فى الجيش البريطانى أثناء الحرب العالمية الثانية، فى بريطانيا. وبعد فترة قصيرة من الخدمة فى الجيش، أُرسلت الوحدة التى كنت أعمل فيها إلى الشرق الأوسط، حيث قضيت ثلاث سنوات أخدم فى مستشفى ميدانى فى صحراء مصر وليبيا.

بقيت مع هذه الوحدة العسكرية أثناء معركة «العلمين العظمى»•، وبعد المعركة ظهر على يدىَّ ورجلىَّ مرض جلدى. سمّى الأطباء حالتى بأسماء مختلفة، وكل اسم أطول من الآخر! ولكن لم يتمكن الأطباء من علاج حالتى. ولأنى لم أعد قادراً على لبس الحذاء

• «العلمين» من أهم معارك الحرب العالمية الثانية. انتصر فيها الحلفاء بقيادة بريطانيا على إيطاليا وألمانيا عام ١٩٤٢ فى مدينة العلمين فى مصر.

العسكرى، كان يجب أن أترك وحدتى، وأمضيت سنة كاملة فى عدة مستشفيات عسكرية فى مصر. ولم أكن لأرغب فى قضاء سنة كاملة فى مستشفى عسكرى، فى أى مكان كان، ولكن لو اضطررت إلى ذلك فلن يكون المستشفى العسكرى ضمن قائمة اختياراتى!

مرت أسابيع وأنا مُلقىً على سريرى فى المستشفى. كنت أعلم أننى مؤمن مُخلَّص، وأننى قبلت الروح القدس، وأؤمن أن الكتاب المقدّس صحيح بكل تأكيد. كان هذا كل ما توصلت إليه، فلم يكن لدى أى تعليم أخر. لكن الله تولّى هذه المهمة بنفسه وأعطانى تعليمه. كنت اضطجع ليلة بعد أخرى على السرير وأنا أقول لنفسى: «لو كان لدى إيمان، لكان الله قد شفانى». الشىء الآخر الذى كنت أقوله: «ولكن ليس لدى إيمان» وجدت نفسى فى المكان الذى يذكره يوحنا بنيان فى كتابه «سياحة المسيحى» ويسميه «مستنقع الاكتئاب»، فى وادى اليأس المظلم.

أنا أروى كل هذا لكى تدرك أن قوّة الصليب ليست مجرد نظرية ولا هى منهج لاهوتى، إنها حقيقة اختبارية موثوقة، وهى تنجح دائماً.

بينما أنا مستلقٍ فى السرير فى كآبة وظلمة، وقع بين يدى كتاب صغير بعنوان «شفاءٌ من السماء»، (Healing from heaven) لكاتبة طبيبة، اسمها ليليان يومانس (Lillian Yeomans) كانت تعانى من مرض عضال، أدى بها إلى إدمان المورفين، ولكن بالإيمان بالرّب، والإيمان برسالة الإنجيل، تحررت بشكل مدهش. وكرست هذه السيدة التقية حياتها لتكرز ببشارة الإنجيل وتعلم عن الشفاء.

ظهر أمامى فى الكتاب الذى كنت أقراه هذه الجملة، وهى اقتباس مباشر من الكتاب المقدّس، وقد غيرت حياتى تماماً. العبارة مقتبسة من (رومية ١٠ : ١٧): «**فالإيمان إذاً من السماع، والسماع بكلمة الله**» (الترجمة الكاثوليكية).

حين قرأت هذه العبارة اخترق ظلمتى شعاع من ضوء لامع، وقد تمسّكت بكلمتين من هذه العبارة: «الإيمان... من»... إن لم يكن لديك إيمان، يمكنك الحصول عليه،. كيف؟ بالسماع، سماع ماذا؟ سماع ما يقوله الله فى كلمته.

قررت حينها أن أسمع ما يقوله الله، فحصلت لنفسى على قلم أزرق، وبدأت أقرأ الكتاب المقدّس بأكمله، كنت أُعلّم باللون الأزرق على كل شيء يتعلق بالموضوعات الأربعة التالية: الشفاء، الصحة، القوّة الجسدية، والحياة الطويلة. كلفنى إنجاز ذلك عدة شهور. وعلى أية حال، لم يكن لدى شيء آخر لأفعله! وأقنعتنى نصوص الكتاب المقدّس أن الله قدّم لنا الشفاء من خلال ذبيحة الرب يسوع المسيح.

وحتى ذلك الوقت، لم أكن أعرف عملياً، كيف أحصل على هذا الشفاء أو أمسك به.

كلمة إرشاد :

نُقلت أثناء مرحلة العلاج إلى مستشفى فى مكان يدعى «البلاح» على قناة السويس حيث قابلت سيدة متميزة من القاهرة، السيدة روز،وهى برتبة عميد فى جيش الخلاص، وهى رتبة زوجها قبل أن يموت. وهذا عُرف لدى جيش الخلاص أن تتقلد الزوجة مكان ورتبة زوجها. كانت السيدة روز تتميز بكونها من القليلين فى الأربعينات من القرن العشرين والقليلين فى جيش الخلاص ممن يتكلمون بألسنة، وكانت تحارب بشدة دفاعاً عن إيمانها بخصوص التكلّم بألسنة، تماماً مثلما كان أعضاء جيش الخلاص يحاربون دفاعا عن رسالة الخلاص.

عانت السيدة روز من مرض الملاريا المزمن لمدة عشرين سنة وهى تخدم كمرسلة فى الهند، لكنها وثقت بالإنجيل وقبلت الشفاء الكامل من الملاريا، ولم تأخذ منذ ذلك الحين أى جرعة دواء.

حين علمت السيدة روز بوجود جندى مسيحى يحتاج إلى الشفاء، تحملت كل عناء الرحلة الصعبة لتأتى لزيارتى. حصلت السيدة روز فى القاهرة على سيّارة بريطانية صغيرة ذات أربعة مقاعد، وكان يرافقها جندى نيوزيلاندى يقود السيّارة وسيدة شابة تعمل كمساعدة فى الخدمة من أوكلاهوما. هؤلاء الثلاثة أتوا إلى المستشفى. سارت السيدة روز باتجاه غرفة

الممرضة فى المستشفى، وهى تلبس زيها العسكرى الكامل، الأمر الذى أرهب الممرضة. وتمكنت السيدة روز من الحصول على إذن لى للخروج والجلوس معهم فى السيّارة للصلاة، وذلك دون حتى استشارتى!

وجدت نفسى جالساً فى الكرسى الخلفى فى تلك السيّارة الصغيرة، وأمامى السيدة روز والجندى النيوزيلاندى، وبجانبى تلك الأخت من أوكلاهوما. ابتدأنا بالصلاة، وبعد بضع دقائق أخذت هذه الشابة الأمريكية بجانبى تتكلم بألسنة بطلاقة وقوّة، وحلت قوّة الله عليها فابتدأ جسدها يهتز، وأنا نفسى حينها بدأت أهتز، وكذلك الجميع، وأخيراً إهتزت السيّارة كلها رغم أن المحرك كان مطفأً. ابتدأت السيارة بالاهتزاز، وكأنها تسير بسرعة مئة كيلومتر على طريق وعر.

كنت أعلم أن الله يعمل هذا من أجل فائدتى.

ثم قامت السيدة بترجمة ما سبق أن قالته فى صلاتها بألسنة غير مفهومة، إلى اللغة الإنجليزية.

عندما تقارن بين أستاذاً أو فيلسوفاً بريطانياً (أو طالباً من طلاب شكسبير الذين يُقدّرون اللغة الإنجليزية المستخدمة فى عصر الملكة أليزابيث، أو فى ترجمة الملك جيمس للكتاب المقدّس) مع سيدة من أوكلاهوما، فستصل بالتأكيد إلى اصطدام للثقافات واللغة! لكن ما أذهلنى أن ما قالته هذه السيدة وهى تترجم الألسنة غير المعروفة التى سبق وقالتها، كان بلغة إنجليزية بليغة، مستخدمة لغة عصر الملكة أليزابيث. لا أذكر كل ما قالته، لكن مقطعاً محدداً مازال عالقاً فى ذهنى كما كان فى عام ١٩٤٣:

"Consider the work of Calvary: a perfect work, perfect in every respect, perfect in every aspect".

ويمكن أن يترجم هكذا: «تأمل عمل الجلجثة.انه العمل التام، التام من جميع الجوانب والتام فى جميع الأوجه».

لو سمعت ما قالته لوافقتنى الرأى. كانت إنجليزيتها ممتازة بالفعل، وقد قدّرت ما سمعت فى

الحال خصوصاً مع خلفيتى فى اللغة اليونانية. كانت الكلمة الأخيرة للرب يسوع على الصليب «**قد أُكمل**». والتى تظهر فى لغة العهد الجديد اليونانية بكلمة واحدة فى صيغة الفعل التام هى «tetelestai» وتعنى «عمل الشىء بشكل تام وكامل». ويمكن ترجمتها إلى «قد تم تماماً».

كان الرب من خلال هذه السيدة يكلمنى عن العمل التام والكامل من جميع الجوانب، التام والكامل فى جميع الأوجه. كانت الرهبة تملأنى، لأنى أدركت أن الروح القدّس كان يترجم إلىّ تلك الكلمة بالذات، وأن الله كان يتحدث إلىّ.

خرجت من السيّارة بعد هذا بنفس حالتى المرضية، فلم يحدث أى تحسن لجسدى، لكنى تلقيت كلمة توجيه من الرب. بأن ما فعله الرب يسوع لأجلى على الصليب يشمل كل ما احتاج إليه فى هذا الوقت وإلى الأبد ومن كل جانب: جسدياً وروحياً ومادياً وعاطفياً.

قبول كلمة الله كعلاج :

إن عمل الصليب «تام وكامل من جميع الجوانب وتام وكامل فى جميع الأوجه». فلا يهم من أى جهة تنظر إلى الصليب، فهو كامل لا ينقصه شىء، بل فيه «**كل ما هو للحياة والتقوى**» (٢بطرس ١ : ٣). وهذا يشمل كل شئ لنا ضمن موت الرب يسوع الكفّارى على الصليب. كل شىء قد نحتاجه فى هذا الوقت وفى الأبدية، سواء كان روحياً أو جسدياً، مادياً أو عاطفياً ... كل شىء مُتاح فى هذه الذبيحة الواحدة، «**لأنه بقربان واحد قد أكمل إلى الأبد المقدّسين**» (عبرانيين ١٠ : ١٤). لاحظ مرّة أخرى الكلمة «أكمل» فى هذه الآية.

وهكذا بدأت أبحث لأفهم ما أعدّه الله لى من خلال موت الرب يسوع على الصليب من أجلى، وابتدأت اكتشف أن الرب يسوع على الصليب لم يحمل فقط خطاياى بل أيضاً أمراضى وآلامى، حتى أننى بجلدته شفيت. فلا يمكن تجاهل الرسالة المذكورة فى (إشعياء ٥٣ : ٤ـ٥):

«لكن أحزاننا (حرفياً أمراضنا) حملها وأوجاعنا (آلامنا) تحملها. ونحن حسبناه مصاباً مضروباً من الله ومذلولاً. وهو مجروحٌ لأجل معاصينا، مسحوقٌ لأجل آثامنا. تأديب سلامنا عليه، وبحُبُرِه (أى دمه) شُفينا».

حاولت بكل الطرق والاتجاهات الفلسفية التى أعرفها، أن أتجنب ما تضمنته هذه الآيات من أن الرب يسوع حمل أمراضنا وآلامنا على الصليب وأننا بجلدته شفينا. استخدمت كل طرق التفسير الممكنة لأفسر هذه الآيات بحيث أستثنى الشفاء الجسدى من المعنى. وفى الأسابيع التى تلت ذلك وضع الشيطان فى رأسى كل الاعتراضات التى قد تظهر فى الذهن حول الشفاء الإلهى، لا أعتقد أنه ترك شيئاً منها! لكنى كلما ذهبت إلى كلمة الله، كانت تعود لتعلن لى الحق نفسه. كنت أتذكر كتابى المقدّس الأزرق، ففى كل الكتاب من التكوين حتى الرؤيا، كنت أرى وعود الشفاء والصحة والقوّة الجسدية والحياة الطويلة.

لسبب أو لآخر كانت قد تشكلت فى داخلى النتيجة التالية: «إنه كونى إنساناً مسيحياً، يجب أن أكون مستعداً لأحيا بقية حياتى فى بؤس»، وكلما قرأت وعود الشفاء فى الكتاب المقدّس، كنت أقول «لا يمكن أن يكون هذا صحيحاً، فهو يبدو رائعاً للغاية، الآيات لا تعنى هذا المعنى بالضرورة، هل حقاً يريد الله لى الصحة والنجاح والحياة الطويلة؟ لا يمكن أن يكون هذا صحيحاً، فليس هذا تصورى عن الدين».

وأثناء صراعى هذا تكلّم الرب فى داخلى بصوت غير مسموع، ولكن بوضوح جداً فقال: «قل لى، من هو المعلم، ومن هو التلميذ؟» فأجبت: «يا رب، أنت المعلم، وأنا التلميذ»، فكان الرد: «إذاً فدعنى أعلّمك!» وبعدها وجّهنى الروح القدّس إلى المقطع الكتابى الذى أخرجنى من المستشفى:

«يا ابنى، أصغ إلى كلامى، أمل أُذنك إلى أقوالى. لا تبرح عن عينيك. احفظها فى وسط قلبك، لأنها هى حياة للذين يجدونها ودواء لكل الجسد» (أمثال ٤: ٢٠ـ٢٢).

«يا ابنى» ... عرفت أن الله كان يكلّمنى أنا باعتبارى إبنا له. هذه الفقرة فى الكتاب ليست لغير المؤمنين، لكنها لشعب الله. وعندما وصلت إلى المقطع الذى يقول «**لكل الجسد**» . قلت لنفسى، هذا «يحسم الأمر» ، فلا يمكن حتى لفيلسوف أن يغير معنى كلمة «الجسد» لتعنى أى شيء آخر! كل الجسد تعنى كل تكوينى الجسمانى بلا استثناء. الله يقدّم لى فى كلمته الصحة لكل جسدى. وبحثت فى إحدى الترجمات عن كلمة «دواء» فوجدت أن الكلمة العبرية تعنى إما «صحة» أو «دواء» الذى سيأتى بالصحة لكل جسدى.

فقلت لنفسى: هذا رائع! نعم أنا مريض وأحتاج إلى علاج، والله يقدّم لى الدواء الذى سيأتى بالصحه لكل جسدى. كان من مهامى كمساعد طبى فى الجيش البريطانى، قبل إصابتى بالمرض، صرف الدواء. فقلت لنفسى: الآن، سأتخذ من كلمة الله دواءً لى. وعندما قلت هذا، تكلّم الله فى داخلى بصوت غير مسموع، ولكن بوضوح:

«عندما يعطى الطبيب دواء لشخص ما، تكون طريقة الاستخدام موجودة على زجاجة الدواء، إن (أمثال ٤ : ٢٠ـ٢٢) هى زجاجة الدواء التى أصرفها لك، وطريقة الاستخدام موجودة فيها. من الأفضل أن تدرسها جيداً» .

حين عدت إلى هذه الآيات وجدت أربع إرشادات وهى:

الأولى: «**أصغ إلى كلامى**» .. يجب أن نصغى بشكل كامل إلى ما يقوله الله.

الثانية: «**أمل أُذنك إلى أقوالى**» . فمن اللازم علينا أن نحنى رقابنا القاسية ونكون مستعدين للتعلم، فنحن لا نعرف كل شيء، وبعض التقاليد التى ورثناها من خلفياتنا الكنسية ليست كتابية.

الثالثة: «**لا تبرح (كلمتى) عن عينيك**» .. فيجب أن نبقى عيوننا موجهة ومركزة بدون تردد على كلمة الله.

أخيراً: «**احفظها فى وسط قلبك**» .

كذلك تقول الآية التالية:

«فوق كل تحفظ احفظ قلبك، لأن منه مخارج الحياة» (أمثال ٤: ٢٣).

وبكلمات أخرى، الشيء الذى تحتفظ به فى قلبك ــ مهما كان ــ هو ما سيحدد مسار حياتك، فلا يمكن أن تحتفظ باتجاه خاطىء فى قلبك وتحيا حياة صحيحة ولا يمكن إذا كان اتجاه قلبك صحيحاً أن تحيا حياةً خاطئة. فما يحدد مسار حياتك هو الشيء الذى يملأ قلبك. كأن الله يقول لى: «إذ استقبلت كلمتى من خلال بوابة أذنك، وبوابة عينك، واعترفت بها فى قلبك، فستعمل كلمتى كل شيء أعلنه فيها».

كنت مصمماً أن آخذ كلمة الله كعلاج لى، فذهبت إلى الطبيب وشكرته لمحاولته مساعدتى وقلت له: «من الآن فصاعداً سوف أثق بالله، ولا أريد أية علاجات أخرى».

بصعوبة نجوت من محاولة إرسالى إلى مستشفى للأمراض النفسية، وسمح لى بمغادرة المستشفى العسكرى على مسؤوليتى الشخصية.

ورغم أن حالتى المرضية لا تحتمل الطقس الحار، فقد أرسلنى الجيش إلى منطقة شديدة الحرارة هى الخرطوم فى السودان، حيث قد تصل درجة الحرارة الطبيعية إلى ٥٢° مئوية. وجدت نفسى أمام تلك الحرارة الشديدة، وأنا مصمم أن آخذ علاجى من كلمة الله. كان ما أفعله من الناحية الفلسفية عملاً أحمق، فإما أن أكون ذكياً وأبقى مريضاً، أو أكون أحمقَ وأنال الشفاء؟ فقررت أن أكون أحمقاً!

سألت نفسى هذا السؤال: «كيف يأخذ الناس عادةً علاجهم؟» وكانت الإجابة: «غالباً ثلاث مرّات فى اليوم بعد وجبات الطعام»، فصرت أختلى بنفسى بعد كل وجبة، وأفتح كتابى المقدّس، وأحنى رأسى فى الصلاة وأقول: «يا رب، أنت وعدت أن كلماتك هذه ستكون الدواء لكل جسدى، وها أنا آخذ كلمتك دواءً لى باسم الرب يسوع»، ثم أبدأ بقراءة الكتاب المقدّس بانتباه شديد مصغياً لما يريد الله أن يكلمنى به.

شكراً لله! فقد شفيت بشكل كامل! وحصلت ليس فقط على شفاءً جسدياً، بل وأصبحت شخصاً مختلفاً بالكامل. لقد جدد الكتاب المقدّس ذهنى وغيّر أولوياتى وقيمى واتجاهاتى.

تحقيق الشروط لنوال وعود الله :

من الرائع والمدهش أن تنال الشفاء بطريقة معجزية. وأنا أشكر الله أنى رأيت كثيرٌ من الناس نالوا الشفاء بصورة معجزية و فورية. ولكن من ناحية أخرى، هناك فوائد حقيقية، فى الحصول على الشفاء عن طريق «أخذ الدواء بشكل منتظم»، فبهذه الطريقة تحصل على أكثر من مجرد الشفاء الجسدى، فالله بهذه الطريقة يغيرك من الداخل.

لم أحصل على الشفاء بشكل فورى، و فى ذلك الطقس الصعب اقتضى الأمر ثلاثة شهور حتى أشفى بالكامل. وفى تلك الظروف، كان يشجعنى ما حدث مع شعب الله فى مصر، فكانوا كلما أذلهم المصريون أكثر، كلما امتدوا ونموا (انظر خروج ١ : ١٢)، فالظروف ليست هى العامل الحاسم، ووعود الله لا تعتمد على الظروف، بل على تحقيق الشروط.

سأختم هذا الفصل بهذا المبدأ الذى سيساعدك كثيراً فى الحصول على ما تحتاج إليه من ذبيحة الرب يسوع. يقول يعقوب فى رسالته «**الإيمان بدون أعمال ميت**» (يعقوب ٢ : ٢). فلا يكفى أن تجلس وتقول: «أنا أؤمن». بل يجب أن تُفعّل إيمانك بالمواقف والأفعال المناسبة.

الأشخاص الذين أخذونى إلى أول اجتماع كنيسة كانوا أصدقاء لسميث وجلزورث (Smith Wigglesworth) المعروف بكرازته بإنجيل الشفاء. وقد اعتاد القول: «الإيمان هو فعل»، وهذا ما حصل معى. كان بإمكانى أن أجلس على سريرى وأقول: «أنا أؤمن» لكن هذا لن يغير شيئاً. كنت أحتاج لعمل شىء ما لكى أُفعّل إيمانى، وقد وجهنى الله بحكمته أن أنهل من كلمته ثلاث مرّات فى اليوم كدواء لى.

هذا درس واضح: لا تكن سلبياً، لكن ابدأ بعمل فعل مناسب يتوافق مع إيمانك بعمل المسيح على الصليب حتى تستطيع الحصول على ما قدمه لك الرب يسوع من خلال الصليب.

الفصل الثالث

المبادلة الإلهية التى سبق الله وأعدها

سنلقى الضوء فى هذا الفصل على حقيقة رائعة هى أنه من خلال ذبيحة الرب يسوع على الصليب حدثت مبادلة فتحت لنا الطريق لكل الكنوز الموجودة لدى الله.

ولنبدأ دراستنا حول هذه المبادلة الإلهية بمراجعة (عبرانيين ١٠ : ١٤): «**لأنه بقربان واحد قد أكمل إلى الأبد المقدّسين**» . ونحن هنا نؤكد على شيئين: الأول أن موت الرب يسوع على الصليب كان ذبيحة سبق الله وأعدها، فيها قدّم يسوع ـ بصفته الكاهن ـ نفسه لله الآب بديلاً عن الجنس البشرى بأسره، والشىء الثانى الذى مازلنا نؤكد عليه أن هذه الذبيحة كاملة كل الكمال، وتامة كل التمام. فلا يوجد شئ ناقص فيها أو آخر يجب أن يضاف لها. لقد تم تسديد كل احتياج لكل شخص من نسل آدم بالكامل فى هذه الذبيحة الواحدة للرب يسوع المسيح على الصليب.

من الضرورى التمسك بهذه الحقيقة، ومن الضرورى كذلك أن لا نحول انتباهنا عن ذبيحة الرب يسوع هذه. قد ننخرط فى أشكال مختلفة من التعليم والخدمة والنشاطات المسيحية التى قد تبدو جيدة، لكن إذا كانت هذه الأمور منفصلة عن ذبيحة الصليب، ففى النهاية ستفقد فاعليتها وتأثيرها.

سنستخدم فكرة توضيحية من سفر إشعياء النبى لنوضّح نقطة هامة. الصليب هو مركز كل ما يمنحه ويتيحه الله لنا، وهو مركز كل بشارة الإنجيل، ويوضح سفر إشعياء هذا الأمر بطريقة ملفتة. تابع معى، هذا الأمر الذى يستحق الدراسة!

الصليب فى المركز :

كم عدد أصحاحات سفر إشعياء؟ إنها ٦٦ أصحاحاً، وكم عدد أسفار الكتاب المقدّس؟ نفس العدد، ٦٦ سفراً.

ينقسم سفر إشعياء إلى جزئين رئيسين: الأصحاحات ١ـ٣٩، والأصحاحات ٤٠ـ٦٦ (٢٧ أصحاحاً)، وكذلك الأمر بالنسبة للكتاب المقدّس: ٣٩ سفراً فى العهد القديم، ٢٧ سفراً فى العهد الجديد، و يطلق على الأصحاحات الـ٢٧ الأخيرة من سفر إشعياء «إنجيل العهد القديم».

أما هذه الـ٢٧ أصحاحاً، فهى مقسمة بدورها إلى ثلاثة أقسام، كل قسم منها مُكون من تسعة أصحاحات: ٤٠ـ٤٨ ، ٤٩ـ٥٧ ، ٥٨ـ٦٦.

وهناك ميزة هامة فى هذه الأقسام الثلاث: كل منها يُختتم بإعلان قوى عن أن الله لا يتهاون مع الخطيّة. الآية الأخيرة من (إشعياء ٤٨) تقول: «**لا سلام قال الرب للأشرار**». والآية الأخيرة من (إشعياء ٥٧) تقول: «**ليس سلام قال إلهى للأشرار**»، وهاتان الآيتان متماثلتان بشكل كبير.

حين ننتقل إلى الآية الأخيرة من (إشعياء ٦٦) نقرأ: «**ويخرجون ويرون جثث الناس الذين عصوا علىَّ لأن دُودهم لا يموت ونارهم لا تُطفأ. ويكونون رذالةً لكل ذى جسدٍ**». تختلف كلمات هذه الآية عن الآيتين السابقتين، لكنها تعرض نفس الحقيقة: كل الذين عصوا ولم يتوبوا سوف يكونون مثالا يوضح مشهداً لقضاء الله.

ثم ينتهى كل قسم من الأقسام الثلاث بنفس الإعلان، فعلى الرغم من رحمة الله فهو لن يتهاون مع الخطيّة غير المُعترف بها وغير المتروكة.

الرسالة المركزية للأصحاح المركزى :

تأتى الأصحاحات (٤٩ـ٥٧) فى مركز الجزء الثانى من سفر إشعياء. ويأتى الأصحاح

٥٣ فى منتصف هذه الأصحاحات، لكن الرسالة النبوية لهذا الأصحاح تبدأ من الآيات الثلاثة الأخيرة فى الأصحاح ٥٢:

«هوذا عبدى يعقل ويرتقى ويتسامى جداً» ... (إشعياء ٥٢: ١٣).

تشير كلمة «هوذا» هنا إلى كلمة «عبدى» التى تليها، وهواللقب الذى أطلق على الرب يسوع فى هذه النبوة. و إذا أضفت الآيات التمهيدية الثلاث الأخيرة من أصحاح ٥٢ إلى الآيات الاثنتى عشرة التى تكوّن الأصحاح ٥٣، فستحصل على المجموعات الخمسة التالية المُكون كل منها من ثلاثة آيات:

١. (إشعياء ٥٢: ١٣ـ١٥)

٢. (إشعياء ٥٣: ١ـ٣)

٣. (إشعياء ٥٣: ٤ـ٦)

٤. (إشعياء ٥٣: ٧ـ٩)

٥. (إشعياء ٥٣: ١٠ـ١٢)

وكما تلاحظ يأتى المقطع الثالث (٥٣: ٤ـ٦) فى منتصف هذه المقاطع التى تُشكل معاً الأصحاح ٥٣. ويأتى الأصحاح ٥٣ فى منتصف الجزء الثانى من إشعياء.

أنا أؤمن بوجود قصد إلهى وراء ذلك، فالحق الذى تعلنه الآيات يظل هو مركز وقلب الرسالة الكلية للإنجيل، فالحقيقة الأساسية تظهر فى مركز وقلب الرسالة. فلنتأمل ما تقوله أول آيتين من هذه المجموعة المركزية (٥٣: ٤ـ٥):

«لكن أحزاننا حملها، وأوجاعنا تحملها. ونحن حسبناه مصاباً مضروباً من الله ومذلولا. وهو مجروح لأجل معاصينا، مسحوق لأجل آثامنا. تأديب سلامنا عليه. وبحُبُرِه شُفينا».

والأدق بحسب اللغة العبرية أن يُقال: «أمراضنا حملها وآلامنا تحملها» كما جاء فى

إحدى الترجمات وليس «أحزاننا وأوجاعنا» فالمعنى المقصود مادى وملموس وليس معنوياً، بل إن الترجمتين الكاثوليكية والمشتركة قالتا: «...عاهاتنا... وأوجاعنا». ثم أن هناك تأكيد مزدوج فى أول هذين العددين، إذ أن أصل الكلمة الافتتاحية هو «لكنه بالتأكيد» مع الضمير كما أوردتها ترجمة كتاب الحياة، وليس «لكن» فقط. فالتأكيد هنا يأتى على ضمير الهاء لأن اللغة العبرية كاللاتينية واليونانية والروسية، وعلى خلاف أغلب اللغات الأوروبية، ليست بحاجة لإضافة الضمير إلى الجملة، لأن المعنى مُتضمن فى الفعل اللاحق. وتضع الضمير فقط حين تريد التأكيد عليه. ولأن الضمير موجود هنا، فقد تم التأكيد عليه مرّتين: مرّة من كلمة «لكن» التى تسبقه، ومرّة أخرى بسبب إضافة الضمير نفسه.

والآن تأتى الآية الحاسمة، وهى الآية الثالثة فى هذا المقطع المركزى فى منتصف الأصحاح:

«كُلَنا كغنمٍ ضللنا. مِلنا كُلٌّ واحدٍ إلى طريقهِ، والرب وَضَعَ عليهِ إثمَ جميعنا».

ما هى مشكلة الجنس البشرى؟ ما الذى فعلناه؟ الكتاب المقدّس يشخص لنا الأمر. لم نُمسك كلنا فى زنى، ولسنا كلنا سكّيرين أو سارقين، ولكن هناك شىء مشترك بيننا: ملنا كل واحد إلى طريقه البعيدة عن طريق الله، ويدعو الله هذا «إثم». وأفضل مصطلح معاصر يصف ما فعلناه، هو «التمرد»، فأساس مشكلة البشرية هو التمرد على الله.

مشكلة البشرية تشملنا جميعاً، يهوداً أو أمماً، كاثوليك أو إنجيليين، آسيويين أو أميريكيين أو أفريقيين بدون استثناء. لقد ملنا كل واحد إلى طريقه، كلنا فى نفس الفئة، متمردون.

لكن الرسالة المدهشة هى أن الله وضع على الرب يسوع كل آثامنا وتمردنا. كل البشر من كل الأجناس وكل الأعمار وُضعت آثامهم وتمردهم على الرب يسوع وهو مُعلق على الصليب.

ما الذى حمله الرب يسوع؟

الكلمة المترجمة هنا «إثم» هى من العبرية «آفون». هذه الكلمة لا تعنى فقط التمرد، لكن يشمل معناها أيضاً كل النتائج الرديئة للتمرد أى جميع عواقبه، وما يجلبه على المذنبين من قصاص. آمل أن تقنعك الفقرات التالية من العهد القديم بأن ما أقوله ليس تفسيراً خيالياً، بل تطبيقاً مباشراً لما يقوله الكتاب المقدّس.

اسمع ما قاله قايين بعد أن تكلّم الله إليه بخصوص مقتل أخيه:

«**فَقَالَ قَايِينُ لِلرَّبِّ: ذنبى أَعظم من أَنْ يُحتمل**» (تكوين ٤ : ١٣).

كلمة «ذنب» هنا هى «آفون» وهى تشمل إثم قايين وعقوبته معاً وقد كانا أعظم من أن يُحتمل.

مثال آخر: عندما طلب الملك شاول من المرأة العرّافة فى عين دور أن تستدعى له روح صموئيل، لأن العقاب للعرّافة كان الموت، وعدها شاول وقال:

«**حىٌّ هو الرب، إنه لا يلحقك إثمٌ فى هذا الأَمر**» (١صموئيل ٢٨ : ١٠). أو «**لن يصيبك عقاب**»... ومرّة أخرى، فإن الكلمة العبرية المستخدمة هنا هى «آفون»، وقد أكد شاول للعرّافة أن عقاب إثمها لن يأتى عليها.

أيضاً نرى كلمة «آفون» مرتين فى مراثى إرميا:

المرّة الأولى فى (مراثى إرميا ٤ : ٦):

«**صار عقاب (آفون) بنت شعبى أعظم من قصاص خطيّة سدوم**»...

وكذلك (الآية ٢٢) من نفس الأصحاح:

«**قد تمَّ إِثْمُك (آفون) يا بنت صهيون**»...

بالعودة إلى (إشعياء ٥٣) نفهم أن الرب وضع على عبده المُتألم خطايانا جميعاً وتمردنا وعقاب تمردنا وكل النتائج المُترتبة عليه.

المبادلة الإلهية:

هذا يقودنا إلى حقيقة أساسية، وكما سبق فقلت، هى المفتاح الذى سيفتح لنا كل الكنوز التى يوفرها الله. لقد تمت على الصليب مُبادلة عظيمة سبق الله وأعدها. إنها بسيطة جدّاً ولكنها عميقة جداً: فتبعا للعدل الالهى أتى على الرب يسوع كل الشر الذى نستحقه، ليكون لنا كل الصلاح الناتج عن طاعة الرب يسوع الكاملة.

والآن اقرأ جوانب المُبادلة التسع التالية، وفى كل منها مُد يدك اليسرى مُقابل الشىء السيئ، ويدك اليمنى مقابل الشىء الصالح:

١. عُوقب الرب يسوع لكى يُغفر لنا.

٢. جُرح الرب يسوع لكى نُشفى.

٣. صار الرب يسوع خطيّة بخطيتنا لكى نتبرر نحن ببره.

٤. مات الرب يسوع موتنا لكى نقبل نحن حياته.

٥. صار الرب يسوع لعنة لكى ننال البركة.

٦. تحمّل الرب يسوع فقرنا لكى نشاركه فى فيض غناه.

٧. تحمّل الرب يسوع خزينا لكى نشاركه فى مجده.

٨. تحمل الرب يسوع رفضنا لكى نحظى بالقبول عند الآب مثله.

٩. مات إنساننا العتيق فى الرب يسوع لكى يحيا الإنسان الجديد فينا.

لن نجد أبداً أى سبب لنستحق هذه المبادلة، فهى عمل نعمة الله الغنية وهى التعبير عن حبّه غير المحدود.

بالإضافة إلى هذه المبادلات التسعة الحيوية التى حدثت على الصليب، نستطيع من خلال تطبيق حقيقة الصليب فى حياتنا أن ننال خمسة جوانب مختلفة من التحرير، فمن خلال الصليب ننال التحرير والخلاص:

١ . من هذا الدهر الشرير.

٢ . من الناموس (كطريق لنوال البرّ) .

٣ . من الذات.

٤ . من الجسد (سلطان الطبيعة الساقطة) .

٥ . من العالم.

فى هذا الكتاب، سوف ندرس كل واحدة من المبادلات التسعة، وكذلك الجوانب الخمسة للتحرير والخلاص. و سنشرح كيف نستطيع أن ننال ما أعده الله لنا من خلال الكفَّارة. والمفتاح هنا هو كلمة «النعمة» والنعمة هى ما لا يمكنك أن تحصل عليه أو تستحقه أبداً. أغلب المتدينين لا يتمتعون بنعمة الله، لأنهم يريدون أن يحصلوا عليها بمجهوداتهم. لكن لا توجد أى طريقة لتحصل على ما سبق أن أعده الله لك من خلال موت الرب يسوع على الصليب هناك طريقة واحدة لتنال نعمة الله، وهى أن تؤمن بها. توقف عن محاولة كسبها، توقف عن محاولة إقناع نفسك بأنك صالح بما فيه الكفاية. أنت لست كذلك، ولن تكون أبداً، فالطريقة الوحيدة لتنال ما قدمه لك الرب يسوع على الصليب هى الإيمان.

لماذا أرسل الله ابنه الوحيد ليصلب بدلاً عنا؟ لقد فعل هذا لأنه يحبنا. و لماذا يحبنا الله؟ لم يعط الكتاب المقدس أى تفسير لذلك، ولن تكفينا الأبدية كلها لنستوعب سبب هذا الحب. نحن لا نستحق ما يقدّمه لنا الله، ولا نستطيع أن نحصل عليه، ولا يوجد أى شىء فينا يبرر تضحيته المذهلة. لقد كان هذا اختياراً سامياً لله كلى القدرة.

بينما نتأمل فى عطية الله، من المهم أن نعرف لقبين من ألقاب الرب يسوع: الأول فى (١ كورنثوس ١٥ : ٤٥):

«هكذا مكتوب أيضاً: صار آدم الأول نفساً حية ، وآدم الأخير روحاً محيياً» .

يسمى كثير من المؤمنين الرب يسوع «آدم الثانى» وهذا خطأ، فكلمة الله تدعوه «آدم

الأخير» هل هناك فرق؟ بالطبع، وسنرى هذا بعد قليل، لكن لنذهب أولاً إلى العدد ٤٧ :

«الإنسان الأول من الأرض ترابى، الإنسان الثانى الرب من السماء» (١كورنثوس ١٥ : ٤٧).

يُدعى الرب يسوع فى الآية ٤٥ «آدم الأخير» ثم يدعى فى الآية ٤٧ «الإنسان الثانى» يجب أن لا نخلط بين هذين اللقبين، وعلينا ترتيبهما بالطريقة الصحيحة، وإلا فقدا معناهما.

كان الرب يسوع على الصليب هو آدم الأخير. لم يكن الأخير من ناحية الوقت، فهناك ملايين وملايين من الناس ولدوا منذ ذلك الحين، لكنه كان الأخير الذى حَمَلَ على الصليب كل الشرور الموروثة فى كل نسل آدم، فجميع الشرور الموروثة من جنسنا الملعون بالخطيّة أتت عليه، وحين دُفن، دُفنت كلها معه. إن كل شرور طبيعتنا الموروثة من آدم أُبعدت، وأُنهيت، وأُزيلت من المشهد.

و بعدها، حين قام المسيح من الموت، قام باعتباره الإنسان الثانى الذى هو بداية جنس عِمَّانوئيل، وهونوع جديد من البشر لأنه جنس نتج من ارتباط الله مع الإنسان.وكل شخص يولد ثانية من خلال الإيمان بموت الرب يسوع وقيامته يصبح من الجنس الجديد الذى لعمانوئيل. احرص على أن يكون هذا واضحاً جداً لك. كان الرب يسوع على الصليب هو آدم الأخير، نهاية كل شىء. لم يكن هناك مفر من العقاب البغيض لكل ما فعلناه. ولكن حين دُفن يسوع، دَفن هذا كله معه. وحين قام فى اليوم الثالث، صار بداية لجنس جديد و هو جنس ارتباط الله مع الإنسان، الجنس الذى فيه اجتمع الله والإنسان بطريقة فريدة لبدء خليقة جديدة.

فى (١بطرس ١ : ٣) يشبّه الرسول بطرس القيامة من الموت بالولادة، وفى (أفسس ١ : ٢٢ـ٢٣) يصف بولس الرسول الرب يسوع بقوله:

«وإياه جعل رأساً فوق كل شىء للكنيسة التى هى جسده» هذا تصوير جميل.

فما هو الجزء من الجسم الذى يظهر أولاً أثناء الولادة الطبيعية للإنسان؟ إنه الرأس. وحين يخرج الرأس فهذا ضمان أن بقية الجسد ستتبعه. عندما قام الرب يسوع المسيح من الموت كان هذا ضمان لقيامتنا نحن أيضاً. **مات الرب يسوع باعتباره آدم الأخير، وقام من الموت باعتباره الإنسان الثانى.**

صورة نبوية أخيرة:

والآن لنتأمل فى أحد الصور النبوية والموجودة فى (إشعياء ١ : ٢)، وهى وصف لتمرد بنى إسرائيل حيث يقول الرب عنهم:

«أما هم فعصوا علىَّ».

ويعطى الرب فى الآيات ٥ و ٦ صورة قوية عن عواقب هذا التمرد:

«كل الرأس مريض وكل القلب سقيم. من أسفل القدم إلى الرأس، ليس فيه صحة، بل جرح وأحباط وضربة طريّة لم تُعصر ولم تُعصب ولم تليّن بالزيت».

هذا هو التمرد مع نتائجه البغيضة، وهذه أيضاً صورة دقيقة للرب يسوع على الصليب! قارن هذا مع مقدّمة (إشعياء ٥٣) والتى هى (إشعياء: ٥٢: ١٣-١٤):

«هوذا عبدى يعقل، يتعالى ويرتقى ويتسامى جداً. كما اندهش منك كثيرون. كان منظره كذا مفسداً أكثر من الرجل، وصورته أكثر من بنى آدم (أو كان شكله مفزعاً لأنه تشوّه ولم يعد يبدو كرجل عادى مثل باقى البشر)».

كانت هيئة الرب يسوع الجسدية مشوهة لدرجة أنه فقد مظهره كإنسان **«من أسفل القدم إلى الرأس، ليس فيه صحة، بل جرح وإحباط وضربة طريّة لم تُعصر ولم تُعصب ولم تليّن بالزيت».**

لماذا كان «منظره كذا مفسداً أكثر من الرجل، وصورته أكثر من بنى آدم؟» لأن هذه هى نتيجة العصيان والتمرد على الله. ففى صورة واحدة قوية يوضح لنا الله هذه الحقيقة لقد حمل الرب يسوع على الصليب تمردنا وكل عواقبه البغيضة. لا تصدق تلك الصور الدينية اللطيفة عن الصليب، فقد كان الرب يسوع مليئاً بجروح وأحباط وقروح لم تنظف. كانت الجروح متقيحة ومتعفنة، لماذا؟ لأن تمردنا جميعاً أتى عليه. فى المرّة القادمة حين نفكر أنا وأنت فى التمرد، ليت الله يعطينا صورة لما ينتج عن تمردنا فى النهاية. لقد حمل الرب يسوع بوصفه آدم الأخير التمرد، ومات ودفن، ودفن تمردنا معه، وحين قام فقد قام بوصفه الإنسان الثانى، رأس الجنس الجديد.

بينما تنهى هذا الفصل، قل هذا بصوت عال: «**على الصليب حمل الرب يسوع تمردى، وكل عواقبه البغيضة**».

فإذا كنت حقاً تؤمن بما قلته للتو، يبقى عليك أن تقول شيئاً آخر: «يا رب الرب يسوع شكراً لك» آمين.

الجزء الثانى

المبادلات الإلهية التسع

الفصل الرابع

الغفران والشفاء

كما سبق ورأينا، حدثت مبادلة إلهيّة عظيمة على الصليب قد سبق الله وأعدها، وهى موجودة فى قلب وعقل الله منذ الأزل، وقد تمّت وجرت أحداثها فى الجلجثة. لم يكن الصليب صدفة، ولم يكن حدثاً مأساوياً مؤلماً أُجبر الرب يسوع عليه، ولم يكن مجموعة من التطورات التى حدثت دون أن يتوقعها الله، بل كان الصليب عملاً مدهشاً أعدّه الله منذ بداية الزمان، حيث قدّم الرب يسوع الكاهن نفسه لله كذبيحة. وبهذه الذبيحة الواحدة ملء الله كافة جوانب الاحتياجات البشرية، فى الوقت الحاضر وحتى فى الأبدية.

وهذه هى طبيعة المُبادلة: كل العقاب الذى نستحقه نحن جاء على الرب يسوع، لكى يكون لنا كل الخير الناتج عن طاعته الكاملة للآب.

سنبحث فى هذا الفصل فى جانبين من جوانب هذه المُبادلة الإلهيّة، كما يتضح ذلك فى (إشعياء **٥٣**: **٤ـ٥**):

«لكن أحزاننا (حرفياً أمراضنا) حملها وأوجاعنا تحملها. ونحن حسبناه مصاباً مضروباً من الله ومذلولاً. وهو مجروحٌ لأجل معاصينا، مسحوقُ لأجل آثامنا. تأديب سلامنا عليه، وبحُبُرِه شُفينا».

المبادلة الأولى: عقاب الرب يسوع من أجل غفران خطايانا :

يقول إشعياء: «**تَأدِيبُ سلامنا عليه**». وهنا تتضح المُبادلة الأولى، فقد عُوقب الرب يسوع لكى ننال الغفران الإلهى. إن كانت خطيّتك غير مغفورة، لن تحصل على سلام مع الله، فالله لن يقيم سلاماً مع الخطيّة.

من المُثير للاهتمام، كما لاحظنا، أن تنتهى تلك الأقسام الثلاث المُكونة من تسعة أصحاحات فى كل منها (فى الجزء الثانى من سفر إشعياء) بإعلان يوضح أن الله لن يتهاون مع الخطيّة. فلا بد من علاج هذا الموضوع، ورسالة الرحمة لنا أن مشكلة الخطيّة قد عُولجت من خلال موت الرب يسوع على الصليب، فأجرة الخطيّة هى موت، لكن الرب يسوع دفع هذه الأجرة على الصليب. وماذا كانت النتيجة؟ انظر (رومية ٥: ١):

«**فإذ قد تبرَّرنا بالإيمان، لنا سَلام مع الله بربنا الرب يسوع المسيح**».

عندما تعامل الله مع خطيتنا بطريقته كانت النتيجة سلام مع الله. لو لم يُعاقَب الرب يسوع، لما حصلنا على السلام مع الله.

نقرأ عن هذا الموضوع بوضوح أكثر فى (كولوسى ١: ١٩ـ٢٢) حيث يتحدث الكتاب عن الرب يسوع وهو على الصليب.

«**لأن فيه سُر أن يحلَّ كل الملء. وأن يصالح به الكلَّ لنفسه عاملاً الصلح بدم صليبه، بواسطته، سواء كان ما على الأرض أم ما فى السموات. وأنتم الذين كنتم قبلاً أجنبيين وأعداء فى الفكر فى الأعمال الشريرة قد صالحكم الآن فى جسم بشريته بالموت ليحضركم قديسين وبلا لوم ولا شكوى أمامه**».

لا يمكن الوصول إلى هذه النتيجة بأية طريقة أخرى سوى عن طريق ذبيحة الرب يسوع. لقد أصبح ممكناً لنا أن نحصل على الغفران و التحرير من أى قوة للشر لأن الرب يسوع المسيح قد تعامل تماما مع كل الشرور التى إقترفها أى رجل أو إمرأة أو طفل.

عبارة أخرى تتكلم عن نفس الموضوع نجدها فى:

(أفسس ١ : ٧) **«الذى فيه لنا الفداء، بدمه غفران الخطايا، حسب غنى نعمته» .**

حين نحصل على غفران الخطايا، فإننا نحصل على الفداء. وكلمة «**فداء**» تعنى «**الاسترداد**» أو «**التحرير من الأسر**» ولهذا فمن خلال دم الرب يسوع الذى سفكه على الصليب بدلاً عنا، فقد استردنا واشترانا من الشيطان وردّنا إلى الله.

يعطينا بولس الرسول فى (رومية ٧) ادراكاً رائعاً عن هذه المُبادلة الأولى وهذا الأدراك لن يكون مفهوماً لمن لا يعرف عن تلك الخلفية الثقافية فى زمن كتابة الرسالة. يقول بولس الرسول فى الآية ١٤ :

«فإننا نعلم أن الناموس روحى، وأما أنا فجسدى مبيع تحت الخطيّة» .

والعبارة «مبيع تحت الخطيّة» ترتبط بعادة رومانية. عندما يباع شخص كعبد، كانوا يوقفونه على منصة وخلفه سارية، مثبتاً عليها رمحاً فوق رأس العبد، أى إن الشخص الذى يقف على منصة وفوق رأسه رمح ممدود، هو عبدٌ مُباع.

فكأن بولس يقول ... «أنا جسدى، مَبيع تحت رمح خطيتى الذى هو فوق رأسى، وليس لى خيار، أنا هنا للبيع» .

لنتابع مقارنتنا. حين يُباع الناس كعبيد، فهم لا يختارون أى نوع من الأعمال يقومون به، لكن مالكيهم يختارون لهم ما يعملون، فقد تُباع امرأتان فى نفس السوق، لتصبح الأولى طاهية وتُستغل الأخرى جنسيّاً، فليس للعبد أو الأمَة أى خيار. وهذا بالضبط حالنا كخطاة، فقد تكون خاطئاً «صالحاً ومحترماً» وتنظر نظرة احتقار للزوانى والمدمنين. لكن ما زال مالكك هو من يحدد لك الدّور الذى ستلعبه، بصفتك عبداً له، سواء كان هذا الدور محترما أو مهيناً.

لكن الخبر السّار هو أن الرب يسوع ذهب إلى سوق العبيد، واختارك وقال: «أنا سأشترى هذا الشخص. أيها الشيطان هذا ليس ملكك، فأنا فديته ودفعت ثمنه، ومن الآن فصاعداً هو ليس عبدك، بل هو ابنى» . هذا هو الفداء وهو لا يأتى إلا من خلال غفران الخطايا. كيف لنا أن نحصل على الغفران؟ لقد عوقب الرب يسوع بالعقاب الذى نستحقه نحن فصار لنا الغفران.

المبادلة الثانية: جُروح الرب يسوع من أجل شفائنا :

والآن نأتى إلى الحقيقة التى تغيب عن ملايين المؤمنين، وهو الجانب الجسدى للكفَّارة. ونعود مرّة أخرى للآيات الثمينة فى (إشعياء ٥٣ : ٤) التى تتكلم عن هذا الجانب:

«**لكن أحزاننا (حرفياً «أمراضنا») حملها وأوجاعنا تحمَّلها، ونحن حسبناه مصاباً مضروباً من الله ومذلولاً**».

المبادلة الثانية هى: جُرح جسد الرب يسوع لكى تُشفى أجسادنا. والنص العبرى الأصلى واضح، فلقد استخدم فعلين فى هذه الأية عندما قال «**أحزاننا حملها**» كان الفعل العبرى يعنى أبعد عنا أمراضنا وعندما قال «**وأوجاعنا تحملها**» كان الفعل العبرى يعنى تحمل أوجاعنا و آلامنا، إذاً فالرب يسوع رَفَعَ عنّا أمراضنا و تحمل أوجاعنا الجسدية. فما هى النتيجة؟ انظر إلى نهاية الآية ٥: «**وبحُبُرِه (أى جروحه) شفينا**». كم هى منطقية هذه المبادلة! فلأن الرب يسوع أخذ أمراضنا وآلامنا على جسده، صار الشفاء متاحاً لنا. وبأكثر حرفية يقول النص العبرى: «شُفى لنا». وربما أفضل طريقة لإعادة صياغة هذه العبارة: «**تحقق الشفاء لنا**».

أليس من المدهش أن الكتاب المقدّس حين يتحدث عن الكفَّارة، لا يقول إن الشفاء سيحدث فى المستقبل، بل يقول إن الشفاء قد تمَ! فمن جهة الله، الشفاء تم فعلاً، ونحن قد شفينا. يسألنى بعض المؤمنين أحياناً: «كيف أعلم إن كانت مشيئة الله هى شفائى؟» فأجيب: «لقد سألت السؤال الخطأ، فإذا أردت أن تكون مسيحياً مؤمناً ملتزماً تريد بإخلاص أن تخدم الله وأن تعمل مشيئته، لا تسأل: كيف أعلم إن كانت مشيئة الله هى شفائى؟ بل اسأل: «كيف أستطيع أن أقبل الشفاء الذى سبق الله فأعدّه لى؟»

سأحاول فى فصول لاحقة ولو بشكل جزئى، الحديث عن كيفية الحصول على ما يقدّمه الله لنا. إن كنت أصلاً لا تؤمن أن الله قد سبق وأعد لك الشفاء، فليس من المتوقع أنك ستناله، فالقاعدة هى أن تكتشف ما أعدّه الله لك من خلال صليب ربنا يسوع.

تأكيدات العهد الجديد :

قد تقول: «لا أعتقد أنى أقبل تفسيرك لإشعياء ٥٣ . فأقول: لك الحق فى ذلك، لكن لا يمكنك أن تجادل ضد متّى البشير وبطرس الرسول والروح القدس» . لقد اقتبس كل من متّى وبطرس من نص (إشعياء ٥٣ : ٤ـ٥) بوحى الروح القدس.

لننظر أولاً إلى (متى ٨ : ١٦) ، حيث بداية خدمة الرب يسوع الشفائية العلنية:

«ولما صار المساء، قدّموا إليه مجانين كثيرين. فأخرج الأرواح بكلمة، وجميع المرضى شفاهم» .

من الملاحظ فى خدمة الرب يسوع الشفائية عدم وجود فرق أو تمييز بين شفاء المرضى وإخراج الأرواح الشريرة. وطوال خدمة الرب يسوع كان هذان الأمران يسيران دائماً معاً، فلماذا خدم الرب يسوع بهذه الطريقة؟ تقول لنا الآية ١٧ :

«لكى يتم ما قيل بإشعياء النبى القائل: هو أخذ أسقامنا وحمل أمراضنا» .

يلاحظ هنا أن المقطع من (إشعياء ٥٣ : ٤ـ٥) الذى يقتبسه متّى فى هذه الآية، يتحدّث عن شفاء الجسد، فالآية تتكلّم عن الأسقام والأمراض، أى أن نطاق عملها هو الجسد. يقول متّى البشير إن الرب يسوع شفى جميع الذين أتوا إليه! ليس بعضهم بل جميعهم! لا يوجد أى شك أن متّى يعطى لهذا المقطع من إشعياء تطبيقاً جسدياً كاملاً.

لنأخذ نقطة أخرى من هذه الفقرة فى متّى. إن التأكيد فى كلمة «هو» يعود على الرب يسوع وليس علينا نحن. عندما نصارع مع خطيّة أو مرض أو إحباط أو رفض أو خوف، يقول الكتاب لا تنظر إلى نفسك، فالحل ليس فيك، بل حوّل عينيك إلى الرب يسوع، فهو بنفسه الحل.

فقرة ثانية من العهد الجديد تقتبس من (إشعياء ٥٣ : ٤-٥) وتقول عن الرب يسوع:

«الذى حَمَلَ هو نفسه خطايانا فى جسده على الخشبة لكى نموت عن الخطايا فنحيا للبر، الذى بجلدَتِهِ شُفيتم» (٢بطرس ١ : ٢٤).

كما ترى فى الآية، يؤكد بطرس الرسول على الرب يسوع بالقول «هو نفسه».

الموضوع المحورى فى الفقرة السابقة هو موضوع الخطية، فحين يُعالَج موضوع الخطيّة، كل الأمور الأخرى يمكن معالجتها.

وفى النهاية أريدك أن تلاحظ صيغة الفعل الزمنية، فهو لا يقول بجلدَتِهِ ستشفون، أو «بجلدته تشفون» بل يقول بجلدَتِهِ شُفيتم. فعندما قال الرب يسوع فى (يوحنا ١٩ : ٣٠): «**قد أكمل**» ، وقتها تم كل شىء، ولا حاجة لإضافة أى شىء لما عمله المسيح أو أن ينقص منه. تذكر معى الكلمات النبوية التى قالتها تلك السيدة من أوكلاهوما قبل أن أنال الشفاء: «تأمّل فى عمل الجلجثة، العمل التام والكامل، التام من جميع الجوانب، التام فى جميع الأوجه». وجانب الشفاء الجسدى تام وكامل كغيره من جوانب عمل الجلجثة.

ما الذى يتضمنه الخلاص؟

دعنى أُوجّه نظرك إلى بعض الفقرات فى العهد الجديد تُستخدم فيها كلمة «شفاء» أو «صحّة» كترجمة لكلمة «خلاص». الكلمة اليونانية التى تعنى «خلاص» هى «سوزو» (sozo)، وكل الكلمات الأخرى التى يتضمن معناها الخلاص مُشتقة من هذا المصدر.

فى الكثير من الفقرات فى العهد الجديد يستخدم الفعل «sozo» ليعنى الشفاء الجسدى، لكن المشكلة أن المترجمين لا يستخدمون الكلمة «خلاص» فى جميع هذه المواقع التى تدل على الشفاء الجسدى، مما يُغيّب حقيقة أن الشفاء الجسدى هو جزء من الخلاص.

١ـ الخلاص يتضمن الشفاء :

يتحدث (متّى ٩ : ٢٠ـ٢٢) عن المرأة نازفة الدّم التى لمست هدب ثوب الرب يسوع، وكانت خائفة أن يكتشف أحد ما فعلته، فهى تُعتبر نجسة بحسب الناموس، ولا يحق لها أن تلمس أحداً، لأن من تلمسه يتنجس. حين سأل الرب يسوع من الذى لمسه، تقدّمت إليه وهى ترتجف، ليس فقط بسبب خجلها، ولكن لأنها بلمسها الرب يسوع قد أذنبت.

«لأنها قالت فى نفسها إن مسست ثوبه فقط، شُفيت» (متّى ٩ : ٢١).

ما قالته المرأة فى الواقع هو **«إن مسست ثوبه فقط، خلُصت»**.

«فالتفت الرب يسوع وأبصرها فقال: ثقى يا ابنة. إيمانك قد شفاكِ» (الآية ٢٢).

وما قاله الرب يسوع فى الواقع هو **«إيمانك قد خلّصك»**.

يشرح (لوقا ٨ : ٤٧) ما حدث مع هذه المرأة بصورة أعمق:

«فلما رأت المرأة أنها لم تختف، جاءت مرتعدة وخرّت له وأخبرته قدام جميع الشعب لأىِّ سبب لمسته وكيف برئت فى الحال».

مرّة أخرى، الكلمة المترجمة «برئت» هى من الأصل اليونانى «sozoy» وتعنى **«خَلَصَتْ»**.

كانت إجابة الرب يسوع لها: **«إيمانك قد شفاك»**. هى فى الواقع **«إيمانك قد خلّصك»**. فالرب يسوع يعتبر الشفاء الجسدى جزءاً من الخلاص.

والآن لنقرأ (مرقس ٦ : ٥٦):

«وحيثما دخل إلى قرى أو مدن أو ضياع، وضعوا المرضى فى الأسواق، وطلبوا إليه أن يلمسوا ولو هدب ثوبه. وكل من لمسه شُفى».

مرّة أخرى الأصل اليونانى للكلمة «شُفى» هنا هو «sozoy» والكلمة تعنى «خَلَصَ». لقد خَلَصَ المرضى من أمراضهم.

٢- الخلاص يتضمن التحرير من الأرواح الشريرة :

يتحدث (لوقا ٨: ٣٥-٣٦) عن التحرير الكامل للرجل الذى كان فيه «لجئون»، وكيف أصبح طبيعياً بشكل كامل عندما أخرج الرب يسوع الشياطين منه:

«فخرجوا ليروا ما جرى. وجاءوا إلى الرب يسوع، فوجدوا الإنسان الذى كانت الشياطين قد خرجت منه لابساً عاقلاً جالساً عند قدمى الرب يسوع، فخافوا. فأخبرهم أيضاً الذين رأوا كيف خَلَصَ المجنون» (لوقا ٨: ٣٥-٣٦).

لاحظ أن الكلمة اليونانية «sozo» قد ترجمت هنا كما ينبغى إلى «خَلَصَ». نعم، إن التحرير من الأرواح الشريرة متاح لنا من خلال ذبيحة الرب يسوع المصلوب وهو جزء من الخلاص.

لقد خدمت آلاف الناس الذين كانوا يحتاجون إلى التحرير من الأرواح الشريرة، وتعلمت من الخبرة أن الشيطان لا يحترم إلا شيئاً واحداً هو الصليب. فقد تخبره أنك معمدانى أو أسقفى أو مشيخى أو خمسينى أو أرثوذكسى أو كاثوليكى ولن يكترث بذلك. ولكن حين تواجهه على أساس ما فعله الرب يسوع على الصليب فهو يرتعشَ.

٣- الخلاص يتضمن القيامة من الموت :

لننتقل إلى (لوقا ٨: ٤٩-٥٠):

«وبينما هو يتكلم، جاء واحد من دار رئيس المجمع قائلا له: قد ماتت ابنتك.لا تتعب المعلّم. فسمع الرب يسوع، وأجابه قائلا لا تخف، آمن فقط فهى تشفى».

مرّة أخرى، فى الأصل اليونانى المعنى هو «فهى تخلص» عوضاً عن «فهى تشفى». والخلاص هنا شمل إعادة إنسان من الموت.

نوال الخلاص :

كما رأينا الشفاء الجسدى، والتحرير من الأرواح الشريرة، وحتى إقامة فتاه صغيرة من الموت، يمكن وصفها كلها بكلمة واحدة «الخلاص». الخلاص هو كل شىء متاح لنا من خلال موت الرب يسوع على الصليب.

فى (أعمال ٤ : ٧) «**ولما أقاموُهما فى الوسط، جعلوا يسألونهما بأية قوّة وبأىَّ اسم صنعتما أنُتما هذا**».

وهنا يسأل رؤساء الكهنة والشيوخ الرسولين بطرس ويوحنا كيف استطاعا شفاء الرجل الأعرج الذى كان يوضع عند باب الهيكل الملقب بالجميل.

«**حينئذ امتلأ بطرس من الروُح القدَس وقال لهم: «يا رؤساء الشعب وشيوخ إسرائيل، إن كُنَّا نفحص اليوم عن إحسان إلى إنسان سقيم، بماذا شفى هذا، فليكن معلوماً عند جميعكم وجميع شعب إسرائيل، أنه باسم الرب يسوع المسيح الناصرىَّ، الذى صلبتموه أنتم، الذى أقامة الله من الأموات، بذاك وقف هذا أمامكم صحيحاً**».

كيف شفى الرجل الأعرج؟باسم المسيح المصلوب.

وبعدها يصل بطرس للنتيجة التالية:

«**وليس بأحد غيره الخلاص**»... (الآية ١٢).

أخيراً (٢ تيموثاوس ٤ : ١٨):

«**وسينقذنى الرب من كل عمل ردىء ويخلّصنى لملكوته السماوى**».

كلمة «يخلص» هنا أيضاً التى يستخدمها بولس الرسول هى كلمة «sozoy» اليونانية، وهى فى صيغة المضارع المستمر: أى «يخلصنى الآن ويستمر فى ذلك»، فالنتيجة المستمرّة لعمل المسيح على الصليب لنا هى الخلاص. من اللحظة التى تؤمن فيها حتى انتقالك من

هذا الزمان إلى الأبدية، فأنت تتحرك ضمن الخلاص المُعد لك فى ذبيحة الرب يسوع المسيح على الصليب.

نصل الآن إلى هذا التحدي:

«فكيف ننجو نحن إن أهملنا خلاصا هذا مقداره...؟» (عبرانيين ٢ : ٣)

يرفض بعض الناس الخلاص، فهم لا يريدونه ولا يؤمنون به، لكن كثيرون هم المؤمنون الذين لا يرفضون الخلاص، بل يهملونه! فهم لا يكتشفون ما أعدّه الله لهم، بل يقبلون تقاليداً وطقوساً طائفية عن الصليب.

قادنى الله أثناء مرضى الطويل للنقطة التى اضطررت عندها لاكتشاف مكنونات الخلاص، ولم يكن هناك شيء آخر يستطيع أن يخرجنى من حالتى المرضية تلك. ربما يقودك الله إلى تلك النقطة عينها، لعلّك تكف عن إهمال خلاصه! وستدرك فى مرحلة ما من حياتك ـ ربما الآن ـ احتياجك الشديد للخلاص.

ليساعد الله كل واحد فينا حتّى لا يهمل الجانب الجسدى من خلاصه العظيم.

المطالبة بهذه المبادلات :

من أسهل الطرق وأكثرها عملية لنوال ما أعدَه الله لك هو شكره عليه والاعتراف به بلسانك. وسأضع هاتين المبادلتين فى شكل اعترافين، فرددهما بالإيمان:

«عُوقب الرب يسوع لكى أنال أنا الغفران».

«جُرِحَ الرب يسوع لكى أنال أنا الشفاء».

إن آمنت حقاً بهذين الإعلانين، فلا بُد من أن تقول **«شكراً يا رب الرب يسوع لأنك منحتنى الغفران والشفاء من خلال ذبيحتك».**

الفصل الخامس

البر بدلاً عن الخطيّة

ستتحدث فى هذا الفصل عن محاولات الشيطان أن يشعرنا بالذنب، وكيف نتمكن من هزيمة هذا المشتكى. لقد تأسست نصرتنا على الجانب الثالث من جوانب المبادلة الإلهية التى أُنجزت من خلال عمل المسيح الكامل على الصليب، وهو مبادلة الخطيّة بالبر. والحقيقة الأخرى هى أن الكثير من المؤمنين قد فشلوا فى إدراك هذه المبادلة حتى أن جزءاً من ميراثنا الروحى الضخم قد سُلب منا.

يجب أولاً أن نفرّق بين الخطايا (بالجمع) والخطيّة (بالمفرد). فالخطايا هى كل الأفعال الخاطئة التى نرتكبها، وقد عُوقب الرب يسوع حتى يغفر لنا هذه الأفعال الخاطئة. أمّا الخطيّة فهى تلك القوّة الشريرة، أو الطبيعة الشريرة التى تدفعنا لارتكاب الخطايا. ولن يكون تحريرنا كاملاً، ما لم يتم التعامل مع هذه القوّة الشريرة للخطيّة.

نعود مرّه أخرى إلى أصحاح الكفَّارة العظيم فى (إشعياء ٥٣):

«**أمّا الرب فسُر بأن يسحقه بالحَزَن. إن جعل نفسه ذبيحة إثم، يرى نسلاً، تطول أيَّامُه، ومسرّة الرب بيده تنجح**» (الآية ١٠).

هذه نبوّة واضحة عن قيامة الرب يسوع. فالآية تقول إن هذا العبد المتألم بعد أن يجعل الله «نفسه ذبيحة إثم» سيرى «نسلاً تطول أيامه، ومسرَة الرب بيده تنجح». وهذا لا يمكن أن يحدث لو بقى الرب يسوع فى القبر!

إن الله الآب قد جعل نفس الرب يسوع ذبيحة إثم (أى ذنب)». تضع إحدى الترجمات هذه الآية كالتالى: « ...**رضى الله أن يسحقه بالألم، فجعل** (أى الله) **حياته ضحية للتكفير**

عن الذنب» . والمفتاح هنا هى كلمة «**ذنب**» . ولنتذكر ونحن ندرس هذه الآية أن الذبائح فى العهد القديم كانت مجرد رموز مسبقة لما سوف يعمله الله من خلال ذبيحة الرب يسوع المسيح.

كان من يرتكب خطايا معيّنة فى ظل العهد القديم، يُطالَب بأن يجد التقدمة المناسبة كثور أو كبش أو خروف، ويحضرها إلى الكاهن فى الهيكل معترفاً بخطيّته. ثم يضع المذنب يده على الذبيحة الحيوانية، فتنتقل الخطيّة رمزياً من الشخص إلى الحيوان. وبانتقال الخطيّة إلى الحيوان يقع العقاب فيُقتل بدل الإنسان، وكأن الحيوان دفع عقاب خطيّة ذلك الشخص.

كانت هذه صورة لما حصل عندما سُمِّرَ الرب يسوع على الصليب، فقد نقل الله الآب كل خطايا البشرية على نفس ابنه. يقول إشعياء كلاماً مذهلاً لا أظن أن أحداً سيتمكن من سبر أغواره بشكل كامل، وهو إن الله جعل نفس الرب يسوع أو حياته، ذبيحة أو للتكفير عن الذنب .. نفس الرب يسوع هى الذبيحة المقدّمة عن خطايا الجنس البشرى كله.

حين نتأمل فى قداسة الرب يسوع وطهارته الكاملة، لا يمكننا حتى أن ندرك ما يشمله كون «نفس» الرب يسوع هى ذبيحة إثم عن البشرية. كلنا نفكر بأشياء نتمنى لو لم تحدث، أو لو أننا لم نفعلها، وكلنا يشعر بالحرج أو حتّى الاشمئزاز من ذكريات معينة. والآن فكر فى ابن الله الذى بلا خطيّة حين تحمل جميع خطايا الجنس البشرى. هذه هى الكأس التى كان الرب يسوع كارهاً لأن يشربها فى بستان جسثيمانى حين استعرض الرب يسوع فى ذهنه الآلام الجسدّية، والثقل الروحى الهائل لخطايا البشر الذى كان سيُوضع على نفسه، قال: «**يا أبتاه، إن شئت أن تجيز عنى هذه الكأس**» (لوقا ٢٢ : ٤٢). ولكن شكراً لله، لأن الرب يسوع أضاف «**ولكن لتكن لا إرادتى بل إرادتك**» . وبهذا تحققت لنا الكفّارة.

والآن ستحتاج أن تفتح كتابك المقدّس على (٢كورنثوس ٥ : ٢١)، ربما لم تدرك حين كنت تقرأ هذه الآية سابقاً أنها اقتباس من (إشعياء ٥٣ : ١٠):

«**لأنّه** (أى الله) **جعل الذى لم يعرف خطيّة** (أى الرب يسوع)، **خطيّة لأجلنا، لنصير نحن برَّ الله فيه**» .

ما هو عكس الخطيّة؟ إنه البر . وهنا تحدث المبادلة:

جُعل الرب يسوع خطيّة بخطايانا، لكى نتبرّر نحن ببرّه.

هذه فكرة مربكة ومذهلة! لكنها كتابية تماماً، فلن نتمكن أبداً من بلوغ بر الله بمجرد محاولة عمل الصلاح. والإيمان هو الطريق الوحيد الذى به ندرك هذا البر، و يجب أن نؤمن بما لا يمكن تصديقه، فالرب يسوع قد جعل خطية بخطايانا لنصير نحن بر الله فيه.وهذا بالفعل اعلان مثير.

ليس خلاص فقط بل وتبرير:

صورة أخرى من إشعياء تظهر لنا هذه المبادلة ونتائجها:

«فرحاً أفرح بالرّب. تبتهجُ نفسى بإلهى، لأنَّه قد ألبسنى ثياب الخلاص. كسانى رداء البرّ» (إشعياء ٦١: ١٠).

لا يتكلم الكاتب فى هذه الآية عن فرح عادى بل عن سعادة غامرة. الكلمة «أفرح» المستخدمة هنا هى «سوس» فى العبرية، وعندما تريد أن تؤكد على فرحك فى اللغة العبرية، يمكنك استخدام صيغة «سوس أسيس» (المعادلة للمفعول المطلق فى العربية)، فتصير العبارة «أفرح فرحاً» بالرّب. لماذا؟ لأن الله قد ضاعف البركة.

لقد نزع عنّا الله ثيابنا القذرة المُلطخة بالخطايا، ثم ألبسنا ثياب الخلاص. من الرائع حقاً أن نلبس ثياب الخلاص. لكن البركة لا تتوقف هنا، فالله يريد أن يكسونا أيضاً برداء البر . تقول ترجمة كتاب الحياة «**سَرْبَلَنِى (أحاطنى) بِرِدَاءِ البر**». فالله لا يعطيك فقط الخلاص من الخطيّة، لكنه يحيطنا أيضاً برداء بره الذى فى المسيح الرب يسوع.

والتبرير فى أصل اللغات الكتابية يتضمن معنى التبرئة و التبرير (وفيها معنى التبرئة من الذنب فى اللغة العربية).

لنفرض أنك متهم فى محكمة الجنايات بجريمة عقوبتها المؤكدة هى الموت، وأنت جالس تنتظر صدور الحكم، وأخيراً يُتلى قرار الحكم «غير مذنب!» صدقنى ستكون فى غاية الفرح

والإثارة! لن تتقدّم إلى القاضى حينها لتصافحه وتقول: «شكراً لك، لقد كانت رسالتك رائعة!» ولن تذهب إلى زوجتك أو صديقك لتقول له: «كانت محاضرة اليوم مفيدة!» بل ستقفز للأعلى وأنت تصرخ: «أنا لست مذنباً! أنا برىء! أنا حر!» وسيكون قد أُزيل عن كاهلك عبء ثقيل لا يطاق.

هذا هو معنى التبرير. كنت مُتهماً فى محكمة السماء، وقد أعلن الحكم: براءتك. حُسِبت مستقيماً وكاملاً وكأنك لم تخطئ أبداً! لا شىء يستطيع الشيطان توجيه أصبعه نحوه ليقول أنك مذنب بهذا.

عندما بدأت كشاب بريطانى أذهب بانتظام إلى إحدى الكنائس الإنجليزية، كان ظاهراً لى حينها كمراهق أن الناس الذين كانوا يتلون تلك الكلمات الجميلة من كتاب الصلاة فى الكنيسة لم يكونوا بالحقيقة يؤمنون بما يقولون. تصوّرت سيّدة وقورة تسير إلى خارج الكنيسة فيسقط منديلها المُطرّز على الأرض، فأركض خلفها وأقول: «سيدتى، ها هو منديلك، لقد سقط منك». إن فرح وإثارة تلك المرأة باسترجاع منديلها سيكون أكبر بكثير من فرحها بكل ما حدث فى الكنيسة. لماذا؟ لأن ما كانت تقوله وتسمعه فى الكنيسة لم يكن حقيقياً بالنسبة لها.

أنا أحاول أن أجعلك تتأكد أن حصولك على البر هو أمر حقيقى، لا شىء يظهر ضدك فى سجلات السماء. إذا حافظت على مكانتك فى المسيح، فلن يكون للشيطان مجال للشكاية ضدك.

الحماية من الشعور بالذنب:

إن سلاح الشيطان الرئيسى ضد البشرية هو الشعور بالذنب. لكن كن حذراً من أى شخص أو أى شىء يجعلك تشعر بالذنب، فهذا الشعور لا يأتى من الله. الروح القدّس «**يبكت العالم على خطيّة وعلى بر وعلى دينونة**» (يوحنا ١٦: ٨)، ولكن هذا التبكيت مختلفاً تماماً عن الشعور بالذنب.

عندما يبكّت الروح القدّس على خطيّة، فهو يقول: «أنت فعلت هذا الأمر، وهو خطأ. يجب

عليك أن تتوب وتصحح مسارك، وهذه هى الطريقة التى بها تصحح مسارك» ...، وحين تعترف وتتوب وتفعل ما هو ضرورى وترد ما سلبته، ينتهى الأمر ولا يجب أن يتبع الأمر أى أفكار أخرى أو أشياء يجب أن تفعلها أو لا تفعلها. أنك عند الشعور بالذنب، لن تتوقف عن التفكير بأن ما فعلته للتعويض كافياً. فقد يشعر أحدهم أنك لم تعامله بطريقة صحيحة، فيتولد لديه شعور بالرفض، أو الغضب أو الاساءة، ومهما كان ما تقوله أو تفعله لذلك الشخص بعدها لن يكون كافياً ليزيل منك الشعور بالذنب. ليس الروح القدّس هو من يعمل هنا، بل قوّة شريرة من مصدر مختلف.

قاوم كل ما يجعلك تشعر بالذنب، فالاستسلام لهذا الشعور هو إنكار لعمل الصليب، وهو مختلف عن تبكيت الروح القدّس. الشعور بالذنب لا ينتهى، بل يستمر ويستمر وما تفعله لترتاح من هذا الشعور لن يكون كافياً. إذا كان الشيطان يصر فى محاولته أن يشعرك بالذنب، فاثبت فى وعد الله كما جاء فى (إشعياء ٥٤: ١٧):

«كل آلة صورت ضدك لا تنجح، وكل لسان يقوم عليك فى القضاء تحكمين عليه. هذا هو ميراث عبيد الرب وبرّهم من عندى يقول الرب».

ما أروع هذه الأخبار! فلا شىء من أسلحة الشيطان ضدك سينجح! فإطمئن. سيستمر الشيطان فى استخدام سلاح الشعور بالذنب ضدك، لكنه فى النهاية سيفشل.

لاحظ أيضاً أن الله لا يقول إنه هو من سيحكم على كل لسان يقوم عليك، بل أنت من سيفعل هذا، فعلى أساس ما عمله الرب يسوع لأجلك على الصليب، يجب عليك أن ترفض جميع اتهامات الشيطان وترفض الاستسلام للشعور بالذنب والإدانة. ليس برك أنت هو ما يتحداه إبليس، بل بر الله الذى قد إنتقل إليك.

وعلى هذا الأساس تستطيع رفض أى اتهام شيطانى ضدك، فأنت لست مداناً. تذكر رداء البرّ. لا يهم من أى جانب يحاول الشيطان الاقتراب إليك، فكل ما يستطيع أن يراه هو بر المسيح الذى يغطيك وهذا ما جاء فى (رومية ٨: ١):

«**لا شىء من الدينونة الآن على الذين هم فى المسيح الرب يسوع**» .

الأصحاح الثامن من رسالة رومية يعطينا هى صورة حية للحياة المقادة بالرّوح، والآية (١) هى المدخل لتلك الحياة. وهى تقول «**لا شىء من الدينونة**»... لا تستطيع أن تحيّا حياة منقادة بالروح القدّس وأنت تحت دينونة. ولهذا يجب أن تتعلم كيف تتعامل مع الدينونة. يقول الله أن عليك أن تحكم عليها، لماذا؟ لأن الرب يسوع جُعل خطيّة بخطايانا، لكى نتبرّر نحن ببرّه.

ترسم لنا (رؤيا ١٢ : ١٠) صورة المعركة الأخيرة بين شعب الله ومملكة الشيطان:

«**وسمعتُ صوتاً عظيماً قائلاً فى السماءِ: الآن صارَ خلاصُ إلهنا وقدرتهُ وملكهُ وسلطانُ مسيحه، لأنّهُ قد طُرح المشتكى على إخوتنا الذى كان يشتكى عليهم أَمام إلهنا نهاراً وليلاً**» .

يا لها من صورة رائعة لما سيحدث فى المستقبل! ولكن هى أيضاً صورة للشكاية المستمرّة علينا أمام عرش الله. الشيطان يشتكى علينا باستمرار أمام عرش الله محاولاً أن يثبت أننا مذنبون، فكيف نغلب هذا المشتكى؟

«**وهم** (شعب الله) **غلبوه بدم الخروف وبكلمة شهادتهم**» (الآية ١١). حين نشهد شخصياً بما تقوله كلمة الله عن دم الرب يسوع وما عمله لأجلنا، يُغلق فم الشيطان.

الإعتراف بالمبادلة الثالثة:

من أبسط الطرق وأكثرها عملية لتنال ما أعدّه الله لك ـ كما أشرنا فى الفصل الماضى ـ أن تشكر الله على عمله، وتعترف بفمك بهذا العمل. والآن إعلن هذه المبادلة الثالثة بأن تعترف بها بفمك:

«**جُعل الرب يسوع خطيّة بخطاياى، لكى أتبرّر أنا ببرّه**».

أشكرك يارب يسوع لأنك جعلتنى بارّاً.

الفصل السادس

الحياة بدل الموت

غطينا حتى الآن ثلاثة جوانب أساسية من المبادلة الإلهية العظمى التى سبق الله وأعدها ثم تممها الرب يسوع بموته على الصليب:

- **عُوقب الرب يسوع لكى يُغفر لى خطاياى.**
- **جُرح الرب يسوع لكى أُشفى.**
- **جُعِل الرب يسوع خطيّة بخطيتى لكى أتبرر أنا ببره.**

والآن ننتقل إلى الجانب الرابع من المُبادلة وهو جانب عظيم برغم بساطته: مات الرب يسوع موتنا لكى نشترك معه فى حياته.

لقد وضع الرب يسوع حياته، لكى يمنحنا الحياة. يقول الرب يسوع فى (يوحنا ١٠ : ١٠):

«السارق لا يأتى إلا ليسرق ويذبح ويهلك، وأما أنا فقد أتيت لتكون لهم حياة، وليكون لهم أفضل».

هناك اختلاف ضخم بين ما وهبنا إيّاه الرب يسوع وبين ما نستحقه: «**لأن أجرة الخطيّة هى موت، وأما هبة الله فهى حياة أبدية بالمسيح الرب يسوع ربنا**» (رومية ٦ : ٢٣).

فى هذه الآية هناك مقارنة مقصودة بين الأجرة والهبة المجانية. الأجرة نكسبها نتيجة أعمالنا، ومن العدل أن نأخذ أجرة على ما نعمل .. من يمنع عنك أجرتك هو شخص غير

عادل. لكن الهبة المجانية هى شىء لا يمكنك أن تكسبه بمجهودك، فمن الحمق أن تقول: «كل ما أريده هو العدل» إن أردت العدل، فسيعطيك الله كلى العدل ما تريد. والعدل هو أن تأخذ أجرتك، وأجرتك هى الموت!

يسرد لنا لورين كننجهام «Loren Cunningham» قصة عن امرأة ذهبت إلى ستوديو للتصوير من أجل صورة شخصية لها. وبعد فترة عادت تلك السيدة لتأخذ الصورة، فلمّا رأتها قالت للمصوّر: «هذا ليس عدلاً» فنظر إليها المصوّر وقال: «سيدتى، أنت لا تحتاجين إلى عدلٍ بل إلى رحمة!»

فكّرت كثيراً بهذه القصّة، وحين أذكرها بين الحين والآخر أقول لنفسى: «أنا لا أحتاج إلى عدل بل إلى رحمة».

الرحمة هى البديل عن العدل. إذا تخلّيت عن أجرك، فهذا يؤهلك للهبة المجانية للحياة الأبدية غير المُكتسبة بالجهد. هذا لأن الرب يسوع أخذ أجرة الخطايا التى ارتكبناها نحن، وقبلها عِوضاً عنّا. نقرأ فى (عبرانيين ٢ : ٩)، أن الرب يسوع «**وُضع قليلا عن الملائكة... لكى يذوق بنعمة الله الموتَ لأجل كل واحد**». لقد ذاق الرب يسوع الموت من أجلك ومن أجلى.

قلنا فى الفصل الثالث إن الرب يسوع ـ الذى ذاق الموت عن كل نسل آدم ـ هو «**آدم الأخير**» (١كورنثوس ١٥ : ٤٥)، وهو «الإنسان الثانى» (١كورنثوس ١٥ : ٤٧). باعتباره «**آدم الأخير**» فقد ألغى كل الميراث الشرير المستحق علينا من آدم الأول ومن كل نسله بمن فيهم أنت وأنا. كانت آخر كلمات الرب يسوع قبل الموت: «**قد أُكمل**»، كان موته هو النهاية. وحين دُفن، دُفن معه كل ميراثنا الشرير ثم قام فى اليوم الثالث باعتباره الإنسان الثانى، رأس الجنس الجديد. **لقد مات يسوع موتنا ليعطينا حياته**.

نحتاج للعودة مرّة أخرى إلى العهد القديم لكى نفهم بدقة طبيعة هذه المُبادلة.

عطاء الله الكامل من أجل فدائنا :

سأقوم فى هذا الفصل بتوضيح مفهوم هام، فإن تمسكت به، سيساعدك لتنال المزيد من حياة الله، وتصبح أكثر إدراكاً وتقديراً للرب يسوع. ولهذا الغرض فنحن نحتاج إلى البحث عن كلمات معيّنة فى الكتاب المقدّس تترجم فى العربية بكلمة «**حياة**»، وسنتأمل فى مبادىء العدل الإلهى الموجودة فى ناموس موسى.

نَفسٌ بِنَفسٍ :

يتكلم الكتاب فى (خروج ٢١ : ٢٣ـ٢٥) عن الأذى غير المتعمّد لشخص ما: «**وإن حصلت أذيّة، تعطى نفساً بنفس، وعيناً بعين، وسناً بسن، ويداً بيد، ورِجلاً برِجل، وكيّاً بكى، وجرحاً بجرح، ورضّاً برض**» . فلتعويض الأذى الذى حدث يجب أن يُقدم مقابلهُ شيءٌ له نفس القيمة.

لندرس معاً ما يتضمنه معنى قول الكتاب «**تعطى... نفساً بنفس**». توجد فى اليونانية التى كتب بها العهد الجديد ثلاث كلمات مختلفة تماماً يجب أن نميز بينها. الكلمة الأولى «psuche» والتى تعنى «نفس»، والثانية «zoe» وتعنى «الحياة الأبدية»، والثالثة «bios» وتعنى «الحياة الطبيعية». وفى لغة العهد القديم العبريّة هناك كلمة ملفتة للنظر هى «نفيش»•. وهى تعنى «نَفْساً» أو «حياةً» أو «شخصاً». يقول الكتاب فى (تكوين ٢ : ٧): «**فصار آدم نَفْساً** (نفيش) **حيّة**» . فإذ إتحد روح الله مع تراب الأرض، ظهر شىء جديد تماماً: آدم، الشخص، الحياة الجديدة، الشخصية الجديدة، الـ «نفيش».

«**نَفْسٌ بِنَفْسٍ**» فى (خروج ٢١ : ٣)، هى فى العبرية «**نفيش بنفيش**» . فإذا قُتل شخص ما فى جريمة، فالشخص الآخر عليه أن يدفع العقاب بحياته، أى بنفسه. وإذا نظرنا فى (تثنية ١٩ : ٢١): «**لا تشفق عينك. نَفْسٌ بِنَفْسٍ، عين بعين، سن بسن، يد بيد، رِجل برِجل**» . فإننا نجد المبدأ نفسه: «نفيش بنفيش».

• «نفيش» فى العبرية هى المرادف لكلمة «نَفْس» العربية.

النفس هى فى الدم:

ما هى النّفْسُ؟ نجد الإجابة على هذا فى (لاويين ١٧: ١١) حيث يتكلم الله بكلمة نبوية رائعة:

«لأن نَفْسَ الجسد هى فى الدّم. فأنا أعطيتكم إياه على المذبح للتكفير عن نفوسكم، لأن الدّم يكفّر عن النّفْس».

فى بداية هذه الآية نقرأ «**لأن نَفْسَ الجسد هى فى الدّم**». فما أهميّة ذلك؟ يمتلك الإنسان روح ونَفْسٍ وجسد، وعندما تنطلق الروح من الجسد، فهو يتوقف عن التّنَفّسِ. وعندما تنطلق النَّفْسُ، يتوقف الدّم عن السريان، فنَفْسُ الجسد هى فى الدّم، ولهذا يقول الله: «**أنا أعطيتكم إياه على المذبح للتكفير عن نفوسكم**». وربما الأصح: «**أعطيتكم إياها** (أى النّفْسَ أو الحياةَ) **للتكفير عن نفوسكم**». أى أن النّفْسَ تكفّر عن نَفْسٍ أخرى. وبما أن النّفْسَ هى فى الدّم، يجب أن يُسفك الدّم ككفَّارة، فتكون حياةٌ بحياة.

والآن نعود إلى أصحاح الكفَّارة العظيم (إشعياء ٥٣). تقول الآية الختامية من الأصحاح الذى يتحدث عن ما أنجزه عبد الرب بآلامه:

«لذلك أَقسمُ له بين الأعزاء، ومع العظماء يقسم غنيمة. من أجل أنه سكب للموت نَفْسَهُ (نفيش) **وأُحصى مع أَثَمَةٍ. وهو حمل خطيّة كثيرين، وشفع فى المذنبين».**

وتستخدم بعض الترجمات كلمة «حياة» بدلاً من «نفس» فتكون الأية: «**من أجل أنه سكب للموت حياته**». ولكن الكلمة العبرية هى «نفيش» فكلمة «نفس» هى أفضل الترجمات.

فكيف سكب الرب يسوع نفسه للموت؟ الجواب: من خلال دمه؛ نَفْسُهُ بدل كل البشرية. لقد بذل الرب يسوع نفسه عن البشرية عندما نزف ومات على الصليب.

حين أقرأ قصّة الصلب، يتولد لدى انطباع أن جسد الرب يسوع قد تصفى من الدّم حتى آخر قطرة. لقد مزّقوا ظهره، ووضعوا إكليل الشوك على رأسه، ثقبوا يديه ورجليه، فكان ينزف بغزارة. وحين مات، طعنه جندى برمح فى قلبه، فخرج منه ماء ودم. وهكذا انسكب كل الدّم الذى فى جسده على الصليب. لقد سكب نَفْسَهُ عن كل الجنس البشرى بصفته آدم الأخير.

تقدير قيمة دم الرب يسوع:

أنا من خلفية تزن الأمور بالمنطق، ورغم أنى أقبل مبادئ معيّنة بالإيمان، فإنى ـ عاجلاً أو آجلاًـ أتوق أن تثبت هذه المبادئ نفسها بالمنطق. لذا لم يصبح هذا المبدأ حيوياً ومنطقياً بالنسبة لى، إلا بعد أن أدركت حقيقة أن النّفْسَ هى فى الدّم.

لسنوات آمنت بالكفّارة. آمنت بأن الرب يسوع كان ذبيحة عن خطايانا. كنت أعلم أن ذبيحته قدمت الغفران لكل البشرية. لكنى بدأت أتساءل كيف قُدِّمت نَفْسُ ابن الله عن كل البشرية؟ وتوصلت إلى إجابة: إن حياة الله الخالق غير محدودة، وقيمتها أعظم بكثير من حياة كل الخليقة التى خلقها. لذلك فإن نَفْسَ الرب يسوع ابن الله كانت أكثر من كافية ككفّارة عن نفوس كل الجنس البشرى. يقول (مزمور ١٣٠: ٧) «**ليرجُ إسرائيلُ الرب، لأن عند الرب الرحمة، وعنده فدىً كثيرٌ**». فالله لم يدفع فقط ثمن فدائنا، بل دفع أكثر من الثمن المستحق بكثير.

هذا هو المفهوم الذى قلت لك إنك إن تمسكت به تصبح أكثر إدراكاً وتقديراً للرب يسوع. فقد كانت نَفْسُهُ التى بذلها على الصليب، من خلال سفك دمه، ذبيحة فداء لكل الجنس البشرى، وذلك وفقاً للمبدأ الذى درسناه للتو: نَفْسٌ بِنَفْسٍ.

لذلك يجب أن نكون فى غاية الحذر حين نتكلَم عن دم الرب يسوع. كنت أسمع أحياناً حتَى بعض الإنجيليين والكارزماتيين يقولون: «كان الدّم شيئاً سلبياً، إنه ثمن الخطيّة فحسب!» أنا لا أؤمن بهذا، وأنصحك أن لا تفكر بهذه الطريقة، وألا تقلل من قيمة دم الرب يسوع.

للأسف فإن الكنيسة اليوم مليئة بجميع أنواع من هذه التعاليم غير الكتابية، وكثير من الطوائف حذفت من كتب الترانيم كل ما يتكلّم عن دم الرب يسوع. من الذى يقف خلف هذا؟ بالتأكيد ليس الله!

وكما قرأنا فى (لاويين ١٧ : ١١) «**لأن نَفْسَ الجسد هى فى الدّم**»، فَنَفْسُ الجسد ليست شيئاً سلبياً بل هى أكثر شيء إيجابى يمكن أن نفكر فيه. حياة الله هى فى دم الرب يسوع، والسماء تنظر بمقت واشمئزاز لمن يقلل من قيمة دم الرب يسوع، لأن كل السماء قد شهدت على الذبيحة حين سكب الرب يسوع كل قطرة من دمه الحى.

أؤمن أيضاً، أننا حين نُعبّر عن امتناننا وتقديرنا لدم الرب يسوع، فإننا نجذب الروح القدس للمشهد. أتذكر ترنيمة جميلة لتشارلس وسلى (Charles Wesley) يقول فى أحد مقاطعها: «روح الرب يستجيب لإعلان الدّم»، فحين نعلن الحق الخاص بدم الرب يسوع، يقول الروح القدَس «هذا هو المكان الذى أريد أن أمكث فيه، فهؤلاء الناس يقولون الأشياء التى أحب أن أسمعها».

التغذّى بدم الرب يسوع

قال الرب يسوع فى (يوحنا ٦ : ٥٤-٥٦):

«**من يأكل جسدى ويشرب دمى، فله حياة أبدية، وأنا أُقيمه فى اليوم الأخير.لأن جسدى مأكل حقٌ، ودمى مشربٌ حقٌ. من يأكل جسدى، ويشرب دمى، يثبت فىَّ وأنا فيه**».

انزعج بعض تلاميذ الرب يسوع من هذا الكلام إلى درجة أنَهم تركوه، وما زال هذا الموضوع اليوم يسبب مقاومة عند بعض الناس. يوجد فى الدّم شيء يضايق النّاس. التفكير فى الدّم «يقلب المعدة!». حين كنت صغيراً، كان منظر الدّم يجعلنى أتقيأ، واستمر الأمر سنوات حتَى تخلصت من هذه الحالة. شيء ما داخل كل شخص فينا، لا يحب مشهد الدّم أو التفكير فيه.

ولكن بعض الأشياء التى تضايقنا هى أشياء ضرورية. الصليب عار، ولكن بدونه لا يوجد فداء ولا رجاء، فرجاؤنا يعتمد بشكل كامل على إمتيازات دم الرب يسوع.

«**فقال لهم الرب يسوع، الحق الحق أقول لكم إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه، فليس لكم حياة فيكم**» (يوحنا ٦: ٥٣).

لماذا؟ لأن الحياة هى فى الدّم، و يجب أن نتغذَى على الرب يسوع حتى يكون لنا حياه كما يجب أن نقدّر ما فى دمه من حياة لنا.

الوحيد فى الكون الذى يمتلك حياة فى ذاته هو الله، و لا أحد فينا له حياة فى ذاته، فنحن لا نمتلك مصدر الحياة، بل نعتمد على مصدر آخر.

هذا هو فى الواقع جوهر كلمة «نفيش»، فهذه الكلمة تصف الحياة غير المستقلة، والمُعتمدة على غيرها. صار آدم نَفْساً حية، وكانت حياته هذه معتمده على نفخة الله التى فيه. من (١كورنثوس ١٥: ٤٥) «**صار آدمُ، الإنسانُ الأول، نَفْساً حيّة، وآدمُ الأخير روحاً مُحيِياً**». يتضح أن اللهُ قد أعطى يسوعَ حياةً فى ذاته، وأن يسوعُ يعطى الحياة.

تحدثنا فى بداية هذا الفصل عن كلمات الرب يسوع فى (يوحنا ١٠: ١٠) «**أتيت لتكون لهم حياة، وليكون لهم أفضل**». فجميعنا نعتمد فى حياتنا على الله، والطريق الوحيد للحياة الأبدية الذى يعطينا إياه الله هو دم الرب يسوع، فإن كنت تريد الحياة، فيجب أن تدرك أنها تأتى من خلال دم الرب يسوع. وكلما تعلمت أن تقدّر دم الرب يسوع، وتتأمل به، كلما أصبحت حياتك أفضل وأكثر وفرة.

كيف نتغذّي بدم الرب يسوع؟

بدأت خدمتى فى فلسطين عام ١٩٤٦ فى قرية عربية اسمها رام الله، ورغم أنَى لم أكن أتكلم العربية بطلاقة، فقد كنا نتحدث بها فى البيت. وقد عرفت أن العرب فى تلك

المنطقة حين يريدون أن يأخذوا مائدة الرب يقولون: «لنشرب دم الرب يسوع!» ولهذا أصبح تناول مائدة الرب بالنسبة لى يعنى أن أشرب دم الرب يسوع، وهذه هى الطريقة التى ننال بها حياة ونَفْسَ الرب يسوع التى جعلها مُتاحةً لنا.

عندما مات الرب يسوع على الصليب وسكب دمه، انطلقت حياة الله فى الكون، وأصبحت مُتاحة لكل من يقبلها بالإيمان بالرب يسوع المسيح. قبل ذلك كانت حياة الله مقتصرة على الله وحده.

إن التفكير فيما حدث حين مات الرب يسوع على الصليب يذهل العقل البشرى! فمن خلال دم الرب يسوع الذى سفك مجاناً انطلقت حياة الله، وأصبحت متاحة لنا من خلال دم ابنه، ولا يوجد طريق آخر للحياة غير الدّم.

حين كنت متزوجاُ من روز، وعلى مدار عشرين سنة، عشنا حياة الترحال. تنقلنا كثيراً، ونادراً ما مكثنا لمدة طويلة فى مكان واحد، واكتشفنا أن ممارسة أمور معينة معاً كل يوم يحافظ على اتزان علاقتنا. من أكثر الأشياء العزيزة علينا والتى كنا نفعلها قبل أن ننخرط فى الأعمال اليومية هى عمل كسر الخبز معا، وكرأس وكاهن على بيتى، كنت أقدّم كسر الخبز لروز زوجتى كل يوم، وكنَا نعلن معاً هذا الاعتراف: «نشكرك يا رب لأنه من خلال دم الرب يسوع، أصبحت لنا حياة الله، تلك الحياة السماوية الأبدية الرائعة غير المنتهية». هذا ما آمنّا به طوال العشرين سنة، وما زلت أؤمن به.

الاعتراف بالمبادلة الرابعة:

هل تعلن اعترافك بهذه المبادلةالرابعه؟ ردد معى الكلمات التالية:

«مات الرب يسوع موتى لكى أقبل أنا حياته».

أشكرك يا رب الرب يسوع لأنك أعطيتنى حياتك.

الفصل السابع

البركة بدل اللعنة

والآن لننتقل إلى الجانب الخامس من المبادلة على الصليب، وهو الانتقال من اللعنة إلى البركة كما هو معلن بوضوح فى (غلاطية ٣: ١٣ـ١٤):

«المسيح افتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنةً لأجلنا، لأنّه مكتوب: ملعون كل من علق على خشبة، لتصير بركة إبراهيم للأمم فى المسيح يسوع، لننال بالإيمان موعد الروح».

وهذه هى المبادلة: كل اللعنات التى يمكن أن تأتى علينا، أتت على الرب يسوع عوضاً عنا، لتكون كل البركات التى للرب يسوع متاحةً لنا. لقد حُسب الرب يسوع لعنة بدلا منا، لتكون لنا «بركة إبراهيم».

ما هى الطرق التى بارك بها الله إبراهيم. الإجابة فى (تكوين ٢٤: ١) «**وشاخ إبراهيم وتقدّم فى الأيام. وبارك الرب إبراهيم فى كل شىء**»، فبركة إبراهيم تغطى كل جوانب حياتنا. وهذه البركة متاحة لنا من خلال الإيمان بالمبادلة التى تمّت على الصليب حيث حُسب الرب يسوع لعنةً لأجلنا.

حتَى نفهم طبيعة البركات واللعنات، نحتاج أن نقرأ (غلاطية ٣: ١):

«أيّها الغلاطيون الأغبياء، من رقاكم حتى لا تذعنوا للحق؟ أنتم الذين أمام عيونكم قد رُسم الرب يسوع المسيح بينكم مصلوبا».

ثم يقول بولس الرسول فى الآية ٥: «**فالذى يمنحكم الروح ويعمل قوّات فيكم، أبأعمال الناموس أم بخبر الإيمان؟**» وفى لغتنا المعاصرة يمكننا أن نقول ألعله

يتحدّث إلى كارزماتيين أو ممتلئين بالروح القدس؟ لكن بولس يسأل فى بداية الأصحاح «**من رقاكم** (أى من سحركم)؟» هذا أمر غريب! فلماذا يقول بولس هذا الكلام عن أشخاص ممتلئين بالروح القدس؟ لأنهم فقدوا رؤيتهم للصليب وحولوا نظرهم عنه. يقول بولس الرسول للغلاطيين إنهم عرفوا الرب يسوع المسيح وسمعوا عن الصليب حتّى وكأنه رُسم أمام عيونهم، لكن شيئاً ما حدث لهم وشتت عيونهم عن الصليب. فى الحقيقة، لقد تحركت قوّة شريرة شيطانية وحجبت عنهم مفهوم الصليب. إن الكلمة اليونانية المترجمة «رقاكم» هى «باسكينو ـ baskaino» والتى تعنى «سحراً» أو «شعوذة».

خداع السّحر:

لن أدخل فى تفاصيل عن السّحر الآن، ولكن من المهم أن تعرف أن نوالك الخلاص، أو امتلاءك بالروح القدس أو مشاهدتك للمعجزات لا يضمن لك الحماية من الخدع الشيطانية. من الممكن للشيطان أن يؤثر على المؤمنين، وذلك ليضللهم عن الصليب، فإذا فقدنا تركيزنا على الصليب، وهو الأساس الوحيد لننال عطايا الله، فلن نتمكن من نوالها.

كما أن الصليب هو المكان الذى هزم فيه يسوع الشيطان ومملكته. يقول بولس الرسول عن يسوع فى (كولوسى ٢ : ١٥): «**إذ جرّد الرّياسات والسلاطين، أشهرهم جهارا ظافرا بهم فيه** (فى الصليب)». فلا يستطيع الشيطان أبداً أن يلغى هزيمته فى الصليب، لكن إستراتيجيته الماكرة هى فى محاولة منع الناس (وحتى المؤمنين) من إدراك ما تم تحقيقه على الصليب.

تبدأ كل رسائل بولس الرسول تقريباً بتقديم الشكر لله لما يفعله فى حياة من يرسل لهم تلك الرسائل. ورغم اضطراره لتوبيخ كنيسة كورنثوس على حالات من الزنى والسكر والخلاعة على مائدة الرب، إلا أنه بدأ الرسالة بالشكر لله على نعمته التى أعطاها لتلك الكنيسة، انظر (١كورنثوس ١ : ٤). ولكن حين كتب لكنسية غلاطيّة، فقد أظهر من بداية الرسالة قلقه الشديد على حالتهم: «**إنى أتعجب أنكم تنتقلون هكذا سريعاً عن الذى دعاكم بنعمة المسيح إلى إنجيل آخر**» (غلاطيّة ١ : ٦). ماذا كانت مشكلة الغلاطيّين؟

ليست السكر أو الفجور، بل هى الناموسية! لقد أغضب التراجع إلى الشرائع والنواميس بولسَ الرسولَ أكثر مما أغضبته الخطايا الجسدية.

نتيجــتان:

لقد نتج عن هذا السّحر أمران: الأول هو الشهوات الجسدية، والثانى الناموسية. لقد وجّه بولس الرسول تحذيراً صارماً لأهل غلاطيّة من أعمال الجسد فى (غلاطيّة ٥: ١٣ـ٢٤) والتى هى خطايا الفجور والنجاسة وغيرها، فالسّحر يفتح الباب للخطايا التى من هذا النوع. كما أصبح الغلاطيّون بابتعادهم عن الصليب ناموسيّين، فقد كانوا يحاولون الوصول إلى البر بحفظهم القوانين والشرائع.

فى ما يلى تعريفان بسيطان للناموسية:

الأول: الناموسية هى محاولة نوال البر أمام الله من خلال الحفاظ على مجموعة من القوانين. مع أن الله يرفض هذا تماماً. كنت أتحدث فى إحدى المرّات إلى جماعة كبيرة من المسيحيين المؤمنين، وقلت العبارة التالية: «بالطّبع المسيحية ليست مجموعة من القوانين». فنظروا إلى باستغراب وذهول، وأعتقد أننى لو قلت «لا يوجد إله لكان تعجبهم سيكون أقل!» لكن ما قلته كان حقيقة، فالمسيحية ليست مجموعة من القوانين. الحفاظ على القوانين وطاعتها ليست الطريق لنوال البر أمام الله.

الثانى: الناموسية هى إضافة أى متطلبات أخرى لنوال البر غير تلك الموجودة فى كلمة الله. فليس لأىٍّ شخص السلطة لإضافة أى شيء للمتطلبات التى وضعها الله، وهى بسيطة ومعلنة فى (رومية ٤ : ٢٤-٢٥) عن البر الذى سيحسب لنا نحن «**الذين نؤمن بمن أقام الرب يسوع ربنا من الأموات. الذى أُسلم من أجل خطايانا، وأقيم لأجل تبريرنا**». والتبرير هو أن تقف أمام الله كما لو أنك لم تخطئ على الإطلاق! لا تنس هذه الكلمة: «تبرير» فهى تعنى «كأنى لم أخطئ» وهذا هو كل ما تحتاج، وليس من سلطة أحد على الإطلاق إضافة أى متطلبات أخرى. لكن مؤمنى كنيسة

غلاطية أصبحوا شهوانيين وناموسيّين فى الوقت نفسه. لقد وقعت هذه الكنيسة تحت لعنة، وهى النتيجة الحتميّة لكل من يتحول عن إنجيل النعمة إلى إنجيل الأعمال. وبولس الرسول يتكلم عن هذا فى (غلاطّية ٣ : ١٠) «**لأن جميع الذين هم من أعمال الناموس هم تحت لعنة، لأنّه مكتوب: ملعون كل من لا يثبت فى جميع ما هو مكتوب فى كتاب الناموس ليعمل به**». فعندما تحاول أن تنال البر لنفسك أمام الله بالمحافظة على مجموعة من القوانين التى لن تتمكن من الثبات فى جميعها، بل ستخفق فى أحدها على الأقل، فسوف تجلب على نفسك اللعنة! لأنك ملزم بإطاعة جميع القوانين والشرائع، فى جميع الأوقات، وإلا فلن تتمكن من تحقيق البر .

طريق النجاة :

لحسن الحظ أن الرسول بولس لم يتوقف عند المشكلة، لكنه أعلن لنا عن طريق النجاة من اللعنة. إذا فكّرت بصورة الرب يسوع وهو يموت على الصليب، فلن ترغب أبداً فى أن تكون تحت لعنة. كان معلقاً فى خزى وألم، متروكاً من تلاميذه، مرفوضاً من شعبه لا يملك أى شىء فى العالم، مرفوضاً من السماء، كما يعانى الظلمة التى أتت عليه من السماء، ويصرخ بشدة من الألم والكرب الشديد. وتلك هى النتائج المترتبة على اللّعنة.

والمشكلة اليوم هى أن أغلب المسيحيين ليس لديهم فهم واضح عن ماهية اللعنة، وكيف تعمل، أو حتى كيف ندرك وجودها. إذا مرضنا فنحن عادة نشعر بمرضنا، وإذا أخطأنا فعلى الأرجح نعرف أننا أخطأنا. لكن حين نكون تحت لعنة، فقد لا نفهم طبيعة مشكلتنا، ولا كيف نتعامل معها.

إلا أن هذا هو ما تحقّق فى المبادلة الإلهية الخامسة ألا وهو أنه يمكننا أن نفتدى من اللعنة، **فعلى الصليب حُسب الرب يسوع لعنةً لكى يُفتدينا نحن من اللعنة، وننال بركة إبراهيم التى تمتد إلى كل ناحية من نواحى حياتنا.**

والآن لنأخذ صورة عامة عن اللعنة، ثم نتحدث عن كيفية التحرر منها.

طبيعة اللعنات والبركات:

إن طبيعة اللعنات والبركات موضوع واسع، ولم أدرك ذلك حتّى بحثت وتعمّقت فى الموضوع، وأستطيع القول أن الدرس الذى علمنى إياه الله عن هذا الموضوع يفوق فى تأثيره سائر الدروس الأخرى، وهو حقيقةً إعلان إلهى مغير للحياة.

إن البركات واللعنات فى الأساس كلمات، فيمكن أن تكتب ويمكن أن تقال، ويمكن ببساطة أن نفكر بها. ولكنها كلمات مشحونة بقوّة وسلطان يفوقان الطبيعة. وكما تعلن (أمثال ١٨ : ٢١) «**الموت والحياة فى يد اللسان، وأحباؤه يأكلون ثمره**».

يعطى موسى فى (تثنية ٢٨) قائمة بكل البركات واللعنات. أول (١٤) آية من الأصحاح تصف البركات، أما الآيات الـ (٥٤) المتبقية فتصف اللعنات، وهى قائمة طويلة ومروّعة، ولا يوجد شخص عاقل يرغب فى الوقوع تحت أى منها.

البركات واللعنات تؤثر على الناس وتؤدى إلى تغيرهم بشكل يؤدى إمّا إلى الخير أو إلى الشر. وعادة تنتقل البركات واللعنات من جيل إلى جيل حتى تعمل قوةٌ ما على إنهائها. هناك بركات ولعنات ذكرت فى الكتاب المقدّس، ومازال تأثيرها وعملها مستمراً حتى اليوم وذلك منذ أربعة آلاف سنة.

لماذا يهمنا هذا الأمر؟ لأنه قد تكون هناك مشاكل فى حياتنا، لم نستطع أن نعرف مصدرها، وهى فى الحقيقة ترجع إلى تاريخ ماضٍ، وربما يعود مصدرها لعدة أجيال سابقة. أحياناً نصارع مع مشاكل ولا نتمكن من التعامل معها حتى نعرف طبيعة تلك المشاكل. وأكرر مرّة أخرى، إن أحد خصائص البركات واللعنات هى أن تأثيرها يستمر، إن لم يكن إلى الأبد، فإلى عدّة أجيال متعاقبة.

على سبيل المثال، يقول الله فى الوصايا العشر إنّنا إذا عبدنا آلهة أخرى أو صنعنا تماثيل لنسجد لها، فإنه سيفتقد «**ذنوب الآباء فى الأبناء فى الجيل الثالث والرابع من مُبغضيه**» (خروج ٢٠ : ٥).

تعاملت فى جنوب شرق آسيا مع أعداد كبيرة من الناس الذين كان لأسلافهم قبلهم بجيلين أو ثلاثة عبادات وثنية، وشاهدت بعينى كيف أن هذه الآيات حقيقية، ولكنى شهدت أيضاً التأثير العظيم لتحريرهم من هذه اللعنة.

فى ما يلى ملخص بالبركات واللعنات المذكورة فى (تثنية ٢٨). أقترح عليك أن تقرأ الأصحاح بنفسك، وتقرر إن كنت تتفق معى على هذه القائمة أم لا:

أولاً: البركات

١. **الرفعة الشخصية**: أى أن تكون فى الارتفاع، وتنال الاحترام والشرف.

٢. **الإثمار**: أى أن تكون حياتك منتجة ومليئة بالثمر فى كل الجوانب: الصحة و المال والعلاقات وغيرها.

٣. **الصحّة**: قد لا تُقدّر قيمة هذه البركة حتى تصاب بمرض، وعندها فانك تتمنى لو أنك شكرت الله كثيراً على بركة الصحة.

٤. **الازدهار والنجاح**: لا يعنى الازدهار فى الكتاب المقدّس ما يفهمه الأغنياء، ولا يعنى ترف العيش أو وفرة الملذات المادية، بل يعنى إنجاز هدف الله والنجاح فى تحقيق إرادته. فى (يشوع ٧: ٨) يعد الرب يشوع بالازدهار والنجاح فى كل عمل يعمله. بعد هذا الوعد أمضى قائد بنى إسرائيل هذا كثير من السنوات اللاحقة فى الحروب، وتعرّض للأخطار الكثيرة، فكان ينام فى الحقول المكشوفة ويقود حياة الجنود القاسية فى الحروب.

٥. **الانتصار**: تجلب البركة الانتصار فى كل صراع تخوضه وأنت فى مشيئة الله.

٦. **تكون رأساً لا ذنباً**: سألت الرب قبل عدَة سنوات أن يخبرنى الفرق بين الرأس والذنب. فأجابنى ببساطة: «الرأس يتخذ القرارات، وأمَا الذَنَب فيُجرُّ هنا وهناك!» دعنى أسألك عن حياتك، هل تحيا كرأس أم كذنب؟ هل تتخذ القرارات؟ هل تنفذ خططك بنجاح؟ أم تحيّا كضحية للضغوط الخارجة عنك والظروف التى تجرك هنا وهناك ولا تعلم ما تحمله لك ولا إلى أين تقودك.

٧. **تكون فى الارتفاع ولا تكون فى الانحطاط**: وهذا يعنى أيضاً أن تكون رأساً لا ذنباً.

ثانياً: اللعنات وهى عكس البركات المذكورة سابقاً:

١- **الـذّل**

٢- **الفشل فى الإثمار**، أو العقم (عكس الإثمار)، والعقم المستمر ـ فى الغالب ـ هو نتيجة للعنة.

٣- **المرض من كل نوع**: من الأمراض التى تدل بشكل خاص على وجود لعنة، تلك المسماة أمراض وراثية، والتى تنتقل من جيل إلى جيل.

٤- **الفقر والفشل**.

٥- **الهزيمة** وهى عكس الانتصار المذكور فى البركات.

٦- **تكون ذنباً لا رأساً**.

٧- **تكون فى الانحطاط ولا تكون فى الارتفاع**.

سبعة مؤشرات تدل على وجود لعنة:

والآن سنعرض سبعة مؤشرات تدل على وجود لعنة. وهذه المؤشرات تعلمتها من ملاحظاتى الشخصية خلال التعامل مع الناس. ومع الإعتماد أيضاً على (تثنية ٢٨). إن كان لديك واحدة فقط من هذه المؤشرات، فليس بالضرورة أن يكون السبب لعنة، ولكن إذا كان لديك عدد منها فغالباً ما يكون السبب وجودك تحت لعنة.

١. الانهيار العصبى أو العاطفى.

٢. الأمراض المتكررة أو المزمنة، وبالأخص إذا كانت وراثية، فمن طبيعة اللعنة أن تنتقل عبر الأجيال.

٣. مشاكل نسائية (عقم، إخفاق الحمل، الآم شديدة أثناء الطمث، وغيرها الكثير). عندما أخدم المرضى، وتتقدّم سيدة تعانى من أحد هذه المشاكل إلى الأمام، فبكل بساطة أفترض أن مشكلتها هى لعنة، ونادراً ما كنت مخطئاً. وهناك الكثير والكثير من الشهادات لنساء تحررن تماما من هذه المشاكل بعد زوال اللعنة عن حياتهن.

٤. انهيار العلاقات الزوجية وتفكك العائلات، فبعض الأسر لا تستطيع الاستمرار، خصوصاً حين يتزوج الشخص ويطلّق لأكثر من مرّة، وكذلك انفصال الأطفال عن عائلاتهم.

٥. العَوز المالى: أغلبنا قاس من أوقات صعبة مالياً، ولا أستثنى نفسى من ذلك. لكن إن كان هذا حالك المستمر أو إن كان لا يتوفر لديك ما يكفى لسد احتياجاتك فربما تكون لعنة.

٦. التعرض الدائم للحوادث: إن كنت من الناس الذين يتعرضون للحوادث على الدوام، تنزل عن الرصيف فتكسر كاحلك، تجلس فى سيارة فيصدمك أحدهم، وهكذا، فربما أنك تحت لعنة. عادة ما تكون رد فعلنا المعتاد على هذه الحوادث هى القول: «لماذا يحصل هذا الشىء معى دائماً؟»

٧. انتحار أو موت غير طبيعى لأحد الأفراد فى تاريخ العائلة.

تكونت لدى فكرة عملية عن كيف تكون حياة الشخص الذى يقع تحت لعنة وذلك منذ أن وضعنى الله فى هذه الخدمة، وخلال تنقلى حول العالم إلى مناطق كثيرة، ومشاهدتى لعدد كبير من الناس الذين كانوا بمثابة دروس تطبيقية واقعية لى.

يمكن تشبيه اللعنة بظلال معتمة آتية من الماضى، ربما لا تعلم من أين أتتك، وقد لا تكون قد تكونت فى حياتك، ولكنها تعود لأسلافك فى العائلة، وقد علقت بك أثناء حياتك، ومنعت اشراق بركات الله على حياتك. قد يكون الآخرون من حولك فى النور،

ولكن نادراً ما تكون أنت نفسك فى النور، وقد لا تعلم ما هو السبب الذى حدث فى الماضى وأدى إلى وجود اللعنة.

كما يمكنك تشبيه اللعنة أيضاً بذراع شريرة طويلة تمتد من خلفك، وبين الحين والآخر تضع هذه الذراع أمامك المصائد وتخرجك خارج مسارك بخبث. أنت تصارع بقوّة لإنجاز أشياء معينة فى حياتك، ولكن فى اللحظة الأخيرة، حين تظن أن كل شىء قد تم بنجاح يحدث شىء ما، ويهرب منك النجاح، وتعود لنفس المعاناة المؤلمة. وتحاول مرّة أخرى، لتصل إلى نفس النقطة، ولكن تعود تلك الذراع الشريرة لتبعدك عن مسارك مرة أخرى. ويتكرر هذا الأمر حتى يصبح نهجاً تسير عليه طوال حياتك. وربما إذا نظرت إلى حياة أبويك أو أجدادك أو أحد أقاربك، فستجد أنهم كانوا يحيون على نفس نمط الحياة هذا.

ليس بالضرورة أن تجلب لك اللعنة عدم النجاح. قابلت سيدة ذات نسب ملكى فى جنوب شرق آسيا، وكانت متعلمة تعليم عالى المستوى وناجحة جداً فى عملها كقاضية، أتت إلى بعد أن أتممت كلامى عن موضوع البركة واللعنة وقالت: «الوصف الذى قلته لا ينطبق علىَّ، فأنا ناجحة جداً، ولم أكن أبداً غير ذلك»، ولكنها أضافت: «لكنى محبطة، فرغم إيمانى بالرب يسوع، لم أحصل يوماً على ما يناله المؤمنون الآخرون».

تحدثت مع هذه السيدة لبضع دقائق، واكتشفت أنها تنحدر من عائلة لها تاريخ طويل فى عبادة الأوثان، فنبهتها أن عبادة الأوثان فى عائلتها هى أساس المشكلة على الأغلب. وحين عرفت هذه السيدة مشكلتها الحقيقية، وطبقت الشروط الإلهية من أجل تحريرها، تمكّنا من إيقاف تلك اللعنة التى سببتها وثنية أجدادها.

يمكننا أن نجمع مفهوم اللعنة بكلمة واحدة: «الإحباط» فيمكن أن تفشل ويصيبك الإحباط، ولكن يمكن أن تنجح ويصيبك الإحباط أيضاً، فكثير من الناس فى العالم هم ناجحون ولكنهم محبَطون.

ما الذى يسبب اللعنة؟

فيما يلى ثمانية مسببات للعنات التى تأتى على أى شخص:

١ . الوثنية :

المسبب الرئيسى للعنة هو الوثنية، أى كسر أول وصيتين من الوصايا العشر. وتشمل الوثنية جميع مجالات السّحر والتنجيم. وهى بشكل أكيد ومحتّم تؤدى إلى بعض من أنواع اللعنة، فالذين يستخدمون السّحر والتنجيم يلجأون إلى آلهة كاذبة، بدلاً من اللجوء إلى الإله الوحيد الحقيقى القادر على إعانتهم. وتأتى عليهم نفس اللعنات الواقعة على من يصنع الأوثان ومن يعبدها.

٢ . الديانات الكاذبة والمجتمعات السرية :

الديانات الكاذبة والمجتمعات السرية هى المسبب الثانى للعنة، وهى كالوثنية السابق ذكرها. فكل ديانة ترفض إعلان الكتاب المقدّس، أو ترفض شخص الرب يسوع وعمله على الصليب، هى ديانة كاذبة بمقياس الكتاب المقدّس. والعالم من حولنا مليء بمثل هذه الديانات. نستطيع أن نضم إلى هذه الديانات الكاذبة المجتمعات السرية، فكل من يشارك بهذه المجتمعات، يعقد ميثاقاً مع أناس يعبدون آلهة زائفة. وكثيراً ما صادفت أشخاص تعرضوا للعنات بسبب الماسونية، واستنتجت من هذه الحالات الكثيرة إلى أن أية عائلة تورطت بالماسونية هى عرضة للعنة.

٣ . سوء معاملة الوالدين :

يقول الكتاب المقدّس فى (أفسس ٦ : ٢-٣):

«أكرم أباك وأمك، التى هى أول وصية بوعد. لكى يكون لكم خير، وتكونوا طوال الأعمار على الأرض» . أن تكرم والديك لا يعنى أن تتفق معهما فى

كل شيء، فقد يكونا مخطئين أحياناً، ولكن يجب أن تعاملهما باحترام.

نسبة عالية من الناس هذه الأيام تسيئ معاملة الوالدين أكثر من أى وقت مضى فى تاريخ البشرية. عندما يأتينى شاب من أجل المساعدة، فعادةً أحاول معرفة موضوع علاقته بوالديه. يمكنك أن تنال الخلاص وتنال مواهب الروح القدس وتذهب إلى السماء بعد الموت، ولكن بدون موقف صحيح مع والديك لن تجرى الأمور معك فى هذه الحياة بشكل سليم، ولن يكون لك خير.

٤ . ظلم الضعفاء :

السبب الرابع للعنة هو ظلم الضعفاء والعاجزين، فالله يقف فى صف الضعيف والمضطهد. والمثال الواضح فى هذه الأيام على اضطهاد الضعفاء والعاجزين هو الإجهاض، فهو سلب متعمد للحياة من طفل لم يولد بعد، فالطفل غير المولود هو أقوى مثال للشخص الضعيف والعاجز. وفى رأيى، إذا تعمّدت أو تسببت فى عملية إجهاض فقد جلبت لعنة على حياتك.

٥ . معاداة الأشخاص الذين باركهم الله :

السبب الخامس لوجود لعنة هو كراهية الأشخاص الذين باركهم الرب و كذلك مهاجمتهم. عندما دعا الله إبراهيم قال له فى (تكوين ١٢ : ٣) «**لاعنك ألعنه**» ، وإنتقل هذا الوعد إلى اسحاق ثم يعقوب ونسله وهكذا. لن تسير الأمور على ما يرام لأى شخص يكون له اتجاه سئ نحو أى أشخاص باركهم الله. أحد أوضح الأمثلة على ذلك أحد أصدقائى، وجميع أسلافه الذين يستطيع تذكرهم قد كانوا يلعنون بإصرار شعوباً باركها الله فى الكتاب المقدس. وعندما تاب عن هذا الأمر ورفضه تحرر من اللعنة وباركه الله روحياً وعائلياً وعلمياً بصورة مذهلة، واليوم هو يخبر الجميع وخصوصا من ينتمى اليهم بصلة قرابة أو نسب بأن من يريد بركة الرب على حياته فعليه أن يغير اتجاهه نحو الشعوب التى باركها الله.

٦ .كلمات ننطق بها ضد أنفسنا :

تأتى كثير من اللعنات على الناس بسبب ما يقولونه عن أنفسهم مثل : «لن أنجح مطلقاً» ، «هذا الأمر يحدث معى دائماً» ، «لا أستطيع مقاومة هذه الظروف» ، عندما تقول كلمات كهذه فأنت تنطق باللعنة على نفسك. لقد خدمت عدداً كبيراً جداً من الناس كانوا بحاجة للتحرير من روح الموت، وقد وقعوا تحت تأثيره بسبب قولهم كلمات مثل «أتمنى الموت لنفسى، ما الجيد فى هذه الحياة؟» هذه دعوه لروح الموت أن يأتى، فكأنك تقول له: «تعال، أنا أرحّب بك» . لست بحاجة أن تعطى هذا الروح الكثير من الدعوات حتى يأتى. سنتحدث عن التحرير من روح الموت فى نهاية هذا الفصل، فنحن لا نواجه هنا أمراً بسيطاً أوعديم الأهمية، بل مشكلةً خطيرة وحقيقية جداً.

٧ . كلمات ينطق بها ذوو السلطان :

بعض اللعنات تأتى من أشخاص لهم علينا سلطة كالوالدين والأزواج. كثير من الآباء يقولون كلمات قاسية ومليئة بالغضب حين يغضبون من أولادهم دون الاهتمام بنتائج هذه الكلمات. ومن هذه الكلمات «أنت غبى جداً» ، أو «لن تنجح أبداً» . صليت مع أناس فى الأربعين والخمسين من العمر مازالوا يعانون من تأثير كلمات قالها لهم آباؤهم أو أمهاتهم وهم أطفال.

هناك تعليقات يقولها الأزواج لزوجاتهم قد تجلب لهن اللعنة. قد يبدو هذا ظلماً، لكنه حقيقة، فقد أعطى الله الأزواج سلطاناً على نسائهم. تذكّر بماذا أجاب يعقوب لابان خاله حين اتهمه بسرقة آلهته، قال: «**الذى تجد آلهتك معه لا يعيش**» (تكوين ٣١ : ٣٢). ولم يكن يعقوب يعلم أن زوجته المحبوبة راحيل كانت قد سرقت آلهة أبيها. عندما ولدت راحيل ابنها الثانى، ماتت بسبب لعنة زوجها. بالطبع كان ما فعلته بسرقة آلهة أبيها خاطئاً.

وتخيل ذلك الزوج الذى يقول لزوجته: «أنت لا تتقنين الطبخ! هذا الطعام يتعب المعدة» . لا أظنها ستتمكن أبداً من طهى طعام جيد. ربما تملك هذه الزوجة مواهب كثيرة، إلا أنها لن تنجح فى المطبخ. ومن جهة أخرى، يجلب الزوج أمراضاً لمعدته بسبب كلامه. قد يبدو هذا الأمر وكأنه مزاح، لكنه حقيقة تحدث كثيراً.

٨ . السّحر والعِرافة :

المسبب الأخير للعنة هو السّحر والعِرافة، فأصحاب هذه المهن يتّصلون بقوى شيطانية. وهذه القوى حقيقية وقادرة على القتل، وقد مات كثير من الناس بسبب السّحر. للسّحر مراكز وتجمعات فى كل المدن الرئيسية تقريبا، وحتى فى كثير من المدن والقرى الصغيرة، وهم يقيمون صلوات خاصة ضد المسيحيين وضد العلاقات الزوجية للخدّام المسيحيين. وهدفهم الأول هو تدمير كنيسة الرب يسوع المسيح.

فى بعض المناطق هناك أشخاص متخصصون يتصلون بقوى شيطانية. والمعروف بين الناس عن هؤلاء أنهم أشخاص ذوو قوّة، يلجأ المحتاجون إليهم لحل مشاكلهم وسد احتياجاتهم. فى كثير من البلدان يذهب كثير ممن يقولون إنهم مسيحيون إلى هؤلاء، فهم حين يطلبون شيئاً ما من الله ولا يعطيهم إياه، يذهبون إلى السّحرة والعرّافين ليحصلوا على ما يريدون.

كيف أتحرر؟

والآن نأتى إلى خطوات التحرر من اللعنة. شكراً لله على المبادلة التى تمت على الصليب.

١ . ميّز :

اطلب من الله أن يظهر لك ما هى مشكلتك. إن هدفى من كل كلامى هو مساعدتك لتميز مشكلتك. ربما ميّزت أنك أطلقت لعنة على نفسك، أو ربما ترى أن مشكلتك تبدأ فى أسلافك.

٢ . تب :

إن كنت منخرطاً فى أى عمل شرير فتب عنه. ربما أنت تمارس السّحر أوالتنجيم أو قمت بزيارة عرّاف أو لعبت بلوح «الويجا» أو قرأت كتبا عن التنجيم. فإن كان الأمر كذلك فعليك أن تتوب ربما كان السبب فى فتح باب اللعنة على عائلتك هو أحد والديك أو

أجدادك أو أحد أسلافك. نعم أنت لست مذنباً، ولكنك تعانى من عواقب أعمالهم، وحتى تنقى ماضيك من هذه الخطيّة، تب بالنيابة عن الشخص المسؤول.

٣. أعلن رفضك :

أعلن الإعلان التالى بخصوص اللعنة، مهما كان نوعها: «قد نلت الخلاص، ليس بمجهودى ولكن من خلال دم الرب يسوع. أنا أؤمن بذبيحة الرب يسوع الكفّاريّة. على الصليب أخذ الرب يسوع كل لعنة، ورَفَعَها عنى لكى يكون لى كل الصلاح الذى له». بهذه الطريقة أنت تتبرأ وتلغى اللعنة.

٤. قـــاوم :

يقول الكتاب المقدّس فى (يعقوب ٤ : ٧): «**اخضعوا للّه. قاوموا إبليس فيهرب منكم**». لن يهرب إبليس إلا إذا خضعت لله أولاً. وإذا لم تخضع لله، فإبليس سيستمر فى الاستهزاء بك. لقد عكس بعض المسيحيين ترتيب هذه الآية، فهم يخضعون لإبليس ويقاومون الله! ربما أنت تفعل الشىء نفسه، فتخضع لضغوط الشيطان وهجماته وتسمح له بأن ينتصر عليك. هذه الحالة لا تسر الله، وهذا ليس اتضاعاً بل عدم إيمان. إنهض وقاوم وقل «أنا ابن لله. هذه اللعنة ليست لى. لقد أُفتديت من قبضة الشيطان بدم الرب يسوع».

يقول المرنم فى (مزمور ١٠٧ : ٢): «**ليقلْ هذا مفديُّو الرب**». (ترجمة كتاب الحياة). ففداؤك لن يكون فاعلاً حتى تعلنه فى شهادتك الشخصية، فالآية فى (رؤيا ١٢ : ١١) تقول: «**وهم غلبوه بدم الخروف، وبكلمة شهادتهم**».

ردد اعترافك هذا عالياً عدَة مرّات:

«لقد افتُديت من قبضة الشيطان بدم الرب يسوع».

إن كنت تشعر بلعنة الموت عليك، ابدأ بإعلان ما يقوله (المزمور ١١٨ : ١٧):

«**لا أموت بل أحيا وأحدث بأعمال الرب**».

أنا لا أستطيع إحصاء المرات التى واجهت فيها حروباً روحية، واحتجت أن أردد هذا الإعلان: «**لا أموت بل أحيا وأحدث بأعمال الرب**».

هذا الإعلان قادر أن يغير الكثير فى حياتك.

إعلان المبادلة:

والآن سأساعدك فى تطبيق هذا الجزء الخاص من المبادلة التى تمت على الصليب فى حياتك. ربما شعرت بنوع من اللعنة على حياتك، لكنك تؤمن أن الرب يسوع حُسب لعنةً على الصليب لكى يفتديك من اللعنة، فإن كنت تريد أن تطبّق شروط الله لتحريرك، ردد هذه الصلاة التى فيها كل المتطلبات الضرورية من أجل تحريرك:

«يا رب يسوع المسيح، أنا أؤمن أنك أنت ابن الله، وأنك الطريق الوحيد إلى الآب. أؤمن أنك متَّ على الصليب من أجل خطاياى وأنك قُمت من الموت. أؤمن أنك على الصليب جُعِلتَ ذبيحة خطيّة بسبب خطاياى، ليكون لىَّ البر الذى منك. وأنك حُسِبتَ لعنةً بسبب كل لعنة كان ينبغى أن تأتى علىَّ، لكى أنال البركة.

والآن يا رب، أنا آتى إليك لتحررنى من كل لعنة. أُعلن توبتى عن أية خطايا قد سببت هذه اللعنة سواء كنت أنا ارتكبتها أو أىٍ من أسلافى، وأنا أقبل غفرانك.

أنا أقف الآن ضد الشيطان وضغوطه وكل ما يريد أن يفعله ضدى. أنا أقاومه باسم الرب يسوع وأرفض الخضوع له. باسم الرب يسوع أنا أُطلق نفسى من أى لعنة على حياتى، وأطلقها باسم الرب يسوع و من خلال عمله على الصليب. إنى أقبل التحرير الآن بالإيمان وبكل الامتنان والشكر والتسبيح.

يا رب، أنا أشكرك. وأسبحك. وأؤمن أنك إله أمين وأنك تستجيب. أُكرس حياتى لك، لتحل على بركاتك من الأن فصاعدا. أشكرك يا رب يسوع».

والآن اصرف بعض الوقت فى شكر الله بكلماتك الخاصة. اقبل شاكراً ما عمله ويعمله لك.

إن اتباعك لخطوات التحرير هذه، واعترافك بالمبادلة الإلهية، لا يحل كل مشاكلك من هذه اللحظة بشكل آلى سريع، ولكنه يفتح لك طريقاً جديداً فى حياتك. تقابلت مع كثيرين تحرروا من لعنات، ومنهم من خاض حروباً قوية، فالتغيير لا يحصل بالضرورة بين ليلة وضحاها، بل يجب أن تكون مستعداً لمقاومة الشيطان ولتقول له: «لقد طبقت الشروط الإلهية وليس لديك أى شكاية ضدّى. إبتعد عن طريقى. أنا ابن لله الحى، فابتعد عن طريقى».

حين يرى الشيطان أنك بالفعل تعنى ما تقوله، فسيبتعد عن طريقك، فلا تفشل حين تواجه بعض المشاكل المتبقية، فاعلم أنك قد وجّهت نظرك نحو النور وأنك تتقدّم فى الاتجاه الصحيح. ما أريد تأكيده لك، أنه يوجد رجاء.

الفصل الثامن

الفيض بدل الفقر

الموضوع الذى نبحثه فى هذا الكتاب هو ذبيحة الرب يسوع الواحدة على الصليب، تلك الذبيحة التّامة، الكاملة، الذبيحة الكافية التى تُغطّى جميع الإحتياجات فى حياة الإنسان فى هذا الوقت وفى الأبدية. ما قمنا بتوضيحه فى الصفحات السابقة هو حقيقة تلك الذبيحة التى تحمل فى جوهرها مبادلة إلهية حَمَلَ الرب يسوع بمُوجبها كل شرّورنا، ليتوفر لنا بالمقابل كل الصلاح الذى له. قلنا إننا لا نستحق هذا العمل، كما جاء فى (أفسس ٢ : ٨): «**لأنكم بالنعمة مخلّصون، بالإيمان**»، والنعمة تشمل كل ما عمله الرب يسوع لأجلنا على الصليب.

وقد تكلمنا عن خمسة جوانب من هذه المبادلة، وسنعيد كتابتها لتبقى واضحة فى ذهنك:

- **عُوقب الرب يسوع لكى يُغفر لنا.**
- **جُرح الرب يسوع لكى نُشفى.**
- **جُعِل الرب يسوع خطيّة بخطيتنا لكى نتبرر نحن ببره.**
- **مات الرب يسوع موتنا لكى نقبل نحن حياته.**
- **حُسِب الرب يسوع لعنة لكى ننال البركة.**

والآن سنتحدث عن جانب آخر من جوانب هذه المُبادلة:

«فإنكَم تعرفون نعمة ربنّا الرب يسوع المسيح: أنه من أجلكم افتقر وهو غنيٌّ، لكى تستغنوا أنتم بفقره» (٢كورنثوس ٨: ٩).

ونستطيع صياغة هذه المُبادلة هكذا:

تحمّل الرب يسوع فقرنا لكى نشاركه فى فيض غناه.

هل تتفق معى أن الفقر شىء سيئ؟ يعيش بعض المسيحيين الفقر الإرادى، وأنا أُقدّر قناعتهم. ولكن فى أغلب الحالات، يكون الناس مُجبرين على حياة الفقر غير مخيرين، وذلك بسبب الحاجة. سافرت كثيراً فى بقاع مختلفة على الأرض، وشاهدت الفقر لدى أمم مختلفة، وبحسب إقتناعى الشخصى فإن الفقر هو لعنة، وبديل الفقر هو الغنى. لكنى أفضل القول إن البديل هو الوفرة. أنا لا أؤمن أن قيادة سيّارة كاديلاك أو مرسيدس، أو العيش فى بيت به حوض سباحة هو دليل على الحياة الروحية المرتفعة.

ولكن ما أؤمن به هو أن الله يعطينا بوفرة، بمعنى أن نملك ما يكفى لسد حاجاتنا، ويبقى معنا المزيد لنعطى الآخرين. هذا ما يمنحه ويوفره الله لنا.

فى (٢كورنثوس ٩: ٨) يتكلم بولس الرسول عن مستوى ما يوفره الله لخدّامه:

«والله قادر أن يزيدّكم كل نعمة لكى تكونوا ولكم كل اكتفاء كل حين فى كل شىء تزدادون فى كل عمل صالح».

هذه آية مدهشة فعلاً، فكلمة «كل» تظهر فيها خمس مرّات وكذلك الكلمة يزيد أو (تزداد) تظهر مرتين. وهذا فى الحقيقة هو مستوى ما يمنحه ويوفرّه الله لخدامه. ولكن يجب أن نلاحظ أن كل هذا نحصل عليه فقط من خلال النعمة. نستحق أو نكسب هذه الأمور بمجهوداتنا، ولكن ننالها فقط من خلال الإيمان المبنى على أساس ذبيحة الرب يسوع على الصليب.

لكن قد تضطر لخوض معركة روحيّة ذهنيّة لتنال وتقبل هذا الحق، وهذا ما حصل معى.

كشاب صغير لم أكن منخرطاً كثيراً فى الأمور الروحيّة، ولكن لمدة عشر سنوات كنت مُجبراً ـ وأنا فى مدرسة بريطانية ـ على حضور الكنيسة ثمانى مرّات فى الأسبوع. وخلال هذه الفترة تكوّن لدى الانطباع أنّه على المؤمنين ألا يتوقعون سوى أن يكونوا فقراء وبؤساء. إن كانت لك خلفية مشابهة لخلفيتى، وتكوّن لديك نفس الانطباع، فاطلب من الله أن يحرر ذهنك من قيود هذه الأفكار التقليديّة.

فى الأصحاح العظيم للبركة واللعنة و هو (تثنية ٢٨) نقرأ الكلمات التالية:

«وتأتى عليك جميع هذه اللعنات... لأنك لم تسمع لصوت الرب إلهك... من أجل أنك لم تعبد الرب إلهك بفرح وبطيبة قلب لكثرة كل شىء، تستعبد لأعدائك الذين يرسلهم الرب عليك فى جوعٍ وعطشٍ وعريٍ وعوز كل شىء ..» (الآيات ٤٥ ، ٤٧ ، ٤٨).

حين نفشل سواء بسبب عدم الإيمان أو عدم الطّاعة فى أن نعبد الرب بفرح وبطيبة قلب ستأتى علينا أربعة أشياء كما يقول الله، وهى الجوع والعطش والعرى والعوز فى كل شىء. فماذا نسمى هذه الأشياء مجتمعة معا؟ بكل تأكيد نسمّيها «فقراً شديداً».

أريد أن أشاركك الآن فى رؤيا أخذتها وأنا فى نيوزلاندا قبل عدّة سنوات. أكد لى الأشخاص الذين دعونى أنا وزوجتى الأولى أن كل مصاريف زيارتنا ستكون مُغطّاة، ولكن حين وصلنا، أخبرونا أن لا نقود لديهم لتغطية تكاليف سفرنا أو طعامنا، وقالوا: «يجب عليك أن تطلب من الناس أن يقدموا تقدمة خاصة».

وبينما كنت أعظ عن آيات البركة واللعنة فى (تثنية ٢٨)، أعطانى الروح القدّس صورة ذهنية للرب يسوع وهو على الصليب. رأيت لعنة الفقر وهى تتحقق فى الرب يسوع، فلقد كان جائعاً، لأنه لم يكن قد أكل لمدّة ٢٤ ساعة، وكان عطشان جدا، فمن بين آخر ما قاله على الصليب «أنا عطشان». وأيضاً كان الرب يسوع على الصليب عرياناً فقد أخذوا كل ثيابه، وحين مات لم يكن يملك أى شىء، حتى أنه دُفن فى قبر مستعار ويكسوه كفنٌ مستعار.

وبينما كنت أتحدث فى ذلك اليوم، تبلورت الحقيقة أمام عينى، ففى الصليب أخذ الرب يسوع كل لعنة الفقر. لم يكن الرب يسوع قبل أن يذهب إلى الصليب فقيراً، لم يكن يحمل معه كثيراً من النقود، لكنه دائماً كان لديه ما يكفيه، فالذى يستطيع إطعام آلاف الرجال عدا النساء والأطفال فى صحراء قاحلة ليس فقيراً. سأستعير هذا التعبير من ثقافتنا المعاصرة، كان الرب يسوع يحمل «بطاقة الائتمان» الخاصة بالآب وهى صالحة للاستعمال فى كل مكان. والافتراض أن الرب يسوع كان فى قمة الفقر قبل أن يذهب إلى الصلب هو تضليل كبير.

لم يحمل الرب يسوع على الصليب لعنة الفقر فحسب، ولكنه استنفذها، فحين تجوع وتعطش وتعرى، وتحتاج لكل شئ لكن لن تصل إلى فقر أكثر من هذا.

اخترقت هذه الرؤيا هؤلاء الناس فى نيوزلاندا. كان عدد الحاضرين لا يتجاوز ٤٠٠ شخص، و لم يكونوا أغنياء، لكنهم أعطوا بسخاء، فغطّوا كل نفقاتنا أنا وليديا طوال المدّة التى قضيناها هناك، وأيضاً كل نفقات الرحلة ذهاباً وإياباً. لقد فهم هؤلاء الأشخاص تلك الرؤيا التى كانت للرب يسوع على الصليب، الذى أخذ وأستنفذ لعنة الفقر حتى يعطينا بركة الغنى والفيض.

ثلاث مراحل للعطاء الإلهى :

هناك ثلاث مستويات للإنتقال من الفقر إلى الفيض: عدم الكفايّة، الكفايّة، ثم الفيض. عدم الكفايّة هو عدم امتلاكك ما يكفى لسد احتياجاتك، فإذا كنت تحتاج مثلاً ١٠٠ دولار وأنت لا تملك سوى ٧٥ دولار فأنت فى مرحلة عدم الكفايّة. لكن إن كنت تملك ١٠٠ دولار فأنت فى مرحلة الكفايّة. أما إذا كنت تحتاج ١٠٠ دولار ولديك ١٢٥ دولاراً فأنت فى مرحلة الفيض. وتأتى كلمة «فيض» من كلمة لاتينية تعنى «موجة تدفق». وعليك أن تكون ذلك الشخص الذى يقبل من الله موجة تتدفق عليك.

لماذا يريد الله أن يكون أبناءه فى وفرة؟ اسمع ما يقوله بولس الرسول لشيوخ كنيسة أفسس:

«**فى كل شىء أريتكم أنه هكذا ينبغى أنكم تتعبون وتعضدون الضعفاء متذكرين كلمات الرب يسوع أنه قال: مغبوط هو العطاء أكثر من الأخذ**» (أعمال ٢٠: ٣٥).

ليس عند الله تحيّز، فهو يمنحنا بوفرة حتّى لا نأخذ فقط ولكن نعطى أيضاً، وعندها يمنحنا بركة أعظم. أنا أؤمن أن الله لا يستثنى أحداً من أبنائه من هذه البركة العظيمة التى للعطاء.

العطاء هو جزء هام فى الحياة المسيحية. هذا لا يعنى أن جميعنا يجب أن نعطى مبالغ كبيرة، لكن الله يأمر شعبه فى العهد القديم بأن لا يظهروا أمامه فارغين (خروج ٣٤: ٢٠). ويقول (مزمور ٩٦: ٨): «**قدّموا للرب مجد اسمه. هاتوا تقدمة، وادخلوا دياره**». فلا تأتِ إلى الرب بأيدٍ فارغة.

لكن تذكر، الله ليس بحاجة لنقودك! وحين تقترب سلّة العطاء، فلا تمد يدك إلى جيبك باحثاً عن أصغر قطعة نقد لتضعها فى السلّة. هذا ليس فيه احترام لله. أنت لست مضطراً لأن تعطى لكن إن أعطيت، أعطِ بطريقة فيها احترام لله. وتذكر أيضاً، أن العطاء هو جزء من العبادة، فإذا لم يكن فى عطائنا عبادة لله، فمن الأفضل لنا أن لا نعطى.

أثناء السنوات الخمس التى قضيتها فى شرق أفريقيا، رأيت أنه حين يلمس الله قلوب الناس، فإنهم يحبون العطاء أكثر. يقول الكتاب المقدّس فى (٢كورنثوس ٩: ٧)

«**المعطى المسرور يحبه الله**». وقد رأيت فى أفريقيا أشخاصاً من هؤلاء يُسرّون كثيراً بالعطاء، ولأن أغلب الناس هناك لا يملكون إلا القليل من المال، فقد كانوا يأتون إلى الكنيسة بتقدمات مختلفة. بعضهم يتقدّم إلى الأمام فى الكنيسة بسلال من حبوب القهوة، ويلمس الله قلوبهم مرة أخرى فيأتون ربما ببعض الذرة، ثم يلمس الله قلوبهم بقوّة أكبر فيتقدّمون هذه المرّة بدجاجة حيّة، وهم مسرورون جدّاً بعطائهم.

درجة أعلى من الغنى :

سأضيف هنا كلمة تحذير. إن كنت تملك منزلاً فخماً وسندات تجارية وسيّارة كاديلاك وبيتاً ريفياً جميلاً، فتذكر شيئاً واحداً: حين تموت، لن تأخذ معك أى شىء، بل ستذهب إلى الأبدية بنفسك العارية. ولكن هناك درجة أعلى من الغنى. فى (أمثال ٨: ١٧ـ١٨) تقول الحكمة الإلهية:

«أحبُّ من يحبُّوننى، ومن يجدُّ فى البحث عنِّى يعثرُ علىَّ. لدىَّ الثَّراء والمجد والغنى الدَّائمُ والصَّلاح» (ترجمة كتاب الحياة).

لاحظ كلمة «دائم». لا شىء فى هذا العالم دائم، ولا شىء نستطيع أن نأخذه معنا. فما هو الغنى الدائم إذاً؟ الغنى الدائم هو كل ما تقدِّمة لملك ت الله. يقول الرب ينموع:

«كل من ترك بيوتاً أو إخوةً أو أخوات أو أباً أو أُماً أو امرأةً أو أولاداً أو حقولاً من أجل اسمى، يأخذ مئة ضعف، ويرث الحياة الأبدية» (متّى ١٩: ٢٩).

ما نعطيه للرّب من ثروتنا يصبح غنىً دائماً، والمئة ضعف التى نأخذها على عطائنا، تعنى نسبة مقدارها عشرة آلاف بالمئة! أليست هذه نسبة فائدة جيدة!

ولكن الله لا يباركنا فقط بالغنى المادّى، فبولس الرسول يتكلّم عن طريقتين نستطيع أن نخدم الله بهما على هذه الأرض، وينتج عنهما غنى دائم:

«فإنه لا يستطيع أحد أن يضع أساساً آخر غير الذى وضع، الذى هو الرب يسوع المسيح. ولكن إن كان أحد يبنى على هذا الأساس ذهباً، فضة، حجارة كريمة، خشباً، عشباً، قشاً، فعمل كل واحد سيصير ظاهراً لأن اليوم سيبينه لأنه بنار يستعلن، وستمتحن النار عمل كل واحد ما هو. إن بقى عمل أحد قد بناه عليه، فسيأخذ أجرةً. إن احترق عمل أحد فسيخسر، وأما هو فسيخلص ولكن كما بنار» (١كورنثوس ٣: ١١ـ١٥).

يعطى الرسول بولس هنا أمثلة لنوعين من الخدمة تقدّم للرب. أحدها كبير فى الكمية ولكن قيمته قليلة مثل الخشب والعشب والقش، والنوع الآخر ذهب وفضّة وحجارة كريمة، كميتها قليلة لكنها تقاوم النار وتثبت أمام اختبار الزّمن. احذر من أن تكوّم كميّات كبيرة من الخشب والعشب والقش لأن النار آتية وستلتهم كل هذا فى لحظة.

إن الغنى الدائم هو تلك النفوس التى نباركها ونبنيها بالحق المعلن فى كلمة الله وبقوّة الروح القدّس، لتنشأ منها شخصيات مسيحيّة حقيقيّة. بهذه الطريقة نحن نبنى رجالاً ونساءً لله، حتى وإن لم يكن بأعدادٍ كبيرة. على الرغم من ميلنا الخاطئ فى الكنيسة للتركيز على الأعداد، فالقضية ليست فى عدد أعضاء الكنيسة، بل كم عدد التلاميذ الذين نرعاهم. لم يخبرنا الرب يسوع أبداً أن نقدم له أعضاء للكنيسة، ولكنه أمرنا بأن نجعلهم تلاميذ. ما لاحظته خلال خدمتى الطويلة أنك إن أردت أن تتلمذ آخرين، ففى العادة يجب أن تبدأ بعدد قليل، كما فعل الرب يسوع نفسه. لكن هؤلاء التلاميذ سيبدأون بالتضاعف ذاتياً، وعلى المدى الطويل سيصبح لديك الكثير من التلاميذ وتكون فى هذه الحالة قد حصلت على النوعية وليس الكميّة.

وجهة النظر الصحيحة:

سننهى هذا الفصل بآيتين من الكتاب المقدّس تصفان ما يقدّمه الله من غنى من وجهة النظر الصحيحة:

الآية الأولى هى (أمثال ١٣ : ٧): «**يوجد من يتغانى ولا شىء عنده، ومن يتفاقر وعنده غنى جزيل**». يوجد أشخاص يتعمدون التحوّل عن ثروتهم المادّية فى هذا العالم، ليجعلوا من أنفسهم فقراء، لكن فى المجال الروحى لهم غنى عظيم. واعتقد أن بولس الرسول كان واحداً من هؤلاء.

إنه يشهد فى (٢ كورنثوس ٦ : ٤) (وهى الآية الثانية التى سنتحدث عنها) فيقول: «**فى كل شىء، نظهر أنفسنا كخدام الله فى صبر كثير فى شدائد فى ضرورات فى ضيقات**» . يتبع هذه شهادة قائمة طويلة بما اختبره هو والعاملون معه فى الخدمة، وأغلب هذه الأشياء ليست ضمن مناهج كليات اللاهوت، فقد أظهروا أنفسهم «**فى صبر كثير، فى شدائد، فى ضرورات، فى ضيقات، فى ضربات، فى سجون، فى اضطرابات، فى أتعاب، فى أسهار، فى أصوام**»... (انظر الآيات ٤ ، ٥). ثم يسرد بولس الرسول طرق أخرى تؤكد على أنه والعاملين معه هم خدّام لله:

«**كمجهولين ونحن معروفون، كمائتين وها نحن نحيا، كمؤدبين ونحن غير مقتولين، كحزانى ونحن دائما فرحون، كفقراء ونحن نغنى كثيرين، كأن لا شىء لنا ونحن نملك كل شىء**» (آية ٩ـ١٠).

إن الفقر لعنة لكن الله يهبنا الفيض، ولكن لا تركّز على الجانب المادى فحسب، لأنّك حين تموت سيكون الموت نهاية هذا الجانب، وأقول لمن يرتبون أولوياتهم بطريقة صحيحة، الله سيوفر لكم الكثير من الغنى العظيم الدائم.

اعلان هذه المبادلة :

مرّة أخرى لنعترف بهذه المبادلة بصوت مسموع:

«تحمّل الرب يسوع فقرنا لكى نشاركه فى فيض غناه» .

أشكرك يا رب الرب يسوع لأنك تعطينى فيض غناك.

الفصل التاسع

المجد بدل الخزى

سنتناول الآن جانبين آخرين من جوانب المبادلة التى تمت على الصليب. وهذان الجانبان يقدّمان الشفاء لمشاعر المجروحين بالخزى والرّفض. لقد قرأنا الآية فى (إشعياء ٥٣ : ٥) عدة مرّات: «**بحُبُرِه** (جراحه) **شفينا**» وهى لا تتكلم عن الشفاء الجسدى فحسب ولكن تشمل شفاء المشاعر.

هناك أنواع كثيرة من الجروح التى تصيب المشاعر، وبكل تأكيد يقدّم الصليب العلاج لها جميعاً. لكن جروح الخزى وجروح الرّفض هما الأكثر انتشاراً وعمقاً بين ما يعانيه البشر.

الخـــزى:

ما هو نقيض الخزى؟ انه المجد. لقد عانى الرب يسوع على الصليب من جرح الخزى فى أقسى درجاته، لكى يهبنا الشفاء منه، فقد تحمّل الرب يسوع خزينا لنشاركه فى مجده. سنناقش فى هذا الفصل الخزى الناتج عن الصليب، وسنتحدّث عن بعض مسببات الخزى بين الناس اليوم، وسنناقش كيفيّة العلاج.

أعظم امتياز لى فى خدمتى أن أرى الناس يُشفَون من جراح الخزى والرّفض، فعلاج الله ليس مجرد نظرية أو عقيدة، لكنه حقيقة فعالة لأن الله يعمل فعلياً ويقوم بالشفاء. أنا أؤمن أنك لو قبلت مبدأ أن الشفاء مُتاح من خلال ذبيحة الرب يسوع البديلة عنك، فستجد الشفاء لنفسك، وإن كنت تخدم خدمة المشورة أو التعليم فسيكون لك امتياز قيادة آخرين للشفاء.

لقد وجدت من خلال خبرتى الطويلة فى الخدمة والمشورة أن الخزى هو من أكثر المشاكل العاطفية انتشاراً بين شعب الله. والأسوأ من ذلك أن المؤمنين يخجلون من إخبار الآخرين بمشكلتهم. لقد أصبح الخجل سجّاناً يغلق عليهم الأبواب.

نقرأ فى (عبرانيين ٢ : ١٠) : «**لأنّه لاق بذاك (الله الآب) الذى من أجله الكل وبه الكل، وهو آت بأبناء كثيرين (أنا وأنت) إلى المجد، أن يكمّل رئيس خلاصهم (الرب يسوع) بالآلام**».

لقد سمح الله للرب الرب يسوع أن يحمل كل هذه الآلام لكى يُدخلنا فى كمال الرب يسوع. لاحظ الغرض الإلهى فى الآية: «**وهو آتٍ بأبناء كثيرين إلى المجد**». فإن كنت مؤمناً، فأنت كابن لله مثّبت فى المجد. تحمّل الرب يسوع على الصليب خزيك ليكون لك نصيب فى مجده.

تتكلّم (عبرانيين ١٢ : ٢) أيضا عن تحمّل الرب يسوع لخزينا، وهى تحثنا أن نبقى «**ناظرين إلى رئيس الإيمان ومكمّله الرب يسوع، الذى من أجل السرور الموضوع أمامه احتمل الصليب مُستهيناً بالخزى، فجلس عن يمين عرش الله**».

تحمّل الرب يسوع على الصليب خزياً شديداً يصعب علينا تخيّله، ولكنه لم يسمح لهذا أن يعيقه. فقد كان ذهنه مركّزاً على السرور الموضوع أمامه، ولم يكن هناك ما يستطيع أن يحوّل نظره عن هدفه. فما هو السرور الموضوع أمامه؟ هو أن يأتى بأبناء كثيرين إلى المجد. فلكى يحضرك ويحضرنى ويحضر ملايين من البشر إلى المجد، تحمّل خزى الصليب.

خزى الصليب:

قبل عدة سنوات، ساعدنا أنا وزوجتى الأولى سيدتين يهوديتين كانتا قد هربتا من الاتحاد السوفيتى، وقد واجهت مشاكل كثيرة لمساعدتهما. وبينما كنت أصعد تلةً مرتفعة فى أحد الأيام الحارّة فى حيفا، بدأت أتذمّر فى داخلى، وأفكر كم من الصعاب والمشاكل ستواجهنى من أجل هاتين السيدتين، مع أنهما كانتا شاكرتين جدّاً على ما نفعله معهما. وفى تلك اللحظة، وضع الله على قلبى الآية الموجودة فى (٢تيموثاوس ٢ : ١٠):

«**لأجل ذلك أنا أصبر على كل شىء، لأجل المختارين، لكى يحصلوا هم أيضا على الخلاص الذى فى المسيح الرب يسوع مع مجد أبدى**».

أدركت حينها أن ما كنت أحتمله بسيط جداً، ولا يمكن مقارنته بما احتمله الرب يسوع على الصليب، فشعرت أن ما أعمله قليل ومُتضع جداً.

لا توجد طريقة مخزية للموت أكثر من الصليب، وقد كانت أحقر طريقة عقاب لأحقر المجرمين. لقد أخذوا كل ثياب الرب يسوع عنه، وعلقوه عارياً أمام عيون الناس وعابرى السبيل يهزأون به. فما احتمله الرب يسوع يمكن تلخيصه فى كلمة واحد: «الخزى». لقد تحمّل الرب يسوع الخزى لأنه يحضرنا إلى المجد.

يعطينا العهد الجديد وصفا مختصرا لما احتمله الرب يسوع على الصليب. وفى الحقيقة لا يمكنك أن تجد اقصر من هذا الوصف، فروايات البشائر الأربعة تقول بوضوح «صلبوه» والعهد القديم فى المزامير والأنبياء يكشف لنا بطريقة رائعة رؤية لما كان يجول داخل الرب يسوع.

بالعودة إلى (إشعياء ٥٣)، أصحاح الكفّارة العظيم، نرى التأكيد على الخزى الذى عانى منه الرب يسوع:

«محتقر ومخذول من الناس، رجل أوجاع ومختبر الحَزَن. وكمستر عنه وجوهنا محتقر فلم نعتد به» (الآية ٣).

وما أفهمه أننا حولنا نظرنا عنه لأن منظره كان رهيباً جداً. والآية (٢) من نفس الأصحاح تقول: **«لا صورة له ولا جمال»**. لقد فقد الرب يسوع حتّى صورة وجهه كإنسان، وكانت الجراح والكدمات والتقرحات المتعفّنة فى جسده مكشوفة أمام مبغضيه وصالبيه، بل كانت أيضا مكشوفة لعابرى السبيل الكسالى.

يعتبر (مزمور ٦٩) من أقوى وأروع المزامير المسيانية● التى لا تشير فقط إلى داود قائل وكاتب كلمات المزمور، لكنها تشير أيضا إلى المسيا نفسه.

● «المسيانية»، تعبير يطلق على مقاطع معينة من العهد القديم تشير أو تتنبأ بأمور تتعلق بالمسيح.

«**لأنى من أجلك احتملت العار. غطّى الخجل وجهى**» (آية ٧).

نفهم من هذه الآية شيئاً آخر عن ما احتمله الرب يسوع على الصليب. هل لاحظت من قبل أن من يشعر بالعار، يصعب عليه النظر فى وجوه الناس؟ لقد غطّى الخجل وجه ذلك العبد المتألم.

تعطينا أول آيتين من (مزمور ٦٩) تصوّراً أبعد لما جرى:

«**خلّصنى يا الله لأن المياه قد دخلت إلى نفسى. غرقت فى حمأة عميقة وليس مقر**».

وحيداً وبدون أى سند، هكذا غرق الرب يسوع فى عمق الحمأة (المستنقع) القذرة لخطايا العالم.

اقتبس العهد الجديد أربع آيات من (مزمور ٦٩) ليتحدّث بها عن الرب يسوع، وأولها الآية (٤) التى اقتبسها الرب يسوع فى (يوحنا ١٥ : ٢٥): «**لكن لكى تتم الكلمة المكتوبة فى ناموسهم إنهم ابغضونى بلا سبب**». حيث يقول المزمور:

«**أكثر من شعر رأسى الذين يبغضوننى بلا سبب**» (مزمور٦٩ : ٤).

وأيضا الآية (٨):

«**صرت أجنبياً عند إخوتى وغريباً عند بنى أمى** ».

تذّكر أن الرب يسوع رُفض من أقربائه وعائلته (انظر مرقس ٣ : ٢١ ، يوحنا ٧ : ٣ـ٥).

كما تحققت الآية (٩) فى حياة الرب يسوع حين طهّر الهيكل فى (يوحنا ٢ : ١٧):

«**غيره بيتك أكلتنى، وتعييرات معيّريك وقعت على**».

وأخيراً الآية (٢١) والتى تحققت حين عُلق الرب يسوع على الصليب (انظر متّى ٢٧ : ٣٤ ، ٤٨).

«يجعلون فى طعامى علقماً، وفى عطشى يسقوننى خلاً» (الآية ٢١).

لم يحدث هذا لداود على الإطلاق، ولكن روح المسيا الذى كان فى داود، كان يتحدث من خلال داود عن أشياء ستحدث للرب يسوع على الصليب.

يوّضح الرسول بطرس فى رسالته الأولى كيف يتحدّث أنبياء العهد القديم مستخدمين صيغة المتكلم عن أشياء لم تحدث أبدا معهم ولكنها تمت فى حياة الرب يسوع:

«الخلاص الذى فتش وبحث عنه أنبياء، الذين تنبأوا عن النعمة التى لأجلكم، باحثين أىُّ وقت أو ما الوقت الذى كان يدل عليه روح المسيح الذى فيهم، إذ سبق فشهد بالآلام التى للمسيح، والأمجاد التى بعدها». (١بطرس ١: ١٠-١١).

والآن لنقرأ الآية التالية التى تصف الصلب فى (متّى ٢٧: ٣٥) والتى يقتبسها البشير متّى من (مزمور ٢٢)، وهو أحد المزامير المسيانية.

«ولما صلبوه، اقتسموا ثيابه مقترعين عليها، لكى يتم ما قيل بالنبى: اقتسموا ثيابى بينهم وعلى لباسى ألقوا قرعة».

أتعجب كيف اكتفى كتّاب العهد الجديد بالقول: «صلبوه». لم يعطونا صورة عن الدّم المسفوك أو عن معاناة الرب يسوع. لو أراد أى كاتب من الكتاب المعاصرين أن يصف حدث الصلب، لملأ صفحات عديدة من التفاصيل. لكن العهد الجديد يترك هذا الأمر للروح القدس ليوّضح لنا التفاصيل التى نحتاج أن نعرفها.

والآن تصوّر منظر الجنود وهم يقتسمون ثياب الرب يسوع. يتفق أغلب الدّارسين على أن ثياب الرجل على أيام الرب يسوع كانت عبارة عن أربع قطع، ولأنه يوجد أربعة جنود فقد أخذ كل جندى قطعة. لكنهم اقترعوا على الثوب لأنه كان جيد الصنع. لاحظ دقة النص الكتابى، وانظر إلى النتيجة النهائية: كان الرب يسوع مُعرّىً بالكامل ومكشوفاً للجميع وهو على الصليب.

ولكن ماذا عن النساء اللاتى تبعن الرب يسوع؟ ثلاث نساء فقط اقتربن من الصليب: العذراء مريم أمّه، وأخت أمه مريم زوجة كلوبا، ومريم المجدلية (انظر يوحنا ١٩ : ٢٥) أما بقية النساء فبقين بعيدات. وهذا يدل أن الرب يسوع كان عارياً أمام الناس. وأما صورنا اللطيفة عن الصلب، فتظهر جسم الرب يسوع مغطىً، وترسم نقاطاً قليلة من الدّم على يديه وعلى رجليه، وإكليلاً جميلاً ومرّتباً من الشوك على رأسه. هذه الصورة لا تعطينا أى إدراك أو فهم لحقيقة الصليب.

إلا أن الرب يسوع قد تحمّل عارنا ليحررنا من خجلنا وخزينا، و ليكون لنا نصيب فى مجده.

لماذا يعانى الناس من الخزى:

هناك عدة أسباب تؤدى بالناس للإحساس بالعار والخجل والخزى. من هذه الأسباب تجارب مهينة من الماضى. فى العادة تحدث لنا هذه التجارب فى المدارس. لسبب أو لآخر قد يصبح أحد التلاميذ «فُرجةً» لباقى صفه. جرت العادة قديماً أن يعاقب الأستاذ الطالب المهمل بإيقافه فى زاوية الصف، فمع أن فرض النظام فى الفصل أمرا ضروريا، لكن هذه الطريقة من العقاب تؤدى بالطلاب للإحساس بالخزى، وقد يُجرح أحد التلاميذ الحساسين من الداخل طوال أيام حياته بسبب هذا العقاب.

سبب آخر للإحساس بالخزى هو الذكريات التى نحتفظ بها لما كنّا نفعله قبل أن نتقابل مع الرب. أشياء قد تكون مخزية ومهينة. بعض الأحيان أستغرب كيف كنت أجرؤ على عمل مثل تلك الأمور.

ربما يكون التحرش الجنسى للأطفال هى المسبب الأكثر انتشاراً للإحساس بالخجل والخزى. الإحصاءات هذه الأيام تعطى أرقاما مخيفة، فقد أظهرت الأبحاث أن فتاة من بين كل أربع فتيات فى أمريكا، وشاب من بين كل خمسة قد تعرّضوا للتحرش الجنسى قبل أن يبلغوا سن الثانية عشر. إن كنت تظن أن هذا لا يحدث داخل الكنيسة، فأنت مخطئ. كان من الصعب علىَّ احتمال ما اكتشفت أنه يحدث «تحت غطاء» الكنيسة. لا أريد أن

أكون سلبياً، ولكن حتى أطفال شيوخ الكنيسة وأطفال الوعّاظ يتعرضون للإساءة الجنسية، فالكنيسة ليست مستثناة.

حين ينخرط الخادم فى عمل المشورة، يواجه أثناء خدمته أناساً يعانون من جراح الخزى. بعضهم بسبب التحرش أثناء فترة الطفولة. لكن يجب أن نتذكر أن هذه الجراح قد عولجت على الصليب، فمن أجل شفاء هذه الجراح، احتمل الرب يسوع العُرى أمام الناس وهو معلّق على الصليب.

ربما أنت نفسك تحمل فى داخلك جرحاً يسبب لك الخجل والخزى. إن كان الأمر كذلك، اسمح للروح القدس أن يتعامل مع هذه الجراح، فهو شفوق ورقيق وبارع ولكنه أيضا صادق.

لا تتهرب من هذا الموضوع وتذّكر هذه الأخبار السارة: لقد حمل الرب يسوع على الصليب كل الخزى الذى يمكن أن يعانى منه أى منا، وحمله كله على نفسه، فأزاله وأبعده عن طريقك.

تدعونا الفقرتين التاليتين من سفر أيوب لأن نرفع وجوهنا إلى الله.

الفقرة الأولى: فى (أيوب ١١ : ١٤ـ١٥):

«إن أبعدت الإثم الذى فى يدك، ولا يسكن الظلم فى خيمتك، حينئذٍ ترفع وجهك بلا عيبٍ، وتكون ثابتاً ولا تخاف».

شىء آخر لاحظته فى من يعانون من الخزى أنّهم نادراً ما يرفعون وجوههم فى الصلاة إلى الله، فهم يصلون ووجوههم منخفضة إلى أسفل، لماذا؟ بسبب خجلهم. أحد مؤشرات العار والخجل هو عدم الرغبة فى النظر إلى الله، أو حتى إلى الإنسان وجهاً لوجه.

لكن الآية التالية من أيوب تصف لنا ما يحدث للشخص الذى يتحرر من العار:

«لأنك حينئذٍ تتلذَذ بالقدير، وترفع إلى الله وجهك» (أيوب ٢٢ : ٢٦).

وأنت تستطيع أن تختبر هذا الشىء نفسه.

الاعتراف بهذه المبادلة :

كيف تُشفى من جُرح الإحساس بالخزى؟ بالإيمان. الأمر فى غاية البساطة. اشكر الرب يسوع لأنه حمل عارك ليحررك منه، فتقديم الشكر هو أبسط طريقة للتعبير عن الإيمان.

والآن للحظات بسيطة فقط، التفت إلى الله، وصلِ الكلمات التالية:

«أبى السماوى، إن كان فى قلبى أو حياتى عار يمنعنى من رفع وجهى إليك، فأريد أن أتحرر منه، فلا أعود أخجل بعد الآن. وأنا أؤمن أن **الرب يسوع حمل عارى وخزيى لكى أشاركه فى مجده**».

دع حضور الله يستقر عليك ويحررك من عبودية الخزى. ثم ارفع وجهك إلى الله واشكره لأنه سمح بأن يكون لك نصيب فى مجد المسيح.

فى (١بطرس ١ : ١٠ـ١١) يصف لنا الرسول بطرس نتيجة هذه المبادلة العظيمة، وهو يتحدّث عن أنبياء العهد القديم فيقول: «**الخلاص الذى فتش وبحث عنه أنبياء، الذين تنبأوا عن النعمة التى لأجلكم، باحثين أىُّ وقت أو ما الوقت الذى كان يدل عليه روح المسيح الذى فيهم، إذ سبق فشهد بالآلام التى للمسيح، والأمجاد التى بعدها**».

تمسك بهذه الحقيقة: **تحمّل الرب يسوع خزيك لكى تشاركه فى مجده.**

هذه عطيّة الله لك فى هذه الحياة والحياة القادمة.

الفصل العاشر

القبول بدل الرفض

تكلَّمنا فى الفصل الماضى عن جروح المشاعر الناتجة عن الخزى، ورأينا كيف تحمّل الرب يسوع خزينا لكى نشاركه فى مجده. و فى هذا الفصل سنتحدث عن الرفض.

ما هو نقيض الرفض؟ إنه القبول. والمُبادلة هى كالآتى:

تحمل الرب يسوع رفضنا لكى نحظى بالقبول الذى له عند الآب.

أستطيع القول إننى شخصياً لم أعان من الرفض. فى الحقيقة كنت أنظر إلى الأمور بطريقة مُختلفة، فدائما كان موقفى من الآخرين (وأنا لا أقول إنه موقف صحيح) هكذا: «إن لم تكن تحبنى، فهذه مشكلتك!» لكنى تعلمت عن الرفض من خلال تعاملى مع مشاكل الآخرين، وقد أذهلنى ما اكتشفته. فى البداية لم أكن أصدّق أن الناس يمكن أن يعانوا من أمر كهذا! ولكن أثناء خدمتى مع أناس يعانون من الرفض، تعلمت من الله عن الأمر، وأصبحت أتفهم وأشفق على هؤلاء الناس.

يمكن تعريف الرفض بأنه الإحساس بأنك شخص غير مرغوب فيه وغير محبوب. ونستطيع تمثيل الأمر بشخص يقف من بعيد وينظر إلى مجموعة من الناس معاً وهو لا يستطيع الانضمام إليهم.

أنا أتفق مع الأم تريزا فى تشخيصها لمشكلة الإنسانية الأساسيّة حين قالت: «أسوأ مرض يمكن أن تعانى منه هو الشعور بأنّك غير محبوب».

تعلن لنا (رسالة يوحنا الأولى ٤ : ١٩) هذه الحقيقة العميقة:

«**نحن نحبه لأنه هو أحبنا أولاً**»، فنحن لا نستطيع أن نحب الله حتى يأتى حبه

أولاً ويوقظ المحبة فى داخلنا، وهذا صحيح أيضاً فى علاقاتنا البشرية. نحن عاجزون عن الحب حتى يأتى شخص ما ويوقظ بحبه الحب فى داخلنا، فمن لم يعرف الحب من الآخرين لن يستطيع أن يقدّم الحب. عدد كبير ممن يعانون من الرفض، يرغبون فى تقديم الحب لكنهم غير قادرين على ذلك لأن الحب لم يُوقظ فى داخلهم.

أسباب الرفض :

الرفض، كما أعتقد هو أكثر جروح المشاعر انتشاراً فى ثقافاتنا المعاصرة، وهناك عدّة أسباب لهذا أحدها تفكك العلاقات الأسريّة.

لكل طفل يولد فى العالم احتياج بارز: وهو أن يُحِب وأن يُحَب. الطفل يحتاج لأن يُضم، وهو يعرف بغريزته أنّك تُسر وتبتهج حين تضمه بين ذراعيك. الطفل لا يحتاج للحب النظرى المجرّد، ويجب أن يكون التعبير عن الحب بطريقة فعالة تعبر له فيها عن محبتك له.

بل أنا أرى أيضاً، وهذا ما توصّل إليه علماء النفس حديثاً، أن محبّة الأب لطفله لا يمكن استبدالها بأية محبّة أخرى. ليس هذا تقليلاً من محبة الأم، فهى محبّة فريدة، لكن الطفل يجد الأمان بين ذراعى أبيه. كأن الطفل يقول فى داخله: «مهما حصل حولى، فأنا بأمان بين هاتين الذراعين القويتين اللتين تحملانى وتحبانى». فى مجتمعاتنا المعاصرة، لا يختبر الأطفال هذا الحب والقبول من آبائهم، وذلك لأن كثير من العلاقات الأسريِّة مفككة.

فى بعض الأحيان يرجع تاريخ مشكلة الرفض لدى بعض الناس إلى ما قبل الولادة، فيكونوا بحاجة للتحرير من روح رفض أتى إليهم وهم فى أرحام أمهاتهم. هذه أُمٌّ تكافح من أجل إطعام أبنائها الأربعة، وتكتشف أثناء معاناتها أنها حامل، فتستاء من هذا الحدث غير المرحّب به! فهى تفتقر للوقت والمال وكثير من الأشياء الضرورية لإعالة هذا الطفل الجديد. تفكر هذه المرأة أو تقول: «لو أنى لم أحمل بهذا الطفل .. أتمنى لو أنه لا يولد!» هى ليست مضطرة لقول هذه الكلمات بصوتٍ مرتفع، فالطفل فى رحمها يشعر بأنه غير مرحّب به، وحين يولد يأتى معه روح رفض.

قبل عدّة سنوات أثناء خدمة التحرير، ابتدأت ألاحظ أن كثيراً من الأميركيين المولودين عامى ١٩٢٩ أو ١٩٣٠ وبعدهما يحتاجون بشكل خاص إلى التحرير من الرفض. ولكونى بريطانياً لم أكن أعلم ما الذى حدث فى أمريكا فى ذلك الوقت. لكن حين كان الأمريكيون يسمعون «١٩٢٩» كانوا يقولون «آه... **الكساد العظيم**»● وهكذا بدأت أستنتج ما كان يجرى فى قلوب الأطفال الذين كانوا على وشك الولادة أثناء تلك السنوات.

سبب أساسى آخر للرّفض هو انهيار الزّواج. أغلبنا يعلم أن خمسين فى المئة من حالات الزّواج هذه الأيّام تنتهى بالطلاق وكلا الطرفين المنفصلين فى العادة يعانى من هذا بعض النساء يعتقدن أنهن الوحيدات فى هذه المعاناة، وهذا ليس صحيحا، فشعور الرجال بالرفض ليس أقل عمقاً.

يخاطب الرب فى (إشعياء ٥٤ : ٦) بنى إسرائيل، ولكن الكلمات تنطبق أيضاً على كُل زوجة مرّفوضة، وكل شخص يعانى من الرفض:

«لأنه كامرأةٍ مهجورةٍ ومحزونةِ الرُّوح دعاكِ الرب، وكزوجة الصبا إذا رُذِلَتْ، قالَ إلهُكِ».

من منا يستطيع أن يُحصى عدد الأشخاص الذين يعانون من الرفض بسبب انهيار العلاقات الزوجية؟ تخيل امرأة ضحّت وقدّمت كل شىء لزوجها، وهى مصممة أن يكون زواجها ناجحاً، وبعد كل هذا يذهب الرجل مع امرأة أخرى! لا أعتقد أنّى أستطيع تصوُّر صعوبة هذا الظرف، ولا أستطيع أن أشعر بما تشعر به هذه السيّدة، ولا أن أضع نفسى مكانها. لكن الشىء الرائع أن الله يستطيع، وقد فعل!

● عانت الولايات المتحدة من فترة ما يسمى بـ «الكساد العظيم ـ Great Depression» فى الأعوام ما بين ١٩٢٩ و ١٩٣٩. وكانت تلك من أعسر الأزمات الاقتصادية حيث وصل عدد العاطلين عن العمل إلى ١٥ مليون شخص، وأعلنت ثلث بنوك أمريكا إفلاسها.

من الأسباب الأخرى للرّفض المظهر الخارجى، فعلى السيّدات اليوم أن يصبحن نحيلات الجسم ليحظين بعلاقات جيّدة. وهذا شيء سخيف! فقد تشعر الفتاة بالرفض لأنّها أكثر امتلاءاً ولو قليلاً من زميلاتها بالدراسة، أو لأنها أكثر هدوءاً، أو حتى بسبب خطأ بسيط فى ملابسها، وقد يشعر الفتى بالرفض لمجرّد أنه أقصر أو أبطأ قليلاً من زملائه، أو لأنّه لا يجيد الرياضة كالآخرين، فأبسط الأشياء يمكن أن تجعل شخصاً ما يشعر بالرفض.

يمكننا بسهولة التعرف على هذه المشكلة فى الآخرين، أو ربما بعضنا يعانى منها. ولكن لنبحث عن الحل. مرّة أخرى يقدّم الرب يسوع العلاج، فعلى الصليب تحمّل الرب يسوع الرفض إلى أقصى حدوده.

معاناة الرب يسوع على الصليب :

يقدّم لنا (إشعياء **٥٣ : ٣**) صورة نبوية عن صلب الرب يسوع، رُسمت قبل ٧٠٠ سنة من حادثة الصلب:

«مُحتقر ومخذول من الناس، رجل أوجاع ومُختبر الحَزَنِ، وكمُستّرٍ عنه وجوهنا، مُحتقرٌ فلم نعتد به» .

كان ذلك العبد المُتألم مرفوضاً من الناس. وكما يقول الرسول يوحنّا: «**إلى خاصّته جاء، وخاصّته لم تقبله**» (يوحنّا ١ : ١١). رفضه إخوته وبنو أمه. نرى هذا فى (مزمور ٦٩ : ٨)، وهو المزمور المسيّانى الذى تحدثنا عنه فى الفصل السابق:

«صرتُ أجنبياً عند إخوتى وغريباً عند بنى أمّى» .

لاحظ أن المزمور يقول «**بنى أمّى**» وليس «**بنى أبى**». فكثير من النبوّات المسيانية تشير إلى العذراء أمِّ المسيح، ولا إشارة إلى وجود أبٍ أرضى، وذلك لأن ولادة المسيح فريدة.

إن كان أى منا يعانى من هذا الرفض، فعليه أن يدرك أن الرب يسوع نفسه قد اجتازه، فعائلته وشعبه رفضوه، ولم يقف بجانبه فى النهاية سوى مجموعة صغيرة من ثلاث نساء. لم يكن ذلك

كل شىء، فالرفض من الناس مُؤلم، لكن أنْ يُرفض من الآب السماوى فهذا ذروة الرفض. ويقدّم لنا (متّى ٢٧ : ٤٥ـ٤٧) وصفاً للحظات الرب يسوع الأخيرة على الصليب:

«ومن الساعة السادسة كانت ظلمة على كل الأرض إلى الساعة التاسعة. ونحو الساعة التاسعة صرخ الرب يسوع بصوت عظيم قائلا: إيلى إيلى لما شبقتنى؟ أى: إلهى إلهى لماذا تركتنى؟ فقوم من الواقفين هناك لما سمعوا قالوا: «إنه ينادى إيليا».

لم يفهم السامعون اللغة، فظنوا أن «إيلى» هى «إيليا». بينما هى «إلهى».

«وللوقت ركض واحد منهم وأخذ إسفنجة وملأها خَلاً وجعلها على قصبةٍ وسقاه» (آية ٤٨).

مرّتين على الصليب، قُدّم للرب يسوع شيئٌ ليشرب. يسجل لنا الكتاب فى (مرقس ١٥ : ٢٣) أنهم أعطوا الرب يسوع خمراً ممزوجاً بمرٍّ ليشرب لكنه رفض، فالمر كان عقاراً مخدِّراً، كان سيخفف من ألمه. لكن الرب يسوع وضع فى قلبه أن يحتمل كل الآلام بلا تخفيف.

بعد ذلك وفى اللحظات الأخيرة، قدّموا للرب يسوع خلاً شديد المرارة. ربما كان المقصود منه أن لا يفقد وعيه. وبقبول الرب يسوع للخّل فقد شرب الرب يسوع رمزيّاً كأس الرفض المر حتى آخر قطرة. لا أحد من البشر جاز فى هذا الرفض الكامل الذى عاناه الرب يسوع على الصليب.

«وأما الباقون فقالوا: اترُك لنرى هل يأتى إيليّا يخلّصه، فصرخ الرب يسوع أيضاً بصوت عظيم وأسلم الروح» (الآيات ٤٩ـ٥٠).

لأوّل مرّة فى تاريخ الكون، يصلّى ابن الله للآب فلا تأتيه إجابة، لماذا؟ لأن الرب يسوع حُسب خطيّة بخطايانا، كما رأينا فى الفصل الخامس، وكان على الله الآب أن يرفض قبوله. فمات ليس بسبب الصليب ولكن بسبب انكسار قلبه.

كيف كانت حقيقة موت الرب يسوع :

تذكّر أن العهد الجديد لا يخبرنا عمّا كان يجول داخل نفس يسوع وقت الصلب، لكن العهد القديم يفعل ذلك. لنعد إلى (مزمور ٦٩ : ٢٠ ، ٢١):

«العار قد كسر قلبى فمرضت. انتظرت رقةً فلم تكن، ومعزِّين فلم أجد. ويجعلون فى طعامى علقماً، وفى عطشى يسقُوننى خلاً» .

فى الوضع الطبيعى لا يسبب الصلب هذا الموت السريع، وفى الحقيقة واضح من العهد الجديد أن الصلب لم يكن سبب موت الرب يسوع المُباشر.

« ... جاء يوسف الذى من الرامة، مُشيرٌ شريفٌ وكان هو أيضاً مُنتظراً ملكوت الله، فتجاسر ودخل إلى بيلاطس وطلب جسد يسوع، فتعجب بيلاطس أنه مات كذا سريعاً، فدعا قائد المئة وسألهُ: هل له زمانٌ قد مات؟ ولماَ عرف من قائد المئة، وهب الجسد ليوسف» . (مرقس ١٥ : ٤٣-٤٥).

فى الوضع الطبيعى، ما كان يحدث أن يموت الرب يسوع بهذه السرعة، فاللّصان اللذان معه قتلهما الجنود. لذلك نستطيع أن نستنتج من (مزمور ٦٩) ومن سجل العهد الجديد أن الرب يسوع لم يمت بسبب الصلب، مع أن الصلب كان سيؤدى فى النهاية إلى الموت، ولكنه مات بسبب انكسار قلبه ومن المهم أن ندرك هذا. فما الذى كسر قلب الرب يسوع؟ إنه الرفض من أبيه، ذلك الرفض المُطلق. لكن الرب يسوع تحمل هذا لنحظى نحن بالقبول.

نعود الآن إلى (متّى ٢٧ : ٥٠-٥١):

«فصرخ الرب يسوع بصوت عظيم وأسلم الروح. وإذا حجاب الهيكل قد انشق إلى اثنين، من فوق إلى أسفل» .

يفصل حجاب الهيكل بين الله القدوس والإنسان الخاطئ، وقد انشق هذا الحجاب

ليُعلن لنا القبول لدى الله. لقد انشق من فوق إلى أسفل حتى لا يعتقد أى إنسان أنه هو من فعل هذا الأمر. فهذا العمل أُنجز من قبل الله. الآب هو من شق الحجاب، داعياً بهذا ومرحباً بكل شخص يؤمن بالرب يسوع وقائلاً: «ادخل، مرحباً بك فقد تحمّل ابنى رفضى له لأمنحك القبول».

«مبارك الله أبو ربنا الرب يسوع المسيح، الذى باركنا بكل بركة روحية فى السماويات فى المسيح، كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم» ... (أفسس ١ : ٣ـ٤).

لاحظ أن الإختيار المُطلق هو لله وليس لنا، فلا تفترض يوماً أنك خلُصت بسبب اختيارك! لقد خلصت لأن الله اختارك، وأنت تجاوبت مع اختياره. قد تغير أنت رأيك، لكن الله لا يفعل.

« ... لنكون قديسين وبلا لوم قدّامه فى المحبة» ... (الآية ٤).

وبالفعل هذا تفكير هائل! فلولا أن الأساس هو اختيار الله، لما كنّا نستطيع أن نؤمن أن نكون قدّيسين وبلا لوم قدّامه فى المحبة، فالاختيار اختيار الله، وليس اختيارنا.

فى الطرق المعاصرة لعرض بشارة الإنجيل، هناك اهتمام وتركيز على الجانب الخطأ، فتُعرض بشارة الإنجيل كما لو أن كل شيء يعتمد على ما نفعله نحن. نعم علينا أن نختار، ولكن ما كان هذا الاختيار ممكناً لولا أن الله قد اختارنا أوّلاً. ستجد نفسك كمسيحى مؤمن أكثر شعوراً بالأمانً والثقة حين تربط علاقتك بالله على أساس ما فعله هو وليس على ما تفعله أنت، فالله يمكن الاعتماد عليه أكثر منى ومنك.

«إذ سبق فعيّننا فى المحبة ليتخذنا أبناءً له بالرب يسوع المسيح، وذلك موافق للقصد الذى سُرّت به مشيئته، بغرض مدح مجد نعمته التى بها أعطانا حُظوة لديه فى المحبوب» (أفسس ١ : ٥ـ٦ ـ ترجمة كتاب الحياة).

«أعطانا حظوة (أى قبولاً) **لديه فى المحبوب»** . حقاً إنه قبول لا نهائى ولا يرجع عنه. عبارة «أعطانا حظوة» المُستخدمة هنا هى ترجمة للكلمة اليونانية «charitoo» والتى

تعنى «أنعم أو فضّل». وهى نفس الكلمة التى استخدمها الملاك جبرائيل حين كلّم العذراء مريم بالقول: «**سلام لك أيّتها المُنعم عليها**» (لوقا ١ : ٢٨).

وأن ينعم عليك الله أفضل حتى من أن يقبلك، و يجب أن تفهم ذلك، فالله ليس لديه أبناء من الدرجة الثانية، وكل أولاده ليس فقط لديهم حظوة وقبول لديه فى الرب يسوع المسيح فحسب ولكنهم مُنعم عليهم.

فمن خطط لكل هذا؟ بالطبع الله.

قبول عمل المسيح :

حدثت معى حادثة عرضيِّة قبل عدّة سنوات جعلت هذه الحقيقة تشرق أمامى. كنت مدعوّاً لأعظ فى أحد المخيمات الكبيرة. ومن خشيتى أن أتأخّر على موعد العظة، كنت أمشى بخطوات سريعة مُتجهاً نحو مكان الاجتماع، فاصطدمت بسيدة، أو بالأحرى هى اصطدمت بى. بينما كنّا نعدِّل مسارنا بعد التصادم قالت لى: «سيّد برنس، كنت أصلّى أن يسمح الله بأن ألتقيك، إن أرادنى أن أتحدث معك بخصوص مشاكلى».

فقلت لها: «حسناً، لقد تقابلنا، لكنى لا أستطيع أن أُعطيك أكثر من دقيقتين، وإلا سأتأخر عن وقت العظة».

فى دقيقة واحدة عدّدت لى هذه السّيدة الكثير من الويلات والمشاكل فى حياتها، فطلبت منها أن تتوقف عن الكلام وقلت لها: «لا أستطيع أن أُعطيك المزيد من الوقت، ولكن رددى معى هذه الصلاة».

لم أخبرها عن ماذا كنت سأصلى، ولا شخصت لها حالتها، لكننى ببساطه قدتها فى صلاة كهذه:

«يا إلهى، أشكرك لأنّك فى الحقيقة تحبنى، ولأننى ابنتك وأنت أبى. أشكرك لأننى أنتمى لأفضل عائلة فى كل الكون. أنا لست مرفوضة، ولا منبوذة، أنا مقبولة. أنت تحبنى وأنا أحبك، أشكرك يا رب».

بعد هذه الصلاة، افترقنا و توجهت إلى عظتى ونسيت ما حدث.

بعد نحو شهر، تلقيت رسالة من هذه السيّدة تتحدث عن تلك الحادثة وكيف تقابلنا (حتى تتأكد من أنى سأعرف من هو مرسل الرسالة)، ثم قالت فى رسالتها: «تلك الصلاة التى صلَّيتها معك غيَّرت حياتى بالكامل، وأنا الآن امرأة مختلفة».

ماذا جرى؟ لقد انتقلت من الرفض إلى القبول، ليس بسبب شىء عَمِلتُه، ولا بالمحاولات المضنية أو بمحاولة تحسين نفسها أو عن طريق الصلوات الطويلة. لقد تحررت من الرفض بمجرَّد قبولها ما عمله الرب يسوع لأجلها على الصليب.

الاعتراف بهذه المبادلة:

أسوأ شىء يمكن أن نفعله لمن يعانى من الرفض هو أن نطلب منه أن يحاول أكثر. لن يؤمن هذا الشخص أن ما فعله كافٍ على الإطلاق، بصرف النظر عن حجم المحاولات التى يقوم بها.

وأمّا الشىء الرائع فهو أن الله يحبنا. الله يحبك بشكل شخصى، ويحبنى أنا أيضاً. قد يبدو هذا صعب التصديق، لكننا فى المسيح أبناء الله، ونحن ننتمى إلى أفضل عائلة فى الكون. لا يوجد أى شىء يمكن أن يخزينا. نحن لسنا من الدرجة الثانية لدى الله، ولا نحن منبوذين أو غير مرغوب فينا. نحن مقبولون.

وحتى تحصل على هذه المُبادلة المدهشة اعترف بها بفمك قائلاً:

«تحمل الرب يسوع رفضى لكى أحظى بالقبول عند الآب مثله».

إن كنت حقّاً تؤمن بهذا، فقل «أشكرك يا أبى، لأنك تحبنى حقاً، ولأنك أعطيتنى ابنك الوحيد. أنت أبى، والسماء هى بيتى، وأنا جزء من أفضل عائلة فى الكون. وأنا فى أمان لأن محبتك واهتمامك بى غير مشروطين، أشكرك يا رب».

الفصل الحادى عشر

الإنسان الجديد بدل الإنسان العتيق

ما زلنا نتحدث عن ما عمله الصليب من أجلنا، وبالطبع هذه حقائق مُبهجة. لكن كثيراً من المؤمنين يقفون عند هذا الحد، فكل صلواتهم فى طلب المزيد والمزيد والمزيد! وتصبح مسيحيتهم ضحلة وغير مرضية.

لذلك ننتقل الآن إلى جانب آخر من عمل الصليب، وهو ليس ما يستطيع الصليب أن يفعله لنا، ولكن ما يستطيع أن يفعله فينا. وسنرى كيف يتعامل الله مع ما يسمّى الإنسان العتيق، وهذا هو المدخل للجزء التالى من الكتاب والذى يغطى ما يجب أن يفعله الصليب فينا.

فى البداية يجب أن نوضح ما يعنيه الإنسان العتيق. تكلم العهد الجديد عن إنسانين: الإنسان العتيق والإنسان الجديد. لم يطلق الكتاب عليهما أية أسماء، ومع ذلك، فهما من أهم شخصيات العهد الجديد.

الإنسان العتيق، هو الطبيعة الخاطئة التى ورثناها بانحدارنا من آدم. بعض الناس يسمونها «آدم العتيق» وهذا جائز، فلم ينجب آدم أى أبناء إلا بعد أن تمرّد، ولهذا فكل نسل آدم ولدوا وفى داخلهم التمرد. ليس المهم كم أنت ذكى، أو إذا كنت شاباً أو شيخاً، فهناك تمرد فى داخلك لأنك من نسل آدم وتستطيع أن ترى التمرد فى طفل صغير. تبنيت تسع بنات، فصارت لدى خبرة فى التعامل مع الفتيات. البنت الصغيرة فى عمر سنتين تكون فى غاية اللطف والجمال والجاذبية، ولكنك إذا قلت لها: «تعالى إلى هنا!» فقد تُدير وجهها وتركض

فى الاتجاه المُعاكس، فحتى فى الطفولة يبرهن التمرد عن وجوده.

يسمِّى الكتاب المقدّس هذا التمرد بالإنسان العتيق، وخطة الله هى استبدال هذا الإنسان العتيق بآخر جديد. ويمكن تلخيص هذه الخطة بقولنا:

«مات إنساننا العتيق على الصليب، لكى يحيّا فينا الإنسان الجديد».

أعلن يوحنّا المعمدان، الذى مهَّد الطريق لقدوم المسيح، ما يلى فى (متّى ٣ : ١٠) وهى الأية التى تقدم رسالة الإنجيل: «**والآن قد وضعت الفأس على أصل الشجر، فكل شجرة لا تصنع ثمراً جيداً تُقطع وتُلقى فى النار**». كلمة «أصل» التى تعنى هنا جذر مترجمة من كلمة تعود إلى اللاتينية وهى «radi» ومنها الكلمة الإنجليزية «radical» التى تصف «التعامل مع الشىء من جذوره». فبشارة الإنجيل هى أكثر رسالة أتت للبشريّة لتتعامل مع الشئ من جذوره. ورغم أن كثيراً من الناس يعرضون صوراً سطحيّة للبشارة، لكن الله لا يقلِّم الأغصان، ولا يكتفى بقطع السّاق بل يصل إلى الجذور.

التعامل مع الجذور:

حين قادنى الله للخدمة فى مجال التحرير كنت فى البداية أتعامل فى أغلب الأحيان مع الأغصان فى قمة الشجرة، كأنواع الإدمان والخطايا الجسديّة الواضحة التى لا يحبها الناس المتدينون. لكنى عرفت بعد ذلك أن أى نوع إدمان هو مجرّد فرع يخرج من غصن أكبر. إذا قمنا ببتر هذا الفرع، فنحن لا نحل جذر المشكلة. فالمشكلة الأساسية فى كل أنواع الإدمان هى وجود مُفشِّلات معينة، فعليك أن تكتشف هذا الشىء المحبط والمُفشِّل الذى أدّى لوجود الإدمان.

حتى المُفشلات هى مُجرّد أغصان، وحتى تُعالج مشكلة البشريّة عليك أن تبحث تحت

السطح حيث الجذور. هذا هو ما قاله يوحنّا المعمدان: «**والآن قد وضعت الفأس على أصل الشجرة**». ولكن ما هو هذا الأصل؟

يعطينا إشعياء النبى الجواب:

«**كُلّنا كغنمٍ ضللنا. ملنا كلٌّ واحد إلى طريقه، والرّب وضع عليه إثم جميعنا**» (إشعياء ٥٣: ٦).

هذا هو أصل المشكلة، تمردنا على الله. هناك تمرد يسكن فى داخل كلٍّ منا، فقد يكون الشخص شيوعياً، أو مدمناً على الكحول، أو حتى مُتديناً لطيفا، ولكنه يبقى فى جميع الأحوال متمرداً. ليس لدى الله سوى علاج واحد للتمرد. لا يعالج الله التمرد بإرسال الشخص لمدارس الأحد أو الكنيسة، ولا بتعليمه الوصايا العشر، أو بتحفيظه مقاطع من الكتاب المقدّس، ولكن الله يحكم على التمرد بالموت، فحكم الموت هو الحل الذى يقدّمه الله.

لكن رسالة الرحمة هى أن حكم الموت قد نُفِّذ بالفعل على الرب يسوع فى الصليب، وبحسب (رومية ٦: ٦ـ٧):

«**إنساننا العتيق قد صُلب معه ليُبطل جسد الخطيّة، كى لا نعود نستعبد أيضاً للخطيّة. لأن الذى مات قد تبرّأ من الخطيّة**».

لا يتحدث بولس الرسول هنا عن خطاياك الماضية، لكنه يتحدث عن التمرد الموجود الآن فى داخلك. قد تذهب إلى الكنيسة وتصلّى فتُغفر خطاياك، ولكن حين تخرج من الكنيسة وهذا التمرد حى فيك، تعود إلى الخطيّة، وحتى تتحرر من عبودية الخطيّة عليك أن تفعل أكثر من قبول الغفران عن خطايا الماضى، عليك التعامل مع هذا التمرد الداخلى.

يتضمن موت الرب يسوع على الصليب حقيقة مهمة وهى صلب إنساننا العتيق معه، هذه حقيقة تاريخية، وهى حقيقة حتى لو لم تكن تعرفها أو تؤمن بها. مشكلة الكثير من المؤمنين هى عدم معرفتهم بهذه الحقيقة، فحقيقة أن إنسانك العتيق قد صُلب مع المسيح لا

تكون فعّالة فى حياتك حتى تعرفها وتؤمن بها. عندما تعرف وتؤمن بهذه الحقيقة يصبح هذا الصلب حقيقيةً فى اختبارك.

كل من لم تُعالج فى حياته مشكلة الإنسان العتيق هو عبد للخطيّة، وهذا ما تُوضحه (روميّة ٦ : ٦ـ٧) التى قرأناها للتو. الشخص الذى مات مع المسيح «**قد تبرّأ** (أو تحرّر) **من الخطيّة**» . عندما يستوفى العقاب النهائى حقه، لا يكون هناك أى جزاء آخر لتدفعه، فلا سلطان للقانون على الشخص بعد أن يموت.

«**فإن كُنّا قد مُتنا مع المسيح، نؤمن أننا سنحيا أيضاً معه. عالمين أن المسيح بعد ما أُقيم من الأموات لا يُموت أيضاً. لا يسودُ عليه الموت بعد. لأن الموت الذى ماته قد ماته للخطيّة مرّة واحدة، والحياة التى يحياها فيحياها لله**» (الآيات ٨ ـ ١٠).

تعرض هذه الآيات الحقيقة التاريخية، بينما الآية اللاحقة تعرض التطبيق:

«**كذلك أنتم أيضاً احسبوا أنفسكم أمواتاً عن الخطيّة، ولكن أحياء لله بالمسيح الرب يسوع ربّنا**» (الآية ١١).

والآن لديك الحقائق، ولكن عليك تطبيقها، فقد صُلب إنساننا العتيق، والله هو من فعل هذا. لهذا عليك أن تحسب نفسك قد مُت مع الرب يسوع بالإيمان، وأنت من عليه أن يفعل ذلك، وإن لم تفعل فستبقى مُستعبداً من إنسانك العتيق.

تخيل معى هذه النوعية السِّيئة من الرّجال التى لا يحتملها من يذهبون للكنيسة باستمرار، رجل يلعن، ويشرب الويسكى، ويدخن السيجار، وهو قاسٍ مع زوجته ومع أولاده. تؤمن زوجته وأولاده بالمسيح. وفى مساء الأحد تخرج الزوجة والأولاد لحضور خدمة فى إحدى الكنائس المحلّية، بينما يمكث الرجل فى البيت مُستلقياً على كرسيه، والسيجار فى فمه، وزجاجة الويسكى على المنضدة بجانبه، وهو يتابع فيلماً هابطاً. وبينما هم خارجون يبدأ هذا الرّجل بسبهم وشتمهم.

تستمتع العائلة بأمسية رائعة فى الكنيسة ويعودون إلى البيت فرحين مرنمين. يدخلون من الباب الأمامى للبيت متوقعين أن يبدأ بسبهم وشتمهم، لكنه لا يفعل. الدّخان يخرج من السيجار الموضوع فى منفضة السجائر، لكن الرجل لا يدخن، الويسكى فى الزجاجة، لكنه لا يشرب، بل حتى لا يشاهد فيلم الڤيديو، أو ينظر إلى شاشة التلفزيون! لماذا؟ لقد أصابته نوبة قلبية أثناء خروجهم ومات. وهو الآن هو ميّت عن الويسكى، ميّت عن السيجار، ميّت عن السب والشتم، ميّت عن أفلام الڤيديو. لم تعد الخطيّة جذّابة بالنسبة له، وهو لا يبدى أى رد فعل تجاه الخطيّة، فهو ميّت!

هذا ما رأيناه فى (روميّة ٦ : ١١): «**كذلك أنتم أيضاً احسبوا أنفسكم أمواتاً عن الخطيّة**» ، هذا يعنى أن الخطية لم تعد لها أى جاذبية عليك، وليس لديك أى رد فعل تجاهها وليس للخطيّة أى قوّة أو سلطان عليك. كيف يمكن أن يحدث هذا؟ بالإيمان بما عمله الرب يسوع على الصليب. لقد نُفّذ حكم الموت على إنساننا العتيق المجرم.

علاج الله للفساد :

فى وقت عيد القيامة فى لندن قبل عدّة سنوات، كنّا نعقد اجتماعات فى الهواء الطلق، وفى الشوارع، وكنّا نعظ ثلاث مرّات فى الأسبوع. حلمت فى ذلك الوقت حلماً قويّاً شاهدت فيه رجلاً يعظ فى الشارع بنفس طريقتى وكان يبلى بلاءاً حسناً، وجماهير من الناس مجتمعه حوله، ولكن الرّجل كان مُشوهاً، وفيه شىء من الالتواء والخداع.

قلت لنفسى: من يا يكون هذا الرّجل؟

وبعد أسبوعين حلمت نفس الحلم تماماً.

ففكرت فى نفسى لا بد أن الله يحاول إخبارى شيئاً ما، وعُدت للتساؤل من هو هذا الرّجل. كان وعظه جيداً ولكن هناك شىء من الخداع والالتواء لديه. وبينما أنا أفكر بمن يكون ذلك الرجل، أجابنى الله بنفس كلمات ناثان النبى لداود فى (٢صموئيل ١٢ : ٧): «**أنت هو الرجل**» .

كان الله يكشف لى الإنسان العتيق الذى فى داخلى، فرغم أنى مؤمن مُخلص، وأعمل فى حقل الخدمة، فقد كان الإنسان العتيق موجوداً. وعندما أدركت ذلك بدأت بدراسة المقاطع الكتابية حول هذا الموضوع، واكتشفت أن علاج الطبيعية الملتوية الفاسدة هو الصلب.

ولأنّه كان وقت القيامة، فقد كان لدى فى مخيلتى صورة الجلجثة وعليها ثلاثة صلبان. كان الصليب الأوسط هو أطول الصلبان. بينما كنت أفكر بهذه الصورة الذهنية قال لى الروح القدُس: «قل لى لمن فى الأصل كان الصليب الذى فى الوسط؟ فكِّر قبل أن تجيب».

فكَّرت لِلَحظة وأجبت: «كان لبارباس».

فقال لى الروح القدُس: «هذا صحيح، وبرغم ذلك ففى اللحظة الأخيرة أخذ الرب يسوع مكان بارباس».

فقلت: «نعم، هذا ما فعله الرب يسوع».

فقال لى الروح القدُس: «أفلم يأخذ الرب يسوع مكانك أنت».

فقلت: «بلى، هذا صحيح».

فأجاب: «إذاً أنت هو باراباس!»

عندها عرفت ما يريد أن يخبرنى به الله. أنا هو المجرم الحقيقى الذى أُعد الصليب لأجله، وهو مناسب لى، ومصنوع على مقاسى. لكن الرب يسوع أخذ مكانى. لقد صُلب فى الرب يسوع إنسانى العتيق. هذا مذهل لكنه حقيقى.

تعطينا (أفسس ٤ : ٢٢ـ٢٤) صورة عن الإنسان العتيق والإنسان الجديد، حيث يحث بولس الرسول قراءه:

«أن تخلعوا من جهة التصرف السابق الإنسان العتيق الفاسد بحسب شهوات الغرور، وتتجددوا بروح ذهنكم، وتلبسوا الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله فى البر وقداسة الحق».

لاحظ هنا أن بولس الرسول يتحدث لأناس قد نالوا الخلاص، لكنه يطلب منهم أن يخلعوا الإنسان العتيق ويلبسوا الإنسان الجديد. هذا لا يحصل حين ننال الخلاص، بل نحتاج لأن نفعل هذا بعد أن نخلص.

فبولس الرسول يقول إن الإنسان العتيق فى فساد مستمر بسبب شهوة الغرور الموجودة فيه. لكن الإنسان الجديد مخلوق «**بحسب الله للبر وقداسة الحق**». أو «**المخلوق على مثال الله فى البر والقداسة بالحق**». (ترجمة كتاب الحياة). القداسة هى نتيجة الحق، وننال القداسة فقط حين تصبح لدينا معرفة الحق عن أنفسنا، وعن الطبيعة القديمة التى فينا.

تعمل فى كل إنسان قوَّتان مُتعارضتان، الخداع والحق. الإنسان العتيق هو نتاج الخداع الشيطانى. فقد صدّق آدم وحوّاء كذب الشيطان حين قال لهما «**لن تموتا... وتكونان كالله**»، (تكوين ٣ : ٤ ، ٥) وحين فتحا أنفسهما لخداع الشيطان، نتج فيهما الفساد. والمفتاح لوصف الإنسان العتيق هى كلمة «**الفساد**».

وعلى النقيض من هذا، فالإنسان الجديد هو خليقة جديدة من الله. هو خليقة جديدة فى المسيح، وهو نتاج للحق الذى فى كلمة الله، الذى ينتج البر والقداسة. علاج الله للفساد هو صلب الإنسان العتيق الذى نتج من الخداع، وخلق إنسان جديد فينا ناتج عن الحق.

لاحظ الفرق بين كذب الشيطان وحق الله. حق الله من خلال هذا الإنسان الجديد ينتج فينا البر والقداسة، وفى المقابل فالإنسان العتيق، الناتج من كذب الشيطان ينتج الفساد الأخلاقى؛ الجسدى والعاطفى.

أرانى الله قبل سنوات أن الفساد شيء لا يزول. تستطيع إبطاء مفعوله لكن لا يمكن أن تُلغيه بأية طريقة طالما هو موجود.

خذ مثلاً قطعة فاكهة جميلة ولنقل حبّة خوخ تبدو من الخارج بلا عيب، ولكن فى داخلها يعمل الفساد، فإذا تركتها على منضدة المطبخ لمدّة أسبوع فسيصبح لونها أصفر، ذابلة ومنظرها غير جذّاب. لماذا؟ لأن الفساد كان فى داخلها. والحل العصرى لهذه المشكلة

هو أن تضع حبّة الخوخ الناضج هذه فى الثلاجة. لا تلغى الثلاجة الفساد لكنها تبطىء مفعوله.

كثير من الكنائس اليوم تعمل كالثلاجات، فهى لا تغيّر الفساد، ولكنها تبطىء من مفعوله، وأمّا الطريقة الوحيدة لتغيّر الشخص هى بجعله خليقة جديدة.

لا يعدِّل الله الإنسان العتيق أو يصلحه أو يحسِّنه أو يثقّفه، لكنه يميته ليستبدله بخليقة جديدة ناتجة عن الحق الإلهى القائل «**إن كان أحدٌ فى المسيح فهو خليقة جديدة**» (٢كورنثوس ٥ : ١٧).

طبيعة الخليقة الجديدة :

فى نهاية تحليلنا لهذه المُبادلة حول استبدال الإنسان العتيق فينا بإنسان جديد، سنتحدث باختصار عن طبيعة هذه الخليقة الجديدة. يكتب الرسول بولس للمؤمنين المولودين ثانية فيقول:

«**مولودين ثانية لا من زرع يفنى بل مما لا يفنى بكلمة الله الحيِّة الباقية إلى الأبد**» (١بطرس ١ : ٢٣).

نوع البذار تحدد نوع الحياة التى تأتى منها، فأنت لا تحصل على تفاح إذا زرعت البرتقال، ونفس الشىء لا تحصل على برتقال إذا زرعت تفاح. وبنفس القانون فإن كنت مولوداً من زرع فاسد، فستكون حياتك فاسدة، لأنّها خاضعة لعملية الفساد، وإذا كنت مولوداً ثانية من زرع غير فاسد، فستنعم بحياة غير فاسدة، لأن من المستحيل أن الزرع غير الفاسد ينتج حياة فاسدة. إن أفضل وصف للطبيعة الجديدة هى عدم الفساد.

ما هى البذار التى تخلق الإنسان الجديد؟ وما الذى يجعل هذه الخليقة الجديدة غير فاسدة؟ إنها بذار كلمة الله، التى تنتج حياة غير فاسدة.

اقرأ ما هو مكتوب فى (يعقوب ١ : ١٨): «**شاء (الله) فولدنا بكلمة الحق**» . لاحظ أن الإنسان الجديد نا تج من الحق، فالحق الموجود فى كلمة الله يلد فينا طبيعة غير فاسدة.

ماذا يعنى هذا من ناحية ميلنا للخطيّة؟ تقول (١ يوحنّا ٣: ٩): «**كل من هو مولود من الله لا يفعل خطيّة، لأن زرعه يثبت فيه، ولا يستطيع أن يخطئ لأنه مولود من الله**».

ولد ديريك برنس (مؤلف هذا الكتاب) الولادة الجديدة من الله قبل ٥٩ سنة من تاريخ كتابة هذا الكتاب، فهل يعنى هذا أن ديريك برنس لم يخطئ أبداً منذ نال الخلاص؟ أستطيع أن أُؤكّد لك، أن هذا غير صحيح. لكن الآية تقول إن المولود من الله لا يستطيع أن يخطئ. من دراستى لهذه الآية خرجت بالنتيجة التالية، لا يتحدث يوحنّا هنا عنّا كأفراد، ولكن عن الإنسان الجديد الموجود فى كل واحد منا، **فلأن الإنسان الجديد مولود بعدم فساد، فهو لا يستطيع أن يخطئ.**

أحب الآية المذكورة فى (١ يوحنّا ٥: ٤): «**كل من ولد من الله يغلب العالم**». لا يتكلّم الرسول يوحنّا هنا عنا كأفراد، فهو لا يتحدث عن شخصيات محددة، بل يتحدث عن الإنسان الجديد الذى ولد فينا بكلمة الله. مرّة أخرى الزرع غير الفاسد ينتج طبيعة غير فاسدة. فهل هذا يعنى أننا حين نولد ثانية، لن نفعل الخطيّة؟ ليس هذا هو المقصود! فهذا يعتمد على أى من الطبيعتين نسمح بأن تسيطر علينا. الإنسان العتيق لا يستطيع أن يمتنع عن الخطيّة، والإنسان الجديد لا يستطيع أن يخطئ، وما تفعله أنت يعتمد على من يسيطر عليك.

الشخص الذى لم يولد ثانية لا يستطيع أن يمنع نفسه عن الخطيّة، لأن طبيعته تجعله يخطئ، لكن الشخص المولود ثانية لديه الخيار. إذا سمحنا للطبيعة الجديدة أن تسيطر علينا لا نخطئ، وأمّا إذا سمحنا للطبيعة العتيقة أن تسيطر فسنخطئ.

الاعتراف بهذه المبادلة:

فى أى عمل تعمله، لا تحاول جعل إنسانك العتيق يتصرف بتديّن، فهذا لن ينجح. بدلاً من ذلك استخدم الحل الإلهى:

«**إنسانى العتيق المتمرد الفاسد، صُلِب فى الرب يسوع حتى أتحرر من هذه الطبيعة الشريرة الفاسدة، وولد فىَّ الإنسان الجديد من خلال كلمة الله،**

وسيكون له السلطان على حياتى.

سنتحدث فى الفصول الأربعة القادمة عما يعمله الصليب فينا، فكوننا نخطئ أو لا نخطئ، ننتصر أو ننهزم، يعتمد على مقدار ما نسمح للصليب بأن يعمله فينا.

الجزء الثالث

جوانب التحرير الخمس

الفصل الثانى عشر

التحرير من الدهر الحاضر

تجولنا فى الفصول السابقة فى رحلة، لنكتشف فيها ما الذى تحقق لنّا من خلال صلب يسوع المسيح. نستطيع تلخيص ما اكتشفناه فى تسع نقاط تشمل جوانب المُبادلة الإلهية على الصليب:

١ . عُوقب الرب يسوع لكى يُغفر لى.

٢ . جُرح الرب يسوع لكى أُشفى.

٣ . جُعِل الرب يسوع خطيّة بخطيتى لكى أتبرر أنا ببره.

٤ . مات الرب يسوع موتى لكى أشاركه حياته.

٥ . حُسِب الرب يسوع لعنة لكى أنال البركة.

٦ . تحمّل الرب يسوع فقرى لكى أشاركه فى فيض غناه.

٧ . تحمّل الرب يسوع خزيى لكى أشاركه فى مجده.

٨ . تحمل الرب يسوع رفضى لكى أحظى بالقبول عند الآب مثله.

٩ . مات إنسانى العتيق فى الرب يسوع لكى يحيا الإنسان الجديد فىَّ.

والآن نستكمل استكشافنا فى منطقة جديدة: ما يقصد الله أن يعمله الصليب فينا، وهذا يختلف عمّا فعله الرب يسوع على الصليب لنا. لن ننعم أبداً بالفوائد الأبدية التى

أُنجزت على الصليب لنا ما لم نسمح للصليب أن يعمل فينا ما يريده الله. أغلب المشاكل التى تواجه الكنيسة، سواء كمجموعة أو كأفراد، هى بسبب فشلنا فى السماح للصليب بأن يعمل فينا.

لندرس مرّة أخرى مشكلة كنيسة غلاطية، وهى ظهور الشهوة بسبب تطبيق الناموسيّة. كان بولس غاضباً بسبب هذه المشكلة أكثر من غضبه على الخطايا الجسديّة التقليدية والظاهرة فى كنيسة كورنثوس، فقد كان التعامل معها وحلّها أسهل على بولس من التعامل مع هذا الشكل الزائف من المسيحيّة فى كنيسة غلاطية.

لم يقدّم بولس الرسول فى رسالته للغلاطيين بحثاً لاهوتياً، وإنما كتب رسالته ليعالج ظرفاً جادّاً وطارئاً لدى الغلاطيين. تحدثنا فى الفصل السابع عن الأمور التى كان بولس يحذّر منها.

«أيُّها الغلاطيُّون الأغبياء، من رقاكم حتى لا تذعنوا للحق؟ أنتم الذين أمام عيونكم قد رُسم الرب يسوع المسيح بينكم مصلوبا» (غلاطية ٣ : ١).

كان أهل غلاطية المؤمنون المملوؤون من الروح القدُس قد سحروا! فما الذى عمله السّحر بهم؟ لقد حجب رؤيتهم عن الرب يسوع المسيح المصلوب، مع أن الصليب هو الأساس الوحيد لننال بركات وهبات الله، وبدونه لن نتمكن أبداً من التمتع بها.

كان الشيطان أيضاً يعمى عيون الغلاطيّين المؤمنين عن حقيقة الهزيمة الكاملة التى لحقت به من خلال صلب يسوع. على الصليب أَلْحَق الرب يسوع بالشيطان ومملكته هزيمة أبدية كاملة لا تُلغى والشيطان لا يستطيع أن يفعل شىء تجاه هذه الحقيقة المجيدة سوى محاولته أن يعمى عيون الكنيسة عنها، وهو يتوق بشدة لعمل هذا.

وما يبهجنى حقيقةً أن بولس الرسول فى رسالته للغلاطيين لا يقدّم فقط المشكلة، لكنه أيضاً يقدّم الحل لهذه الكنيسة التى فقدت رؤيتها للصليب.

تكشف رسالة غلاطية ـ كما أفهمها ـ خمسة مجالات متتالية للتحرير تحدث إذا

سمحنا للصليب بأن يعمل فينا. مرّة أخرى أكرر، بأنى لا أتحدث هنا عمّا عمله الرب يسوع لأجلنا على الصليب. شكراً لله من أجل هذا العمل، لكن عمل الصليب لا يتوقف هنا، فهناك ما يريد الله أن يعمله فينا كمؤمنين من خلال الصليب، وذلك حتى يعالج مشاكلنا من جذورها. مجالات التحرير الخمس والتى أصبحت ممكنة من خلال الصليب هى:

١ . التحرير من هذا الدّهر الحاضر الشرير.

٢ . التحرير من الناموس.

٣ . التحرير من الذّات.

٤ . التحرير من الجسد.

٥ . التحرير من العالم.

فى هذا الفصل سنتحدث عن المجال الأول، بينما نتحدث عن باقى المجالات فى الفصول اللاحقة من هذا الجزء.

ما الذى نعرفه عن هذا الدهر الحاضر؟

قدّمت لى أخت عزيزة مرّة قميصاً أسودَ مكتوب عليه باللون الأبيض «كن مؤمناً جذريا!» (نفس الكلمة المستخدمة سابقا فى تغيير الأمور من جذورها) وأنا أشجعك أن تتبنى هذا الموقف.

يظهر هذا النوع من التحرير بصورة جذرية(نفس الكلمه) فى رسالة (غلاطية ١ : ٣ـ٤):

«نعمة لكم وسلام من الله الآب، ومن ربّنا الرب يسوع المسيح، الذى بذل نفسه لأجل خطايانا، ليُنقذنا من العالم (الدهر) الحاضر الشرير حسب إرادة الله وأبينا».

هل تدرك الآن أن قصد الله هو أن يحررنا من خلال الصليب من هذا الدهر الحاضر الشرير. تخلط ترجمات الكتاب المقدس أحياناً بين الكلمتين «**دهر**» و «**عالم**» فى أصلها اليونانى. من الكلمات التى تعنى دهر «كوزموس cosmos». وهى مصطلح اجتماعى فى

العهد الجديد يصف مجموعة من الناس ينتمون لفئة معينة، وسنتحدث فى الفصل الخامس عشر عن كيفية التحرر من هذا الـ «cosmos»، أى العالم الحاضر الذى نعيش فيه.

ولكن حين يتكلم بولس الرسول عن تحريرنا من هذا الدهر الشرير، فهو يستخدم كلمة يونانية أخرى تعنى «دهر» أو «جيل» وهى «أيون aeon» والتى تعنى فترة ممتدة من الزمن، غير محددة الطول. يقاس الوقت فى الكتاب المقدّس بالدهور والأجيال. كل دهر يتضمن عدداً من الأجيال. من التعبيرات الجميلة فى الكتاب المقدّس: «إلى أبد الآبدين». لكن الترجمة الأدق لهذه الكلمات هى «إلى دُهُور الدُهُور!» فالأبدية لا تتكون من دهر واحد، بل من دُهُور تتكون من دُهُور.

ولكى تدرك لماذا تحتاج أن تتحرر من هذا الدهر الحاضر أريد أن أشير عليك بهذه الحقائق:

نحن لا ننتمى إلى هذا الدهر:

نحن لا ننتمى إلى هذا الدهر فنحن شعب من دهر آخر. يكثر الحديث فى هذه الأيّام عن حركة «الجيل (الدهر) الجديد» (New Age). لكن الحقيقة هى أن المؤمنين بالمسيح هم أبناء الجيل الجديد. نحن نعيش فى هذا الدهر، ولكننا ننتمى إلى دهر سيظهر فى المستقبل، فإن كنّا أنا وأنت نحيا وكأننا ننتمى إلى الأبد لهذا الدهر، نكون بذلك قد ضللنا عن قصد الله.

هذا الدهر سينقضى:

الدهر الحاضر ليس دائماً، وسينتهى. يوضّح الكتاب المقدّس ذلك فى كثير من المواضع:

فى (متّى ١٣ : ٣٩) على سبيل المثال، يتحدث الرب يسوع عن الزوان المزروع بين الحنطة، فيقول: «**العدو الذى زرعه هو إبليس، والحصاد هو انقضاء العالم** (الدهر- aeon)، **والحصّادون هم الملائكة**». وفى (الآية ٤٠) من نفس الأصحاح يقول الرب يسوع: «**هكذا يكون فى انقضاء هذا العالم** (الدهر- aeon)» ومرّة أخرى فى (الآية ٤٩) يقول: «**هكذا يكون فى انقضاء العالم** (الدهر- aeon)».

فقرات كثيرة فى الكتاب المقدّس تخبرنا أن هذا الدهر سينقضى. لو علمتَ ما هو هذا الدهر بالحقيقة، فستقول: «شكراً يا رب لأنّه سينقضى» . فأنا لا أستطيع التفكير بشىء أسوأ من أن يستمر هذا الدهر بكل بؤسه وأمراضه وظلامه وجهله وقسوته وحروبه! شكراً لله فهو لن يستمر إلى الأبد!

لهذا الدهر إله شرير:

يتحدث بولس الرسول فى (٢كورنثوس ٤ : ٣ـ٤) عن الناس الذين لا يستطيعون رؤية بشارة الإنجيل فيقول: «**إن كان إنجيلنا مكتوماً، فإنما هو مكتوم فى الهالكين الذين فيهم إله هذا الدهر قد أعمى أذهان غير المؤمنين لئلا تضىء لهم إنارة إنجيل مجد المسيح**» . من هو إله هذا الدهر؟ إنه الشيطان. لماذا يُعتبر هذا الدهر شريراً؟ ببساطة لأن له إلهاً شريراً.

يستطيع الله أن يعزل الشيطان، ونحن نعلم ذلك، ولكن ليست هذه خطته. سيبقى الشيطان إلهاً لهذا الدهر ما دام هذا الدهر مستمراً، فخطّة الله هى أن ينهى الدهر، وحين ينتهى الدهر فلن يكون الشيطان فيما بعد إلهاً. ولأن إبليس يعلم هذا جيداً، فهو يحاول بكل قوّته أن يحول دون انتهاء هذا الدهر!

هل تعلم أن من أسباب مقاومة إبليس للكنيسة، أن الله يستخدم الكنيسة لينهى بواسطتها هذا الدهر؟و هذه واحدة من مسؤولياتنا الأساسية. لن ينتهى هذا الدهر حتى ننجز نحن ما يجب علينا إنجازه. ماذا ينبغى علينا أن نفعل؟ ها هى الأوامر الخاصة بالتقدم للأمام التى يعطيها المسيح لكنيسته: ينبغى أن «**يُكْرز ببشارة الملكوت هذه فى كل المسكونة، شهادة لجميع الأمم، ثم يأتى المنتهى**» (متّى ٢٤ : ١٤).

السياسيون والقادة العسكريون والعلماء الأكاديميين لا يهددون الشيطان، إنّما يهدده من يكرزون ببشارة الملكوت، والشيطان يُقاوم الكرازة ببشارة الملكوت، لأنه بإتمام هذه المهمة، سينتهى هذا الدهر، ولن يكون الشيطان إلهاً فيما بعد. المؤمنون المسيحيّون الحقيقيون وفقاً لكلمة الله، هم الذين يهددون الشيطان.

التمسك بهذا الدهر يجعلنا غير مثمرين :

يتكلم كاتب العبرانيين عن أناس كانت لهم حياة واختبارات روحيِّة، لكنهم اختاروا التراجع وأنكروا هذه الاختبارات، وأنكروا الرب يسوع المسيح. يذكر الكاتب خمسة اختبارات عاشها هؤلاء الناس:

«لأن الذين استُنيروا مرّة(١) ، وذاقوا الموهبة السماوية(٢) وصاروا شركاء الروح القدس(٣) ، وذاقوا كلمة الله الصالحة(٤) وقوّات الدهر الآتى(٥) ، وسقطوا، لا يمكن تجديدهم أيضاً للتوبة، إذ هم يصلبون لأنفسهم ابن الله ثانية ويشهِّرونه» (عبرانيين ٦ : ٤-٦).

كثير من الناس اليوم، وأنا واحد منهم، يتمتعون بهذه الاختبارات. وحيث أننا استنرنا وذقُنا الموهبة السماويّة وذقنا كلمة الله وصرنا شركاء الروح القدس، فقد ذقنا قوّات الدهر الآتى. أحد الأسباب التى يعطى الله لأجلها هذه الاختبارات، هو أن يجعل مذاق قوات هذا الدهر الحاضر غير مُستساغ، ويريد لنا أن نتذوق شيئاً مُختلفاً ومرتفعا تماما حتى لا نعود نفتتن بقوّات الدهر الحاضر. وبكل أسف لا نرى هذا يحدث فى حياة كثير من المؤمنين.

يفسر الرب يسوع فى (متّى ١٣) مثل الزارع، فيذكر أنواع التربة المُختلفة والزرع الذى نتج فى كل منها، وخاصة المزروع بين الشوك:

«والمزروع بين الشّوك هو الذى يسمع الكلمة، وهمُّ هذا العالم (الدهر ـ aeon) وغُرور الغنى يخنقان الكلمة فيصير بلا ثمر» (الآية ٢٢).

ولأن كلمة «العالم» هنا فى الأصل هى «aeon» وليس «cosmos» فمن الأفضل ترجمة «همُّ هذا العالم»... إلى «مخاوف هذا الدهر». يظن كثيرون أن الغنى سيجلب لهم السعادة، لكن غرور الغنى (أى خداعه) يصيبهم، ولا يرون السعادة أبداً. بعض من أتعس الناس هم أغنى الناس فى هذا العالم، ومن خداع الغنى أيضاً أن تتخيل أن الغنى سيدوم إلى الأبد، ولكن فى النهاية حين تغادر هذه الحياة، فستترك كل هذا الغنى خلفك.

إن كانت أمور الدهر الحاضر هو شغلك الشاغل، فستكون مؤمناً غير مثمر، ولن تعمل كلمة الله فيك. ربما تقول: «لماذا لا توجد نتائج؟ لماذا لا أحظى باستجابات للصلاة؟ لماذا أواجه الفشل فى قيادة النفوس إلى الله؟» لربما أنت مشغول بهموم هذا الدهر، كالنجاح المالى، أو السلطة، أو التميز العلمى، أو الحياة المُترفة. الانشغال بمثل هذه الأمور سيجعلك غير مثمر.

هل تعيش كما لو أن هذا الدهر سيستمر إلى الأبد؟ هو لن يستمر، فهناك نهاية لكل البؤس والعار والإجرام والجوع حين يأتى الرب يسوع، ولن ينهى هذه المشاكل إلا مجيئة. مرّت على الكنيسة ألفى سنة وهى تحاول حل كل هذه المشاكل، لكنها لم تحقق إلا القليل. وفى الحقيقة هناك فى وقتنا الحاضر المزيد من البؤس والحرب والمرض والفقر والجهل فى هذا العالم أكثر من أى وقت مضى. لكن شكراً لله، فالرّب الرب يسوع آتٍ عن قريب.

المشاكلة أم التغيّر؟

كعالم بالمنطق وفيلسوف سابق، أؤمن أن رسالة رومية هى أروع قطعة أدبية منطقية كُتبت بقلم إنسان. لا يجب أن تشعر أبداً بأنك تفعل شيئاً غير عقلانى بإيمانك بالكتاب المقدس! فلا يوجد أى كتاب أو عمل آخر يستطيع أن ينافس الكتاب المقدس فى دقته ووضوحه.

يتفق أكثر المفسِّرين على أن (رومية ١٠ : ١١) «**لأنَّ الكتابَ يقولُ كلُّ مَن يؤمنُ بهِ لا يُخزى**» هى قلب عقيدة الإنجيل. يتحدث بولس الرسول فى قسم كبير من رسالة رومية عن أمور لاهوتية تختص بموت الرب يسوع الكفَّارى، وينهى حديثة فى بقية الرسالة عن النتيجة العملية لهذه العقيدة فى الحياة. لا يوجد أى جزء فى العهد الجديد يفصل العقيدة عن الحياة، ولهذا يصل بولس الرسول إلى نقطة التطبيق العملى للاهوت فى (روميّة ١٢ : ١): «**فاطلب إليكم أيها الأخوة برأفة الله**» فما الذى يطلبه بولس الرسول بعد كل هذا التعليم الرائع؟ هل يطلب منا أن نصبح روحييّن أكثر فندرس المزيد ونلتحق بحلقات دراسية؟ لا، أنه يقول:

« ... أن تقدّموا أجسادكم ذبيحةً حيةً مقدّسةً مرضيةً عند الله عبادتكم العقلية. ولا تُشاكلوا هذا الدهر، بل تغيّروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم،

لتختبروا ما هى إرادة الله الصالحة المرضية الكاملة» (رومية ١٢: ١ـ٢).

يا لواقعيّة وعملية الكتاب المقدّس! فحين نكون روحيّين، يقول لنا الله: «**أنا أريد أجسادكم على المذبح دون تحفّظ، وحين تقدمون أجسادكم فسأُجدّد أذهانكم**».

الله لا يُغيِّرك من الخارج إلى الداخل، لكنه يُغيّرك من الداخل إلى الخارج. الأديان تُنظِّفك من الخارج، وتلبسك ثياباً جديدة، وتقول لك لا تأكل هذا ولا تشرب ذاك، لكن الله يُغيِّرك من الداخل، فحين تفكر بطريقة مختلفة، فستحيا حياة مختلفة. الله ليس مُهتماً بالتغيُّر الخارجى الذى يخفق فى الوصول إلى طبيعتنا الداخلية، بل إن أردت ذهناً مُجدّداً فعليك أن تقدّم جسدك. هذه هى القاعدة ليجدد لك الله ذهنك.

يؤكد بولس هنا، أن لا نسلُك كسائر الأمم من أهل هذا الدّهر الحاضر، ولا نفكر أو نعمل بطرقهم، بل تكون أولوياتنا مختلفة وننظر إلى الأمور الأبدية وليس إلى الأمور الوقتية.

لا يعنى هذا أن تصبح شخصاً غير عملى. إن الذين يركزون على ما هو أبدى، هم الأكثر عمليّة على الأرض، وهم الذين يحرزون النتائج.

فى نهاية خدمة بولس الرسول، نرى هذا الشيخ يجلس فى سجن بارد ومهجور حتى من بعض أصدقائه، فى انتظار صدور حكم الإعدام الظالم. هل حقق بولس النجاح بحسب مقاييس العالم؟ لا، ولا حتى بحسب مقاييس الكنيسة! أنا متأكد من أن بولس الرسول قد ذرف دموعاً كثيرة وهو يخبر تيموثاوس بأن ديماس مساعده الذى وثق به، وأمضى معه عدّة سنوات قد تركه «**إذ أحب العالم** (الدّهر ـ aeon) **الحاضر**» (٢تيموثاوس ٤: ١٠). لقد وثق بولس فى ديماس، لكن ديماس تركه. لماذا؟ لأنه أحب هذا الدهر الحاضر.

لا تستطيع أن تحب هذا الدهر الحاضر وتكون أميناً للرب يسوع المسيح. شكراً لله فهو يقدّم لنا من خلال الصليب طريق التحرير من هذا الدهر الحاضر.

الفصل الثالث عشر

التحرر من الناموس والذات

ناقشنا فى الفصل السابق التحرر من هذا الدّهر الحاضر الشرير، وسنتحدث فى هذا الفصل عن اثنين من جوانب التحرير الأربعة الأخرى التى يذكرها بولس الرسول، ونقرأ عن هذين الجانبين فى (غلاطية ٢ : ١٩ـ٢٠) :

«لأنّى متُّ بالناموس للناموس لأحيا للّه. مع المسيح صلبت فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فىَّ. فما أحياه الآن فى الجسد فإنّما أحياه فى الإيمان إيمان ابن الله الذى أحبنى واسلم نَفْسَهُ لأجلى».

الجانب الأول من جوانب التحرير فى هذا المقطع هو التحرير من الناموس، والجانب الثانى التحرر من الذّات، وهذان الجانبان مُرتبطان معاً ارتباطاً وثيقاً.

التحرر من الناموس

لا يدرك كثير من المؤمنين احتياجنا للتحرر من الناموس. فى الحقيقة فإن علاقة المسيحى بالناموس هى من أهم الموضوعات التى تهملها نظريات العهد الجديد اللاهوتية، وكثير من

المؤمنين ممن يقولون إنهم يحيون تحت النعمة، ليسوا بالحقيقة كذلك، وإنما هم فى منتصف المسافة بين النعمة والنّاموس، ولا يتمتعون بمزايا أى من الطرفين.

من الخطير قول هذا، لكن ما لاحظته أن كثير من الكنائس التى تضع ضمن اسم الكنيسة كلمة «النعمة» عادة تضم أناس لا يعرفون إلا القليل عن النعمة، فرغم أنّنا لسنا تحت ناموس موسى، فنحن وفى حالات كثيرة نضع لأنفسنا نواميس دينية سخيفة. يقول بولس الرسول إن ناموس موسى كان مقدّساً، وصالحاً ومُعطىً من الله (انظر رومية ٧: ١٢) فإذا كان ناموس الله نفسه لا يستطيع أن يجعلنا كاملين، فلن يقدر أى ناموس آخر على فعل هذا، ومن السذاجة أن نتوقع من نواميس أو شرائع أخرى أن تفعل هذا.

حين نقول «تحت الناموس» أو «خاضع للناموس» فنحن نعنى بذلك محاولة تحقيق البر أمام الله من خلال حفظ وتطبيق مجموعة من القوانين، ونحن لا نعنى بعدم الخضوع للناموس أن لا نخضع لأى قانون، ولكن ما نعنيه أن برّنا أمام الله لا يمكن تحقيقه بحفظ مجموعة قوانين.

لنفحص النوع الأوّل من التحرير، ولنعد لقول بولس: «**لأنّى متُّ بالناموس للناموس**» ... (غلاطية ٢: ١٩).

الشىء النهائى الذى يستطيع الناموس أن يفعله هو الحكم عليك بالموت، وبعد الموت لا يعود للناموس أى حكم أو سلطان عليك. الحقيقة الجيدة هنا أننا قد متنا مع المسيح وإنساننا العتيق قد صُلب معه، ولذلك فنحن لا نخضع للناموس بعد، لقد انتقلنا من المنطقة التى يُديرها الناموس، ونحن الآن فى منطقة جديدة.

ولهذا يقول بولس الرسول «**لأنى متُّ بالناموس للناموس لأحيا لله**». وحتى أحيا لله يجب أن أتحرر من الناموس ولن أتمكن من أن أحيا لله حتى أموت عن الناموس. هذا التصريح المُذهل هو بالضبط ما يقوله العهد الجديد، اقرأ (روميّة ٦: ٦) مرّة أخرى:

«إنساننا العتيق قد صُلب معه. ليبطل جسد الخطيّة كى لا نعود نستعبد أيضاً للخطيّة لأن الذى مات قد تبرأ من الخطية»

فلا مفرَّ من عبوديّة الخطيّة ـ كما سبق وذكرنا ـ إلا بالإفلات من تلك الطبيعة الآدميّة القديمة الشهوانية. نستطيع ترجمه الآيّة السابقة ـ كما قلنا فى الفصل الحادى عشر بصورة أكثر دقة كما يلى: «**قد تبرّأ (أو تحرّر) من الخطيّة**». وبكلمات أخرى، فحين أدفع العقاب بالموت، لا يعود للناموس أى مطلب علىَّ. فهناك من بررنى ودفع ديونى وحررنى من نطاق حكم الناموس.

لننظر إلى (غلاطية ٣: ١٠ـ١٢) المكتوبة لأُناس قد اختبروا النعمة، وخلُصوا، وتعمّدوا فى الرّوح القدُس، وشهدوا المعجزات، ولكنهم رغم هذا قرَّروا أن عليهم أنْ يبدأوا فى حفظ وتطبيق الناموس حتى يكونوا كاملين ويدعو بولس هؤلاء الناس فى بداية الأصحاح الثالث من رسالة غلاطية «**الأغبياء**» ثم يقول فى (الآية ١٠):

«لأن جميع الذين هم من أعمال الناموس، هم تحت لعنة لأنه مكتوب: ملعون كل من لا يثبت فى جميع ما هو مكتوب فى كتاب الناموس ليعمل به».

عندما تلزم نفسك بحفظ الناموس كطريقة لتحقيق البر، فعليك أن تحفظ كل الناموس فى كل وقت، وإذا كسرت أى وصية من وصاياه فى أى وقت، فأنك تقع تحت لعنة، هذا ما يقوله الناموس نفسه فى (تثنية ٢٧: ٢٦):

«ملعون من لا يقيم كلمات هذا الناموس ليعمل بها».

ويكمل بولس الرسول فيقول:

«ولكن أن ليس أحد يتبرّر بالناموس عند الله فظاهر، لأن البار بالإيمان يحيا. ولكن الناموس ليس من الإيمان بل الإنسان الذى يفعلها سيحيا بها».
(آية ١١، ١٢) فالبديل البسيط كما هو مُعلن أيضاً فى (حبقوق ٢: ٤) بسيط وواضح:

«البار بإيمانه يحيا».

لدينا خياران: نستطيع أن نحيا تحت الناموس، فإذا كسرناه نأتى تحت لعنة، أو نستطيع أن نحيا بالإيمان ولا نحيا تحت الناموس ومُتطلباته، وهذان الخياران هما بديلان قطعيان فلا يمكنك أن تنتقى الأشياء الحسنة من كليهما معاً، فإذا فعلت فلن تجنى إلا الأسوأ فى كليهما.

هل تحيا بالناموس أم بالإيمان :

هل أعتمد على حفظى للناموس حتى أكون باراً أمام الله، أو هل أنا ببساطة أعتمد على إيمانى بحقيقة موت وقيامة الرب يسوع المسيح بدلاً عنى؟

نرجع مرّة أخرى إلى رسالة روميّة، ففيها نجد التعليم النظرى لهذا الموضوع، بينما تقدّم رسالة غلاطية التطبيق العملى **«فإن الخطيّة لن تسودكم لأنّكم لستم تحت الناموس بل تحت النعمة»** (روميّة ٦ : ١٤).

هذه بُشرى سارّة بالتأكيد، لكن المعنى المقابل المُتضمَّن فى هذا النص مروّع! فإن كنت تحت الناموس، فستكون للخطيّة سيادة عليك، فالسبب فى عدم سيادة الخطيّة عليك، هو أنك تحت النعمة ولست تحت الناموس. مرّة أخرى، هذان بديلان قطعيّان، فيمكنك أن تكون إمّا تحت الناموس أو تحت النعمة، ولكن لا يمكن أن تكون تحت كليهما فى نفس الوقت.

ونرى هذان البديلان القطعيّان فى (روميّة ٧ : ٦):

«وأمّا الآن فقد تحررنا من الناموس إذ مات الذى كنا ممسكين فيه حتى نعبد بجدة الروح لا بعتق الحرف».

لاحظ فى هذه الآية أن بولس الرسول لم يقل إننا تحررنا من الخطيّة أو من الشيطان، ولكن من الناموس. أين مُتنا؟ على الصليب. عندما مات الرب يسوع، فقد مات مكاننا، وإن لم نكن قد تحررنا من الناموس بالموت، فلا نستطيع أن نعبد بجدّة الروح.

ولتوضيح هذه النقطة، تصوّر أنّك تخطط للذهاب فى رحلة إلى منطقة تجهل الطريق المؤدى إليها، ولديك خياران: يمكن أن تأخذ خريطة أو تستعين بمرشد شخصى. الخريطة كاملة، ودقيقة تماماً، ولكن المرشد يعرف الطريق جيّداً ولا يحتاج إلى الخريطة. فالخريطة هنا تمثل الناموس، ولم يستطع أحد الوصول إلى منطقة البر باستخدام خريطة الناموس حتى الآن مع أن الملايين حاولوا، والإحصائيات ضدك! ولكن من الجانب الآخر، الرّوح القدُس يقدّم نفسه كمرشد شخصى ليقودك إلى مقصدك.

فماذا تختار؟ هل تختار الخريطة، لتتعثر وتسقط وينتهى بك المطاف فى جرف ملىء بجثث الملايين ممن حاولوا قبلك؟ أم ستطلب الرّوح القدُس ليقودك؟

يعرف الرّوح القدُس الطريق مُسبقاً، وهو لا يحتاج للخريطة، فهو نفسه الذى رسم هذه الخريطة!

قيادة الرّوح القدُس:

إن كنت تريد أن تنقاد بالروح القدس، فيجب أن تكون حسَّاساً له، وأن تبنى علاقة معه. فلنتأمل فى العددين التاليين، العدد الأوّل:

«**لأن كل الذين ينقادون بروح الله، فأولئك هم أبناء الله**» (روميّة ٨: ١٤).

يأتى الفعل «ينقادون» فى زمن المضارع المستمر، ولهذا يمكن ترجمة الآية بشكل أفضل هكذا «**لأن كل الذين ينقادون باستمرار بروح الله، فأولئك هم أبناء الله**».

لا تعنى كلمة «أبناء» فى هذه الآية «أطفال» بل هى ترجمة لكلمة يونانية معناها «أبناء ناضجون» فحين تولد ثانية بالروح القدس، تكون طفلاً روحياً، ولا توجد سوى طريقة واحدة لتنمو من الطفولة إلى النضوج، وهى أن تنقاد بالروح القدس، فماذا يجب أن تفعل حتى تصبح ابناً ناضجاً لله؟ يجب أن تنقاد بالروح القدس. ومن عبارة «كل الذين» فى أول الآية، نعلم أنه لا توجد طرق أخرى للنضوج.

الآية الثانية فى (غلاطية ٥ : ١٨) :

«ولكن إذا انقدتم (باستمرار) **بالروح القدس، فلستم تحت الناموس» .**

هل أدركت مغزى الآية؟ لقد رأينا للتو أن الطريقة الوحيدة لنصبح ناضجين روحيّاً، هى أن ننقاد بالرّوح القدُس، وبهذا فحين تنقاد باستمرار بالروح القدس، فإنك تصبح ناضجاً روحياً، فلا تكون بعدُ تحت الناموس.

لا تستطيع أن تخلط بين الناموس والروح. عليك أن تأخذ قراراً حاسماً ولربما مخيفاً. ينبغى أن تقول لن اعتمد فيما بعد على مجموعة من القوانين لأصبح بارّاً ولكن ببساطة، سأثق فى الروح القدس ليقودنى.

ولكن يأتى السؤال المُقلق: إذا توقفت عن حفظ القوانيّن، فما الذى سيحدث؟ هل سأعمل الأشياء الخاطئة؟ أريد أن أؤكد مرّة أخرى أن الروح القدس لن يقودك لعمل أى شىء خاطئ. هل تستطيع أن تثق به؟ إن فى هذا أمانك الوحيد.

اسمح للرب يسوع أن يتولى أمر العناية بك :

قبل أن ننتقل للحديث عن النوع الثانى من التحرير، أريد أن أكرر أنه لا توجد إلا طريقتان لتحقيق البرّ: بالأعمال أو بالنعمة، الناموس أوالإيمان، حفظ القوانين، أو الانقياد بالروح القدس.

هل تعلم أن لدى اليهود المتشددين (٦١٣) وصيّة؟ وأغلب اليهود المتشددين يعترفون ـ وذلك بشكل سرى وليس على الملأ ـ بأنهم لا يحفظون سوى (٣٢) وصيّة منها. لكن طريقة الله للبر ليست بالمعاناة والنضال، لكنها بالخضوع. الخضوع لمن؟ الخضوع للرب يسوع المسيح الساكن فى من خلال الروح القدس، فالرب يسوع هو برّى وحكمتى وقداستى وفدائى.

أتذكر قصّة امرأة أُقدّرها جدّاً من أجل حياة القداسة التى تحياها. سألها أحدهم ذات يوم «أيتها الأخت، ماذا تفعلين حين تواجهين تجربة؟»

فأجابت: «حين يقرع الشيطان على الباب، أترك الأمر للرب يسوع ليجيبه».

فالنجاح لا يُحرز ـ كما ترى ـ حين تواجه الشيطان بقوّتك الذاتية، ولكن حين تسمح للرب يسوع أن يتحرك ويتولى أمر الموقف. وليس بالنضال ولكن بالخضوع، وليس بالجهد ولكن حين تتحد بالرب يسوع. قال الرب يسوع: «**أنا الكرمة وأنتم الأغصان**» (يوحنّا ١٥ : ٥)، فهل تنتج الكرمة العنب بحفظ القوانين؟ فحتى لو طبّقت جميع القوانين حتى تثمر بدون الاتحاد بالكرمة، فلا داعى حتى للنظر إلى ثمرك. ينتج غصن الكرمة العنب لأن حياة الكرمة تتدفق إلى الغصن.

يمثّل جذع الكرمة فى هذه الصورة المبسّطة الرب يسوع، والغذاء الذى يتدفق من الكرمة للأغصان هو الروح القدس.

إذا سمحنا لأنفسنا بأن نُقطع عن الرب يسوع، نكون فى مشكلة حقيقية، ولكن ما دمنا ثابتين فيه، فنحن بخير.

الموت عن الذات

تتحدث (غلاطية ٢ : ٢٠) عن النوع الثانى من التحرير «**مع المسيح صلبت فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فىّ**». يمكننا التعبير عن هذا النوع من التحرير بأربع كلمات قصيرة «**لا أنا بل المسيح**» يجب أن نتحرر من ذواتنا.

لن تتوقف النّفْسُ عن الطلب: «انظر إلىَّ، ساعدنى، صلّى من أجلى، إشفنى، أحتاج للمساعدة الآن». حين يعانى الأشخاص المتمركزون حول ذواتهم من مشاكل يصبحون عبيداً لهذه المشاكل، وكلما ركزوا على نفوسهم وعلى مشاكلهم، كلما أصبحوا أكثر تمركزاً حول الذّات وصاروا عبيداً لذواتهم. والبديل هو المسيح. «**لا أنا بل المسيح**» هذا قرار عليك أن تتخذه: «أنا أتنازل، وأسمح للرب يسوع بأن يأخذ مكانى ويتولى الأمر». يحاول كثير من الناس إتّباع الرب يسوع دون أن يتخذوا هذه الخطوة الأساسيّة.

هذه الخطوة مُعلنة بوضوح فى (متّى ١٦ : ٢٤): قال الرب يسوع لتلاميذه:

«**إن أراد أحد أن يأتى ورائى فلينكر نَفْسَهُ ويحمل صليبه ويتبعنى**» .

لا تستطيع أن تتبع الرب يسوع المسيح دون أن تعمل هذين الأمرين: تنكر نفسك، وتحمل صليبك.

ماذا يعنى أن تنكر نفسك؟ كلمة «تنكر» تعنى أن تقول «لا» ، وأن تنكر نفسك يعنى أن تقول «لا» لنفسك. النفس تقول: «أنا أُريد» فترد أنت عليها: «لا» ، النفس تقول: «أنا أشعر» فترد عليها: «ليس شعورك هو المهم، ولكن المهم هو ما يقوله الله» . يجب أن تتغلب على هذه النفس التى فيك.

الأمر الثانى أن تحمل صليبك. سمعت تعريفين للصليب، الأول يقول: الصليب هو المكان الذى تلتقى فيه إرادتك مع إرادة الله، والثانى: الصليب هو المكان الذى تموت فيه. لن يضع الله الصليب عليك، أنت من يجب أن تأخذ الصليب وتحمله تبعاً لارادتك الحرّة.

قال الرب يسوع وهو فى طريقه إلى الصلب: «**ليس أحد يأخذها (حياتى) منى، بل أضعها أنا من ذاتى**» (يوحنّا ١٠: ١٨).

وهذا أيضاً ينطبق علينا حين نتبع الرب يسوع، فلا يستطيع أحد أن يأخذ حياتك منك. لا الواعظ يستطيع ذلك ولا الكنيسة، أنت فقط تقرر أن تحمل صليبك وتموت عليه. حين مات المسيح، مُت أنت معه. «**مع المسيح صلبت**» هذا هو مصير الأنا لديك، وعندها فقط تستطيع أن تتبع المسيح.

يسوع الوديع المتواضع:

تصوّر لنا أحد الفقرات الرّائعة من رسالة فيلبى ما تضمنته واقعياً هذه المُبادلة الإلهيّة:

«**فليكن فيكم هذا الفكر الذى فى المسيح الرب يسوع أيضا، الذى إذ كان فى صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً للّه لكنه أخلى نَفْسَهُ آخذاً صورة عبدٍ صائراً فى شبه الناس. وإذ وجد فى الهيئة كانسان وضع نَفْسَهُ**

وأطاع حتى الموت موت الصليب» (فيلبى ٢ : ٥ـ٨).

وصف بولس الرسول فى الآيات السابقة وداعة النفس عند الرب يسوع من خلال سبع خطوات عملها يسوع انتهت بموته على الصليب:

الخطوة ١ : «أخلى نَفْسَهُ» والمعنى فى اليونانى هو «إفراغ نفسه». كتب تشارلز وسلى عن الرب يسوع: «أخلى نَفْسَهُ من كل شىء سوى المحبّة».

الخطوة ٢ : «آخذاً صورة عبد» . كان بإمكانه أن يأخذ صورة ملاك فيكون بهذا عبداً، لكنه انحدر إلى ما هو أدنى من ذلك بكثير.

الخطوة ٣ : «صائراً فى شبه الناس» . لقد أخذ الرب يسوع طبيعة البشر.

الخطوة ٤ : «وجد فى الهيئة كإنسان» ، ما أفهمه من هذه العبارة أن الرب يسوع حين كان يتجول فى شوارع النّاصرة، لم يكن هناك أى شىء يميز هيئته عن الرجال والنساء من حوله.

الخطوة ٥ : «وضع نَفْسَه» . لم يصر الرب يسوع إنساناً فحسب، لكنه صار إنساناً مُتّضعاً، فلم يكن لا كاهناً ولا حاكماً بل كان نجّاراً.

الخطوة ٦ : «أطاع حتى الموت» . لقد عاش الرب يسوع كإنسان، ومات أيضاً كإنسان.

الخطوة ٧ : «موت الصليب» . لقد مات الرب يسوع بطريقة قاسية.

الله يرفع الرب يسوع :

ويتابع بولس الرسول فى تلك الفقرة، ليصف لنا كيف رفَّع الله الرب يسوع سبعة أضعاف فيقول:

«لذلك رفَّعهُ الله أيضاً، وأعطاهُ اسماً فوق كل اسم لكى تجثو باسم الرب يسوع كل ركبةٍ ممَّن فى السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض،

ويعترف كل لسان أن الرب يسوع المسيح هو ربٌّ لمجد الله الآب» (فيلبى ٢ : ٩ـ١١).

لاحظ كلمة «لذلك» فى بداية المقطع السّابق. لماذا رفَّع الله الرب يسوع؟ لأنه وضع نَفْسَه، فقد قال الرب يسوع: «**من يرفع نَفْسَه يتضع، ومن يضع نَفْسَه يرتفع**» (متّى ٢٣ : ١٢).

هذا هو الطريق المضمون من أجل الارتفاع، والله نفسه يتحمّل مسؤوليّة النتائج، فكلما اتضعت أكثر، ترتفع أكثر فى النهاية، فمهمتك هى النزول لأسفل ومهمّة الله هى أن يرفعك للأعلى.

وفيما يلى مراحل الارتفاع السبعة التى رفع بها الله الرب يسوع:

المرحلة ١ : «رفّعه الله».

المرحلة ٢ : «أعطاه (الله) اسماً فوق كل اسم».

المرحلة ٣ : حتى «تجثو باسم الرب يسوع كل ركبه».

المرحلة ٤ : «كل شىء فى السماء سيجثو».

المرحلة ٥ : «كل شىء على الأرض سيجثو».

المرحلة ٦ : «كل شىء تحت الأرض سيجثو».

المرحلة ٧ : «يعترف كل لسان أن الرب يسوع المسيح هو ربٌّ لمجد الله الآب».

لاحظ التوازن التّام فى بناء هذه الفقرة. هل خطط بولس الرسول وهو جالس فى زنزانته لإنشاء هذه الفقرة المحكمة المتقنة؟ لا بل الروح القدس أوحى إليه بها

الطريق للأعلى هى النزول:

رغم أن المسيح «**لم يَحسِب خُلسةً أن يكون معادلاً لله**»... (فيلبى ٢ : ٦)•، إلا

أنه وُجد شخص آخر حسب المعادلة لله شيء يجب إدراكه. ارتفع لوسيفر* للأعلى، لكنه انزلق وسقط، أمّا الرب يسوع فقد وضع نَفْسَه لأسفل فرُفِع لأعلى.

- «... لم يحسب مساواته لله خُلسةً أو غنيمةً يُتَمسّك بها»... (ترجمة كتاب الحياة).
- «... لم يعتبر أن مساواته لله غنيمةٌ يَتمسّك بها»... (ترجمة الكتاب الشريف).
- «... لم يعتبر مساواته لله امتيازاً يغتنمه لنفسه»... (الترجمة العربية المبسطة).
- «... ما اعتبر مساواته لله غنيمةً له»... (الترجمة العربية المشتركة).

* لوسيفر، من أسماء الشيطان.

قال مرّة المبشر الأمريكى مودى: «كنت أعتقد عندما كنت واعظاً مبتدءاً، أن الله يحتفظ بمكافأته على رفوف، وأن أفضل المكافآت تكون على الرفوف العالية، وعلىَّ أن أرتفع لأصل إليها، لكننى اكتشفت لاحقاً، أن أفضل المكافآت هى التى فى الرّفوف السفلى وأنه علىَّ الإنحناء لأصل إليها».

الدّرس الذى نتعلمه هو الآتى: الطريق للأعلى هو النزول، الطريق للحياة هو الموت، فإن أردت أن ترتفع، فانزل إلى أسفل وأنت تقول: «**لا أنا بل المسيح**».

هذا قرار وقد جعله الله ممكناً لك، ولكن أنت شخصيّاً من يجب عليه إتخاذ القرار.

كى نرى التطبيق العملى لهذا المفهوم، لنفتح كتبنا المقدّسة على (فيلبى ٢ : ٣ـ٤) وهى الأيات التى تسبق الفقرة العظيمة السابقة مباشرة، حيث يحث بولس الرسول المؤمنين فيقول: افتكروا لا: «**بتحزُّب أو بعُجب** (افتخار الباطل) **بل بتواضع، حاسبين بعضكم البعض أفضل من أنفسهم. لا تنظروا كل واحد إلى ما هو لنفسه بل كل واحد إلى ما هو للآخرين أيضاً**».

كما قلت فى الفصل السابق، إن أغلب المشاكل التى تواجه الكنيسة، سواء كأفراد أو كجماعة، ناتجة عن إخفاقنا فى السماح للصليب أن يعمل فينا. أنا أؤمن أن أغلب مشاكل

الكنيسة وبالأخص فى الخدمة ــ كالتحزب والافتخار الباطل ــ ناتجة عن سبب واحد. صحيح أن التمرد هو جذر للعديد من المشاكل الشخصيّة ولكن هناك «جذر الجذر» وهو الكبرياء، فالكبرياء هو الذى يطلق بقية المشاكل.

إذا تتبعت تاريخ الخطيّة فى الكون، فستجد أنها قد بدأت ليس على الأرض وإنما فى السماء. كانت أوّل خطيّة هى كبرياء لوسيفر، وهى التى قادته للتمرد، وكل من يتكبر، فسينتهى به الأمر إلى التمرد والعصيان. إنها النتيجة النهائية للتمركز حول الذّات.

قابلت أناساً يهربون من مشاكلهم وبعضهم يرغبون فى السفر حول العالم هرباً من مشاكلهم. لكن فى الحقيقة، أينما ذهبت، فأنت تأخذ أكبر مشاكلك معك: إنها نَفْسُك! والحل الوحيد لهذه المشكلة هو الصّلب، والمقطع الكتابى التالى يلخِّص الأمر:

« ... أراد الله أن يعرّفهم (يعرّف المؤمنين) **ما هو غنى مجد هذا السر فى الأمم، الذى هو المسيح فيكم رجاء المجد»** (كولوسى ١ : ٢٧).

وهذا هو السرّ: «**المسيح فيك**». ومتى يصبح هذا الأمر حقيقة فى حياتك، عندئذٍ تختبر التحرر من الذات، حين تقول: «**لا أنا بل المسيح**».

الفصل الرابع عشر

التحرر من الجسد

درسنا حتى الآن ثلاثة من جوانب التحرير الخمسة المُعلنة فى رسالة غلاطية، والتى يقدّمها الله لنا من خلال عمل الصليب فينا وهى:

الجانب الأول، مذكور فى (غلاطية ١ : ٤)، والذى يقول أن الله قد حررنا من الدهر الحاضر الشرير.

والجانب الثانى فى (غلاطية ٢ : ١٩)، ويقول أن الله حررنا من الناموس.

الجانب الثالث فى (غلاطية ٢ : ٢٠) عن إمكانية تحريرنا من الذات.

والآن ننتقل إلى الجانب الرابع، وهو موجود فى (غلاطية ٥ : ٢٤):

«ولكن الذين هم للمسيح قد صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات».

لنتأمل قليلاً فى معنى صلب الجسد. إنه يعنى هنا تحريرنا ليس من الجسد المادى المحسوس، بل من الطريقة التى يعبِّر بها الإنسان العتيق عن نفسه فينا ومن خلالنا. هذا هو معنى الجسد فى هذه الآية، وقد تحدثنا سابقاً عن الإنسان العتيق والطبيعة العاصية المتمردة التى ورثناها من آدم، فالجسد والإنسان العتيق مرتبطان بقوّة.

تعطى الآية السابقة علامة مميزة لمن ينتمى للمسيح فهى تقول: «**الذين هم للمسيح قد صلبوا**» ... ونفس هذا التعبير يستخدمه بولس الرسول فى (١ كورنثوس ١٥ : ٢٣) فى حديثه عن قيامة الراقدين:

«ولكن كل واحد فى رتبته: المسيح باكورة (وقد قام بالفعل) ثم الذين للمسيح فى مجيئه».

سيأتى المسيح كلص، بمعنى أنه سيأتى فى وقت غير متوقع ولكن عند المنتهى، وسوف يأخذ المسيح الذين ينتمون إليه فقط.

بالعودة إلى (غلاطية ٥ : ٢٤)، نكتشف نوعية الأشخاص الذين سيأخذهم الرب يسوع: «**ولكن الذين هم للمسيح قد صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات**».

الانتماء للمسيح ليس مسألة طائفة. لن يأتى المسيح من أجل الإنجيليين أو الكاثوليك أو الأرثوذكس، ولكنه سيأتى لمن يطبقون شرطه هذا من كل الشعوب والقبائل، فيصلبون الجسد مع الأهواء والشهوات.

أعمال الجسد الأربعة:

يتحدث الرسول بولس فى الأصحاح الخامس من رسالة غلاطية عن أعمال الجسد، والطريقة التى تعبر بها الطبيعة الجسدية عن نفسها فى حياتنا، فيقول: «**وأعمال الجسد ظاهرة**». قد لا تكون هذه الأعمال ظاهرة لمن يمارسها، لكنها ظاهرة للآخرين من حوله. وهذه الأعمال هى:

«**زنًى، عهارةٌ، نجاسةٌ، دعارةٌ، عبادةُ الأوثانِ، سحرٌ، عداوةٌ، خصامٌ، غيرةٌ، سخطٌ، تحزبٌ، شقاقٌ، بدعةٌ، حسدٌ، قتلٌ، سكْرٌ، بَطَرٌ، وأمثالُ هذه التى أسبق فأقول لكم عنها، كما سبقت فقلت أيضاً، إن الذين يفعلون مثل هذه لا يرثون ملكوت الله**» (غلاطية ٥ : ١٩ـ٢١).

مهما بحثت فستجد أنه لا يوجد فى القائمة أى شيء صالح، فالجسد لا يخرج منه الصلاح مطلقاً، وهو حتى غير قادر على ذلك. الآية واضحة أنك لا تستطيع أن تحيا بحسب الجسد، وترث ملكوت السماوات، فملكوت السماوات وأعمال الجسد متضادين بشكل صارم.

تذكر المفتاح الذى يصف الطبيعة القديمة وهى كلمة: «الفساد»، فأى شيء ينتجه الجسد هو فاسد، ولا يستطيع الجسد إنتاج أى شيء صالح.

هناك أربع فئات لأعمال الجسد :

١ـ عدم النقاء الجنسى :

يشمل عدم النقاء الجنسى العهارة و النجاسة والدّعارة، كما يغطى جميع أنواع الفجور الجنسى كالجنس قبل الزّواج، إذا أردت تسميته بهذا الاسم اللطيف، والزنى الذى يعنى كسر عهد الزواج، والشذوذ الجنسى، وكل أنواع الفساد والانحراف الأخلاقى.

قد تضم الطوائف والكنائس من تشاء، لكن هذا لن يغيِّر ما يقوله الكتاب المقدّس، فالذين يفعلون مثل هذه الأمور غير مشمولين فى ملكوت الله.

٢ـ مسائل السّحر والتنجيم :

الفئة الثانية من أعمال الجسد هى السّحر والتنجيم وتشمل عبادة الأوثان وأنواع الشعوذة المختلفة. رغم أن الشعوذة هى أعمال سحريّة شيطانية فهى خارجة من الجسد والهدف منها هو السيطرة والتلاعب، فعندما يدخل الجسد فى هذه الأعمال تتدخل الأرواح الشريرة وتفرض سيطرتها.

بالعودة لقصّة آدم وحواء نجد أنَّ ما قادهما للخطيّة هو الرغبة فى المعرفة، وهى إحدى رغبات الجسد، وهى تجذب ملايين من الناس للسِّحر والشعوذة، فهم يريدون الإطِّلاع على أمور لم يسمح الله لهم أن يعرفوها. هذه الرغبة الجسدية فى المعرفة تحرِّض الناس على الذهاب إلى العرَّافين، ونفس الشىء ينطبق على استشارة خرائط النجوم.

يميل الناس أحياناً لتبرير ما يفعلونه بعدم المعرفة والجهل فيقولون «لم نكن نعلم أن هناك خطأ فيما نفعل»، إلا أن الجهل ليس عذراً. يقول بولس الرسول فى (١تيموثاوس ١ :١٣ـ١٥) عن نفسه أنه أول الخُطاة، وذلك بسبب أمور قد فعلها «**بجهل فى عدم إيمان**».

كلمة سِحر (شعوذة) فى أصلها اليونانى ترتبط بشكل مباشر بكلمة أخرى معناها «مواد مخدِّرة»، فإدمان المخدرات هو نوع من الشعوذة، والمنخرطون فى هذا الأمر هم خارج ملكوت الله.

٣ـ الانقسام :

الفئة الثالثة وهو الأطول فى قائمة بولس الرسول، هى فئة قليلاً ما نلتفت إليها وهى ترتكز حول الإنقسام. يذكر بولس الرسول الأمور التالية «عداوة خصام غيرة سخط تحزب شقاق بدعة حسد قتل». إن كل علاقة شخصيِّة مكسورة، وكل إنقسام فى البيوت والعائلات، وكل أنواع الانقسام فى جسد المسيح هى من نتاج الجسد.

٤ـ الإنغماس فى الملذّات الشخصية :

فى الفئة الرابعة والأخيرة من القائمة يذكر بولس الرسول «السكُر والبَطَر وأمثال هذه...». تشير هذه الفئة ـ كما أفهمه ـ إلى الانغماس المفرط فى شهوات الجسد ورغباته، وخصوصاً فيما يتعلق بالطعام والشراب، وبولس الرسول فى (١كورنثوس ٩ : ٢٧) يصف لنا نوع النظام الذى يفرضه على نفسه فى هذا المجال:

«بل أقمعُ جسدى وأستعبدهُ حتى بعد ما كرزتُ للآخرين لا أصير أنا نفسى مرفوضاً».

إذا أردنا إتباع مثال بولس، فعلينا طلب الروح القدُس، الذى يصفه بولس بـ «**روح القوّة والمحبّة والنصح**» (٢تيموثاوس ١ : ٧)، فإذا واصلنا حياة عدم الانضباط والإنغماس فى ملذاتنا الشخصية، فلن يفرض علينا الروح القدس حياة انضباط تخالف نهج الحياة الذى نختاره.

العدو فى الداخل :

يقول بعض علماء اللاهوت إن بولس الرسول كان يدعو مؤمنى كنيسة كورنثوس فى (١كورنثوس ٣ : ٣) بالجسديين، لأنهم كانوا يتكلّمون كثيراً بألسنة، ولكن لم يكن التكلم بألسنة مشكلة أهل كورنثوس، بل كانت المشكلة فى مواقفهم وعلاقاتهم التى أظهرت السلوك بالجسد. فما هى علامات السلوك بالجسد؟

«... فإنه إذ فيكم حسد وخصام وانشقاق، ألستم جسديّين وتسلكون بحسب البشر»

ليست النظريات اللاهوتية هى ما يقسم الكنيسة، ولكن الناس هم من يستخدمونها بطريقة جسديّة. فالسلوك بالجسد وليست النظريات اللاهوتية هو جذر المشكلة. ففى السلوك بالجسد انقسام واتِّباع قادة من البشر. يقول واحد: «أنا أتبع لوثر!» ويقول آخر: «أنا أتبع كالفن» فيأتى آخر ويقول: «أنا أتبع وسلى» يمكنك أن تتلقى وتقبل تعليم هؤلاء الرجال، وتشكر الله من أجل ما عملوه، ولكن أن تصبح تابعاً لقائد أو لآخر، فهذا علامة على السلوك بالجسد.

يوجد لهذا النوع من السلوك بالجسد وكذلك جميع الأنواع الأخرى حلٌ واحدٌ وهو الصليب، فحيث لا يرغب الناس فى الخضوع للصليب فى حياتهم، يكون هناك الانقسام والنزاع والحسد والغيرة والكبرياء.

ولكن سأقول لك شيئاً، وآمل أن يساعدك خشية أن يتكون فى داخلك انطباع سلبى فتقول: «أنا لست على هذا المستوى، أنا لم أصل إلى هذه الحالة التى تصفها». اهدأ قليلاً! فالله لا يتوقع منك أن تكون قد وصلت، ولكنه يريدك أن تكون على الطريق. نحن نحتاج أن ندرك أن فى داخل كل واحد منا عدوٌّ لله، وأن أغلب معاناتنا وصعوباتنا كمؤمنين هى بسبب هذا العدو الذى فى داخلنا.

لو عشت أثناء فترة الحرب العالمية الثانية، لكان مصطلح «الطابور الخامس» مألوفاً لديك. جاء هذا المصطلح أساساً من الحرب الأهلية الأسبانية فى الثلاثينات من القرن العشرين حين قاتل الأسبان بعضهم بعضاً داخل أسبانيا. وفى عام ١٩٣٦ كان أحد القادة الأسبان يحاصر مدينة مدريد، فسأله قائد آخر: «ما هى خطتك للاستيلاء على المدينة؟» فأجاب: «لدى أربعة طوابير ستهاجم المدينة، واحد من الشمال، واحد من الجنوب، واحد من الشرق، وواحد من الغرب» ثم أضاف هذا القائد بعد أن توقف للحظات وقال: «ولكن طابورى الخامس هو الذى أتوقع منه إسقاط المدينة». فسأله صديقه القائد: «وأين هو طابورك

الخامس هذا؟» فأجاب: «فى داخل المدينة!». هذه هى مشكلتنا، فالكنيسة لم تُغلب أبداً من الخارج، لم تُغلب الكنيسة قط إلا من الطابور الخامس، وهو العدو الداخلى.

حاسبين أنفسنا أمواتاً :

كلنا لدينا نفس العدو فى داخلنا، وهو الجسد، ولهذا فلا تشعر بأنك مذنب إن كنت تصارع فى داخلك، فصراعك هذا قد يعنى أنك أكثر حياةً من المؤمنين الذين لا يعانون، فالعدو فى حالتهم لا يجد أى مقاومة فى داخلهم. أقرأ ما يقوله بولس الرسول فى (رومية ٧ : ١٨):

«فإنى أعلم إنه ليس ساكنٌ فىَّ، أى فى جسدى، شىء صالح. لأن الإرادة حاضرة عندى، وأمّا أن أفعل الحسنى فلست أجد».

أرى أحياناً أن الفرق بين أغلبنا وبين بولس الرسول، أنه كان يعرف ما لا نعرفه نحن، فبولس الرسول يقول: «أعلم أن لا شىء صالح فى طبيعتى الجسدية»، ولهذا فأنا لا أستطيع إخراج أى شىء صالح منها، ورغم رغبتى الشديدة لعمل ما هو صالح، فأنا أواجه صراع مستمر مع شىء فى داخلى لا يريد أن يفعل الصلاح».

ان الصراع فى حد ذاته هو علامة جيدة، فهو يدل أنك حى، فبولس الرسول حين كتب (رومية ٧) لم يكن مسيحياً غير ناضج! فقد كان على عتبة (رومية ٨) حين كتب هذه الكلمات، ولكنك لا تستطيع الوصول إلى (رومية ٨) حتى تتعلم كيفية التعامل مع جسدك.

والان ننتقل إلى (رومية ٨ : ٦ـ٨):

«لأن اهتمام الجسد هو موت ولكن اهتمام الروح هو حياة وسلام. لأن اهتمام الجسد هو عداوة للّه إذ ليس هو خاضعاً لناموس الله، لأنه أيضاً لا يستطيع. فالذين هم فى الجسد لا يستطيعون أن يرضوا الله».

حين تترك طبيعتك الجسدية توجِّه تفكيرك، فهذا هو الموت، ولكن حين تسمح للروح

القدس أن يوجّه طريقة تفكيرك، فهذا ينتج الحياة والسلام.

لا يمكن ولا بأى طريقة أن توجّه طبيعتك الجسدية لطاعة الله، فلن تطيع هذه الطبيعة الله أبداً. عليك أن تقبل هذه الحقيقة، فتكف عن محاولة إخضاعها لله. لا تحاول أن تجعلها متدينة، ولا تحاول أن تأخذها للكنيسة وتجلسها لساعات فى الاجتماعات، أو تمارس بعض الممارسات الدينية الكثيرة حتى تجعلها تخضع لله، فلن تطيع هذه الطبيعة الله، لأنها هى لا تستطيع أن تفعل هذا، فهى فاسدة بصورة ميؤوس منها، لأنها متمردة حتى الجذور.

فما هو العلاج؟ إن علاج الله هو الحكم عليها بالموت، وبشارة الإنجيل هى أن هذا الحكم قد نُفِّذ قبل أكثر من تسعة عشر قرناً مضت، فحين مات الرب يسوع على الصليب، مات معه إنساننا العتيق، تلك الطبيعة الجسدية الفاسدة، وما علينا فعله ببساطة هو أن نقبل ونطبّق ما سبق فحققه الرب يسوع لنا على الصليب.

«عالمين هذا أن إنساننا العتيق قد صلب معه ليبطل جسد الخطيّة، كى لا نعود نستعبد أيضاً للخطيّة» (رومية ٦: ٦).

هذه حقيقة تاريخيه صحيحة سواء عرفناها أم لا، وسواء آمنا بها أم لا، ولكن حين نعرفها ونؤمن بها فهى تعمل فينا. مرّة أخرى سأشير إلى مشكلة موجودة فى كثير من الكنائس المعاصرة، وهى أن المؤمنين فى هذه الكنائس لا يعلمون أنهم قد صُلبوا مع المسيح.

فى الحقيقة إن القول بأن إنساننا العتيق قد أُبطل وجوده، فهذا نوع من التضليل، فما دمنا فى هذه الحياة، لن نصل إلى زوال طبيعتنا الجسدية. قابلت أشخاصاً يؤمنون بأنهم قد تحرروا بالكامل من الجسد، لكنى لم أرَ الدليل على ذلك. ما فعله أولئك هو أنهم غيروا المصطلحات التى يستخدمونها، ولم يعودوا يفقدوا أعصابهم، وانغمس هؤلاء فى بر ذاتى. يمكنك أن تجعل جسدك غير فعّال أو عاجز عن عمل ما يرغب به، ولكن فى هذا الدّهر، لا يمكنك الغاء عمله، وهذا سبب آخر يدعونا للتطلُّع إلى الدهر الآتى.

ثلاث كلمات بسيطة:

يقول بولس الرسول فى (رومية ٦: ١١):

«...احسبوا أنفسكم أمواتاً عن الخطيّة».

لاحظ تتابع الآيتين، (٦ و ١١)، فالآية (٦) التى قرأناها سابقاً تخبرنا بأننا قد متنا عن الخطيّة، لتكمل الآية (١١) وتدعونا لنحسب ونعتبر أنفسنا أمواتاً عن الخطيّة، أى أن نطبق الآية (٦) على حياتنا، ونحن نفعل هذا حين نقر بأن طبيعتنا الجسدية قد صلبت.

قد تساعدك الكلمات الثلاث البسيطه التالية لكى تحسب نفسك ميّتاً عن الخطيّة: الحقيقة، الإيمان، الشعور. لاحظ الترتيب، فأنت تبدأ بالحقائق، وهى الحق الموجود فى الكتاب المقدّس. فالكتاب المقدّس، يحتوى على الحقائق، ثم يُبنى إيمانك بناءاً على هذه الحقائق، ثم تأتى بعد ذلك مشاعرك لتسير على نفس خط إيمانك. لا تسمح أبداً لمشاعرك أن تملى عليك ما تفعل.

ما أعرضه فى هذه الفصول هو حقائق، وربما تظهر لك بأنها موضوعية إلى حد قليل أو بعيدة عنك، ولكن يجب أن تبدأ بعرض الشىء الموضوعى المُهدّف. لو بدأنا بمشاعرنا، فسنكون غير ثابتين وبدون مرساة تحت رحمة الرياح والتيّار. لهذا نبدأ بالحقائق الكتابية، ونؤسس إيماننا على هذه الحقائق، ونسمح لمشاعرنا بأن تسير على نفس هذا الخط.

أحياناً حين نشعر كما لو أننا أكثر الفاشلين بؤساً، نكون فى حقيقة الأمر أكثر إبهاجاً لله منه حين نشعر بضخامة وروعة إنجازاتنا، فالله قريب من منكسرى القلوب، والكتاب المقدّس يقول: «ذبائح الله هى روح منكسرة» (مزمور ٥١: ١٧)، فواحدة من الأمور التى تبقى الله بعيداً عنّا الثقة بالنفس.

لقد واجهت فى السّابق مشاكل وكنت أرى فى نفسى القدرة على مواجهتها، ولكن لاحقاً تمنيت لو أنى لم أفكر بهذه الطريقة، فقبل عدّة سنوات سافرت أنا وزوجتى الأولى ليديا من كندا إلى الولايات المتحدة، وكانت هذه هى رحلتنا الأولى إلى أمريكا، وكنت قد

سمعت أموراً عن تلك البلاد أثارت قلقى وتوترى، ففيها طرق لا يمكنك أن تقود سيارتك فيها بسرعة تقل عن ٦٥ كيلومتراً فى الساعة، وهذا الشيء أخافنى حقا. لهذا فقد خططنا للسفر من أوشاوا (Oshawa) باتجاه ليما (lima) جنوباً فى نيويورك، لنتحاشى كل الطرق السريعة.

وبعد رحلة آمنه إلى نيويورك، بدأنا نحضِّر للعودة إلى كندا حين قالت ليديا لى: «أعتقد أنه يجب أن نصلّى» فأجبت: «لا حاجة بنا للصلاة».

قدنا سيارتنا فى شوارع نيويورك وخرجنا من المدينة بكل ثقة، ولكن ولأن علامات الإرشاد فى الطرق الرئيسية للولايات المتحدة تختلف عنها فى كندا، فقد تجاوزنا طريق الخروج الصحيح، وكان طريق الخروج التالى يبعد عن الذى يسبقه ٩٠ كيلومتراً، فكان علينا أن نقود سيارتنا نحو ١٨٠ كيلومتراً بعيداً عن الطريق الصحيح، وحين رجعنا للمخرج الصحيح، تعطّلت السيّارة!

لن أخبرك بقية القصّة، ولكنى بعدها لم أقل أبداً «لا حاجة بنا للصلاة»

كيف إذاً نصلب الجسد؟

بينما ندرس ونطلب التحرير من الجسد، نجد فى (١بطرس ٤: ١ـ٢) كلمات تحذيرية هامة:

«فإذ قد تألم المسيح لأجلنا بالجسد تسلّحُوا أنتم بهذه النية. فإن من تألم فى الجسد كُف عن الخطيّة لكى لا يعيش أيضاً الزمان الباقى فى الجسد لشهوات الناس بل لإرادة الله».

يحذرنا بطرس الرسول من أن التحرر من الجسد لن يأتى بدون معاناه. لهذا يجب أن نسلّح أنفسنا بهذا التوقع، ونكون مستعدين لنقبل أى شيء حتى نتحرر من سيطرة طبيعتنا الجسديّة، وهذا التسلح الذهنى أساسى من أجل الانتصار. إلا أن كثير من المؤمنين يواجهون التجارب بدون هذا التسلّح، فهم ليسوا مستعدين عقلياً للضغط والنزاعات التى تواجههم،

ولهذا فهم يسمحون لطبيعتهم الجسدية بأن تغلبهم.

أمضيت أوقات صعبة فى السنوات الماضية فى محاولة فهم هذه الآية التى يقولها بطرس: «**فإن من تألم فى الجسد كُفَّ عن الخطيّة**» كنت أقول لنفسى: «لقد أخذ الرب يسوع حين مات على الصليب كل الألم، وأنا لا أستطيع أن أضيف أى شىء لما عمله هو».

ولكن فى النهاية عرفت أن الآلام تكمن فى صلب أجسادنا. تذكر ما قلناه فى بداية هذا الفصل: «**الذين هم للمسيح قد صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات**» (غلاطية ٥ : ٢٤)، ولن يكون صلب الجسد لأى منا خالٍ من الألم، فهو يعنى بطريقة ما، أن ندق المسامير فى أيادينا وأرجلنا، ونضع أنفسنا على الصليب.

وهذا مثال لصلب الجسد. لنقل إن شابة فى بداية العشرينات، وهى مؤمنة ملتزمة، تواقة لخدمة الرب. تقابل الفتاة رجلاً يدّعى أنه مؤمن، وأنه يذهب إلى الكنيسة، لكنه يقول هذا فقط ليبقى معها. بعدها يقول الرجل لتلك الفتاة التى أصبحت مُرتبطة به عاطفياً إنه يريد الزواج منها، والآن هى لا تعرف ماذا تفعل.

لكن راعى الكنيسة التقى هذه الفتاة التى يعرفها جيداً، ويعرف ذلك الرجل أيضاً، فحذرها الراعى وقال عن الرجل: «إنه ليس بمؤمنٍ حقيقى، هو فقط يمثل هذا الدور لأنه يريدك، أرجوكِ لا تتزوجى به».

لدى هذه الفتاة خياران، بإمكانها أن ترضى جسدها أو تصلبه. جسدها يقول: «أنا أحبه». وهى تجيب: «لكنى أحب الرب يسوع أكثر». وبهذا تدق المسمار الأول فى يدها اليمنى.

مرّة أخرى يأتى صوت الجسد ليقول: «لكنى أريد بيتاً وأطفالاً»، فتأتى بالمسمار الثانى لتدقه فى يدها اليُسرى.

فيأتى نفس الصوت ليقول: «لكنى أخشى أن أبقى وحيدةً بقية حياتى»، فتأتى بالمسمار الأخير وتدقه فى رجليها.

هل فهمت الآن؟ فالأيدى والأرجل يجب أن تثقب بالمسامير، وهذا مؤلم، لكن هذا الألم لن يستمر. فبعد هذا تصبح هذه المرأة سعيدة وحرة، وستقابل فى طريقها الرجل المناسب.

لكن لنفترض أن هذه المرأة رفضت صلب الجسد، فتزوجت من هذا الرجل. بعد فترة أدركت أنه لم يكن يحب الرب، وأنه لا يريد أن يكون إنساناً روحياً، ولا يوافقها على طموحاتها الروحية. ثم بعد خمسة عشر عاماً من النزاع، يهجرها تاركاً معها ثلاثة أطفال.

أيهما أكثر إيلاماً، أن تتعامل مع جسدها من البداية، أم أن تقضى خمسة عشر عاماً وهى متزوجة من الرجل الخطأ، ليتركها بعد ذلك وحيدة مع الأطفال؟ نعم كلا الأمرين مؤلم، والسبب الرئيسى للألم هو طبيعتنا الجسدية. والسؤال هو، هل تقبل الحل الذى يعطيه الله أم تذهب إلى الطريق الآخر؟ حل الله مؤلم، لكن لفترة مؤقتة فقط، فقلبها المكسور ـ كان سيشفى فى سنة أو اثنتين، تكون بعدها حرة لتحيا بقية حياتها لله.

تأتى الأزمات فى حياة أغلب المؤمنين بالمسيح، وبشكل خاص فى أولئك المدعوين لحقول الخدمة المختلفة. وفى هذه الأزمات، إما أن يفعلوا ما يريده الجسد وينسون الله، أو يصلبون الجسد متألمين فيخرجون من هذا الألم شخصيات متقدمة تحيا حياة ملتزمة، بعيداً عن عبوديّة الخطيّة.

حين أنظر إلى تجاربى الشخصيّة فى الماضى، أستطيع أن أرى الأوقات التى فيها كان علىَّ أن أختار بين قرارين، أحدهما صحيح والأخر خاطئ. كان بإمكانى حينها أن أذهب فى طريق الجسد، فأبهج نفسى، وأسير على الطريق السهل، أو بالمقابل أن أطبِّق الصليب. بدون إتقان، وحتى بدون أن أفهم ما كنت أفعله، فقد دققت المسامير. والآن وبعد أكثر من خمسين سنة أنا مسرور لأنى مشيت بهذا الطريق.

لنعد لقراءة ما كتبه بطرس الرسول: «**فإذ قد تألم المسيح لأجلنا بالجسد، تسلّحُوا أنتم بهذه النية. فإن من تألّم فى الجسد كُف عن الخطيّة لكى لا يعيش أيضاً الزمان الباقى فى الجسد لشهوات الناس بل لإرادة الله**» (١بطرس ٤: ١ـ٢).

أليس هذا رائعاً؟ تستطيع أن تصل إلى مرحلة لا يعود فيها للخطيّة أى سيطرة عليك. هذا هو الجانب الرابع الرائع من جوانب التحرير المتاحة لنا من خلال الصليب.

الفصل الخامس عشر

التحرر من العالم

بقى الآن الجانب الأخير من جوانب التحرير، وهو مُوضّح فى (غلاطية ٦ : ١٤) حيث كان بولس يكتب عن مجموعة من الناس أرادوا التباهى بإنجازات دينية معينة لديهم فقال:

«وأمّا من جهتى، فحاشا لى أن أفتخر إلا بصليب ربنا الرب يسوع المسيح الذى به قد صلب العالم لى وأنا للعالم».

يفصل الصليب بين المسيحى الحقيقى وبين العالم، فحين ينظر العالم للإنسان المسيحى يرى جثّة موضوعة على صليب، وذلك منظر غير جذاب بالنسبة له، وكذلك الأمر حين ينظر المسيحى إلى العالم فهو يرى نفس الشىء، لا شىء يجذبه، وهناك خط كامل يفصل بين الاثنين،وعليه علامة الصليب.

نحتاج أن نعود ثانيةً إلى كلمة «العالم» لا بد أنك تذكر الكلمتين «aeon» و «cosmos» اللتين تعنيان «دهر» أو «عالم» (راجع الفصل ١٢). الكلمة «aeon» هى مقياس زمنى، بينما «cosmos» تعنى «عالم»، فهى كلمة اجتماعية تخص التعامل بين الناس. فمثلاً كلمة «عالم» فى (غلاطية ٦ : ١٤) هى «cosmos». لقد تحررنا من هذا النظام العالمى الحاضر، بكل من فيه من أشخاص يرفضون ملكوت الله فى شخص الرب يسوع.

وفى (لوقا ١٩) روى لنا الرب يسوع مثلاً يقول:

«إنسان شريف الجنس ذهب إلى كورة بعيدة ليأخذ لنفسه مُلكاً ويرجع، فدعا عشرة عبيد له وأعطاهم عشرة أمناء وقال لهم تاجروا حتى آتى. وأمّا أهل مدينته فكانوا يبغضونه، فأرسلوا وراءه سفارة قائلين لا نريد أن هذا يملك علينا» (الآيات ١٢ـ١٤).

فى هذه القصّة صورة للرّب الرب يسوع وهو يغادر الأرض، ويذهب إلى أبيه فى السماء، وهو ينتظر حتى يأتى ثانية، لكنها أيضاً صورة للعالم، حيث يقول الناس: «لا نريد أن الرب يسوع هذا يملك علينا، ولن نخضع له كسيّد».

ما هو الخط الفاصل؟

يحتوى العالم على أنواع مختلفة من الناس. هناك الملحدون والمنتمون لأديان مختلفة، وهناك المشهورون والمرموقون والمترفون وغيرهم الكثير. قد تحكم بخصوص فئة من الناس فتقول: «لا يمكن أن يكون هؤلاء جزءاً من العالم» والسبب أنهم يرتادون الكنائس. لكن لكى تميّز ما إذا كان شخص ما هو جزء من العالم أم لا، ضعه أمام التّحدى الخاص بالاتباع الكامل للرب يسوع المسيح. عندها قد يظهر من هذا الشخص أو الجماعة تصرفاً لا يدل على الاحترام، فحين تُزال قشره التديّن الخارجية، يظهر التمرد الموجود فى الداخل. التمرد الموجود فى المتدينين وأصحاب الأخلاق الرفيعة، لا يقل عن التمرد الموجود فى الشيوعيين أو الملحدين أو أصحاب الأديان الكاذبة.

فما هو الخط الفاصل؟ إنه الخضوع للرب يسوع المسيح كرب وسيِّد. الخاضعون للرب يسوع ليسوا من أهل العالم، بل انتقلوا من العالم ليدخلوا فى ملكوت الله، فلا يمكنك أن تدخل فى ملكوت الله دون أن تبنى علاقة صحيحة بالملك. وكثيرون هم الذين يرغبون فى دخول الملكوت، لكنهم لا يريدون الملك! وكان هذا وضع بنى إسرائيل أيّام المسيح، فقد أرادوا المملكة لكنهم رفضوا الملك. وبرفضهم الملك، خسروا المملكة.

فلا أحد يمكنه أن يرفض الملك ويكون فى مملكته، وما يحدد ما إذا كنّا فى المملكة أو لا ليس نوع الملابس التى نلبسها ولا نوع التسلية التى تبهجنا، بل علاقتنا بالرّب يسوع. هل نحن خاضعون له بصدق وأمانة؟ لا يعنى هذا أن نكون كاملين. لكن حين نخضع للرب يسوع فهو لديه الكثير ليعمله فى حياتنا، وهذا يعنى أن نستمر فى السّماح له بتقويمنا، حتى لو لم يعجبنا ذلك، فقد لا يكون ما يفعله ممتعاً لنا، لكن هذا أفضل لنا من الخيار الثانى.

قبل أن أقابل الرب يسوع كنت جزءاً من العالم، وكأستاذ فلسفة لم أكن أهتم بأمور الدين، ولكن فى أحد الليالى انتزعنى الله من العالم ووضعنى فى مملكته. لم يكن لدىَّ حينها أى معرفة بالأمور المسيحية، لكنى قابلت الرب يسوع واستسلمت له.

ومن ذلك الحين واجهت كثير من الصراعات، لكن صدّقنى لم أشعر بأية رغبة فى العودة إلى العالم، ما هى الأشياء الموجودة فى العالم؟ لا شىء فيه يغرينى أو يجذبنى.

ليس الأمر دائماً سهلاً فى ملكوت الله، لكنه أفضل بلا منازع من التواجد فى العالم. خرجت فى تلك الليلة، كما خرج بنو إسرائيل من مصر، ولم أرغب ولو للحظة واحدة بالرجوع. ليست العقيدة هى ما غيّرنى، لكنه الرب يسوع. لقد قابلت الشخص الذى طلب ولائى وطاعتى.

نظام العالم:

يتحدث الرسول بطرس فى (٢بطرس ٣: ٥-٦) عن قضاء الله على نظام العالم:

«لأن هذا يخفى عليهم بإرادتهم: أن السموات كانت منذ القديم والأرض بكلمة الله قائمة من الماء وبالماء، اللواتى بهن العالم الكائن حينئذ فاض عليه الماء فهلك».

حين يقول بطرس الرسول: «**العالم الكائن حينئذ هلك**» فهو لا يتحدث بالدرجة الأولى عن العالم المادى فى ذلك الوقت، فالأرض لم تهلك، والنظام الشمسى لم يختفِ، ولكن ما هلك شىء أعمق، لقد هلك النظام الاجتماعى، وهو النظام الإنسانى قبل الطوفان. فما هى المشكلة فى هذا النظام؟ لم يكن خاضعاً لحكم الله البار، فأزال الله هذا النظام بقضاء واحد مختصر وشامل.

والآن تشكل نظام عالمى جديد مختلف عن سابقه من عدة جوانب، ولكن هناك شىء مشترك بينه وبين النظام السّابق للطوفان، فهو لا يخضع لحكم الله البار. لكن الله لا يقبل

أى بديل عن الحاكم الذى عيّنه هو، فإما الرب يسوع أو لا أحد.

لنتأمل فى بعض ما يخبرنا به العهد الجديد عن نظام العالم، وهذه الحقائق التى سنعرضها رغم جديتها تلقى تجاهلاً كبيراً من الكنيسة المعاصرة.

ثلاثة مغريات أساسية:

تتعارض الكلمات فى (١يوحنا ٢: ١٥-١٦) مع التفكير المعاصر ولكنها حقيقية:

«لا تحبّوا العالم ولا الأشياء التى فى العالم. إن أحب أحد العالم فليست فيه محبة الآب. لأن كل ما فى العالم: شهوة الجسد وشهوة العيون وتعظم المعيشة، ليس من الآب بل من العالم».

هذه الكلمات واضحة تماماً، أليس كذلك؟ وليس فيها أى أمور لاهوتية تعيق الفهم، فلا شيء من دوافع العالم واتجاهاته وطموحاته ورغباته ومعاييره أو أولوياته هو من الآب. لكن يجب أن نكون حذرين فى فهمنا لهذه الحقيقة، فنحن لسنا أعداءً للخطاة، فقد أحب الله العالم وبذل ابنه من أجلهم، لكننا لا نحب نظام العالم أو الطريقة التى يحيا بها العالم. لا يمكننا أن نحب العالم ونحب الله بنفس الوقت، ولكن كما كان الرب يسوع نفسه، نستطيع أن نحب الخطاة.

تعرض هذه الفقرة من رسالة يوحنا الأولى ثلاثة مغريات أساسيّة: **شهوة الجسد** وهى رغبات الجسد المادى، **وشهوة العيون** وهى الرغبات الجشعة **وتعظم المعيشة** وهى كالقول: «لا أحد يملى على ما أفعل». كانت هذه الرغبات الثلاث عاملة فى جنّة عدن، فشجرة معرفة الخير والشر كانت جيدة للأكل، وهذه شهوة الجسد، وبهجة للعيون، وهذه شهوة العيون. وتجعل الرجل والمرأة عارفين الخير والشر دون الحاجة إلى الله، وهذا هو تعظم المعيشة.

قد واجه الرب يسوع فى البريّة نفس هذه المغريات الثلاث، ففى البداية قال الشيطان له:

«**قل أن تصير هذه الحجارة خبزاً**» (متّى ٤ :٣) وهذه شهوة الجسد. ثم من على جناح الهيكل قال له الشيطان: «**اطرح نفسك إلى أسفل**» (متّى ٤ : ٦)، وبكلمات أخرى كان الشيطان يقول: «أعمل شيئاً لتظهر كم أنت عظيم بدون الله الآب» . وهذا هو تعظم المعيشة. وأخيراً أراه الشيطان جميع ممالك العالم ومجدها وقال له: «**أعطيك هذه جميعها إن خررت وسجدت لى**» (متّى ٤ : ٩) وهذه تمثل شهوة العيون.

شكراً لله، فرغم أن آدم سقط فى تلك البيئة الكاملة (الجنة)، فقد انتصر الرب يسوع، الذى هو آدم الأخير، النصر التّام فى البريّة بعد أربعين يوماً بدون طعام.

إن الرغبات التى هزمها الرب يسوع تضم فى طبيعتها كل شهوات العالم. فكل شهوات العالم، تأتى تحت أحد هذه العناوين الثلاثة: شهوة الجسد، شهوة العيون، وتعظّم المعيشة. وهذه الأخيرة هى الأخطر.

العالم لن يدوم:

«**العالم يمضى وشهوته، وأما الذى يصنع مشيئة الله فيثبت إلى الأبد**» (١ يوحنا ٢ : ١٧).

يا لها من كلمات مذهلة! فكل شىء فى هذا العالم مؤقت ولن يدوم شىء منه. لكن إذا وحدّت مشيئتك مع مشيئة الله بأن تقول: «أنا هنا لأعمل مشيئة الله» فسوف تكون شخصاً ثابتاً راسخاً بقدر ثبات ورسوخ مشيئة الله. لن تُهزم أبداً، لأن مشيئة الله لا يمكن هزيمتها، والمفتاح هو أن توحِّد مشيئتك مع مشيئته.

سيحاول الشيطان إقناعك بأنك ستضطر للتنازل عن أشياء كثيرة، لكنه كاذب لا تصغى له، فهى بركة عظيمة لك أن تضم مشيئتك لمشيئة الله، فهذا سيزيل عنك الشعور بأنك وحيد ولا يوجد من تعتمد عليه. ألقِ هذا الهمَّ على الله الآب، فهو سيعتنى بك.

لا تصادق العالم:

أعتقد أنك تتفق معى بأن الرسول يعقوب كان واضحاً حين قال:

«أيها الزّناة والزّوانى، أمّا تعلمون أن محبة العالم عداوة لله. فمن أراد أن يكون مُحبّاً للعالم، فقد صار عدوّاً لله» (يعقوب ٤ : ٤).

لماذا يقول يعقوب زناه؟ لأن المؤمنين الذين يسلِّمون نفوسهم لله، ثم يعودون للعالم، يرتكبون الزنا الروحى، فيكسرون عهد ارتباطهم مع الرب يسوع، فالأمر فى غاية الوضوح، «**محبّة العالم عداوة لله!**» وعليك أن تختار.

العالم سيبغضنا:

من بين كُتّاب العهد الجديد، أمضى الرسول يوحنّا أغلب حياته يتعامل مع العالم. وكان هذا من المواضيع الأساسية التى كتب فيها، وهو يسجّل فى (يوحنّا ١٥ : ١٨-١٩) كلمات الرب يسوع لتلاميذه قبل أن يتركهم:

«إن كان العالم يبغضكم، فاعلموا أنه قد أبغضنى قبلكم. لو كنتم من العالم، لكان العالم يحب خاصّتَهُ. ولكن لأنّكم لستم من العالم، بل أنا اخترتكم من العالم، لذلك يبغضكم العالم».

تظهر كلمة «العالم» فى الآية (١٩) خمس مرّات، فلا بد أن الله يحاول أن يقول لنا شيئاً، لننظر ثانية باهتمام:

«لو كنتم من العالم، لكان العالم يحب خاصّتَهُ. ولكن لأنّكم لستم من العالم، بل أنا اخترتكم من العالم، لذلك يبغضكم العالم».

لا يمكن أن يكون هناك شك فى كلام الرب يسوع، ولا ينبغ أن نُصدم إذا كَرِهَنَا العالم، ولكن مشكلة الكنيسة المعاصرة أن العالم لا يكرهنا.

قبل هذه الحادثة كان الرب يسوع قد قال لإخـوته الذين لم يكونوا قد آمنوا به بعد:

«لا يقدر العالم أن يبغضكم، ولكنه يبغضنى أنا لأنى أشهد عليه أن أعماله شريرة» (يوحنا ٧ : ٧). كان إخوة الرب يسوع جزءاً من العالم لأنهم فى ذلك الوقت كانوا قد رفضوا حكم الله البار من خلال شخص الرب يسوع المسيح أخوهم.

ما دمت جزءاً من العالم، فلن يبغضك العالم. لكن إن انفصلت عن العالم، وأصبحت شاهداً للبر والحق، فالعالم سيبغضك، فلماذا يندر اليوم أن يبغض العالم الكنيسة؟ لأننا لا نربكه، وهو مرتاح فى التواجد معنا.

قدَر أحدهم عدد المؤمنين المولودين ثانية فى أمريكا بخمسين مليون شخص. لو كان هذا صحيحاً حقاً، لكان العالم قد أحس بتأثيرهم، ولكن فى الحقيقة فنحن كمؤمنين مسيحيين نادراً ما نؤثِّر فى هذا العالم، والعالم لا يبالى كثيراً بما نعمل. الأمر نفسه يحصل فى غالبية دول أوروبا، فالمسيحيّة هناك تعامل كشىء من التّاريخ، لا تأثير لها فى الحاضر، أو كطيف ضئيل من الماضى، فهناك العديد من الكاتدرائيات هنا وهناك، ولكن بدون تأثير على الحياة المعاصرة. لهذا فالعالم ليس ضد هذه المسيحيّة، فهو ماضٍ فى طريقه دون معارضة.

العالم فى يد الشيطان:

لا تغضب منّى بسبب ما ستقرأ ولكن اغضب من الرسول يوحنا، فهو من كتب هذه الكلمات!

«نعلم أننا نحن من الله، والعالم كله وُضع فى الشرير» (١يوحنا ٥ : ١٩).

من هو الشرير؟ إنه الشيطان. لقد وُضع هذا العالم فى الشرير، أى أن العالم كلَّه تحت سيطرة إبليس.

يذكر يوحنا الرسول فى (رؤيا ١٢ : ٩) الأربعة ألقاب التى تطلق على الشيطان:

«... التنين العظيم، الحيّة القديمة، المدعو إبليس، والشيطان».

خصمنا أولا اسمه إبليس: وفى اليونانية «ديابولوس ـ diabolos» وتعنى (المفترى، مشوّه السمعة)، وهو أيضاً «الشيطان»، ومعناها فى الأصل (العدو، المقاوم، المعارض)، وثالثاً التنين، أى المخلوق الرهيب المخيف، وأخيراً هو الحيّة، فهو الماكر المخادع الذى إذ لم يستطع الدخول من الباب الأمامى، تسلل من الثقوب كالأفعى.

فماذا يفعل الشيطان بهذه الأربعة أدوار، إنه يخدع العالم بأسره.

طريق الخروج من نظام العالم:

إن كنت توافق على ما قلناه عن العالم، فيجب أن تدرك أننا كمؤمنين ملتزمين، لا مكان لنا فى العالم. نحن ببساطة لا ننتمى إليه. ولا يمكن إحصاء الطرق التى يحاول بها العالم إغراءنا وخداعنا، فنحن نحتاج للتحرير من آراء العالم وقيمه وأحكامه وضغوطاته وإغراءاته، فلا نسمح لأى من هذه أن تغيّر تفكيرنا.

أكبر وسيلة يضغط من خلالها العالم على ثقافتنا المعاصرة هى التلفزيون. أنا لا أقول أن كل قنوات التلفزيون خاطئة، ولكن الكثير منها تجلب العالم إلى بيتك، ففى التلفزيون قنوات مغرية ولها تأثير كبير، وهى مجال ضخم للإظهارات السّحريّة والشعوذة والتأثيرات الروحيّة. وكذلك الأمر فى قنوات الإعلان والدعاية، فهدفها أن تجعلك تريد أشياء أنت لا تحتاجها، فتشترى وتشترى أشياء ليس لديك حتى الإمكانية لشرائها، وهى تنجح كثيراً فى هذا الأمر، فالعاملون فى مجال الدعاية ينفقون مليارات الدولارات على الدعاية لأنها ترد لهم ما دفعوا أضعافاً مضاعفة.

أنا لا أحاول أن أختار لك طريقة حياتك، لكنى اخترت لنفسى، وفى حياتى ليس للتلفزيون سيطرة علىَّ. أنا لا أعتبر هذا تضحية! فإن أردت أن تزعجنى وتعذبنى، ضعنى أمام التلفزيون لبضع ساعات كل يوم.

أنا لا أقترح أن يصبح الجميع مثلى، ولكن أنت تحتاج لأن تسأل نفسك، من أين أستمد قيمى ومعاييرى وأحكامى وأولوياتى؟

الآن لننظر إلى هذه الصورة الكئيبة المخزية التى يرسمها بولس الرسول للمؤمنين الذين لا يطبقون الصليب فى حياتهم:

«لأن كثيرين يسيرون ممّن كنت أذكرهم لكم مراراً، والآن أذكرهم أيضاً باكياً، وهم أعداء صليب المسيح الذين نهايتهم الهلاك، الذين إلههم بطنهم، ومجدهم فى خزيهم، الذين يفتكرون فى الأرضيات» (فيلبى ٣: ١٨ـ١٩).

ما هى المشكلة الأساسيّة لدى هؤلاء؟ هم ليسوا أعداء للمسيح لكنهم أعداء لصليبه. هم يريدون كل شىء يمكن أن ينالوه من الرب يسوع، باستثناء شىء واحد لا يريدونه وهو عمل الصليب فى حياتهم. لاحظ ما يقوله بولس: **«الذين إلههم بطنهم»** ألا ينطبق هذا على بعض المؤمنين. هو يقول أيضاً: **«ومجدهم فى خزيهم»**. حيث يفتخر بعض المؤمنين بأشياء كان جديراً بهم أن يخجلوا منها. الجزء الأخير من الآية (١٩) يلخص حالة مثل هؤلاء: **«الذين يفتكرون فى الأرضيات»**.

وما هى النتيجة؟ إنّهم يتّجهون إلى الهلاك. هذه كلمة صعبة، فالهلاك أبدى. ليساعدنا الله، ويحررنا من نظام هذا العالم.

التوبـــة:

هناك طريق واحد فقط للخروج من نظام العالم هو التوبة. إنها كلمة قديمة سقطت من القاموس الدّينى لكثيرين منا. تذكر التحذير الذى قاله يوحنا المعمدان وهو يعد الطريق للرّب:

«توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات» (متّى ٣: ٢).

تذكر أن هدف الله من البشارة هو أن يعلن مملكته، فما هو أوّل مطلب لدخول الملكوت؟ إنه التوبة.

حين بدأ الرب يسوع خدمته، مدح يوحنَا المعمدان بأفضل الكلمات، واستخدم نفس

الجملة التى قالها يوحنا سابقاً:

« ... ابتدأ الرب يسوع يكرز ويقول: توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات» (متّى ٤: ١٧).

أن تتوب يعنى أن تعلن الآتى: أنا أتنازل عن تمردى، فلن أضع قيمى ومقاييسى الشخصية أولاً، ولن أفعل الأشياء بطريقتى أنا أو أفكر كما أريد، ولكنى أتحوّل عن كل هذا، وأعلن خضوعى بدون تحفظ للحاكم البار الذى عيّنه الله، وهو الرب يسوع المسيح.

الإيمـــــان:

بعد التوبة يأتى الإيمان. يبذل كثير من الناس جهداً عظيماً فى سبيل الإيمان، لكنهم لا يؤمنون! وذلك بسبب عدم وجود التوبة لديهم. الإيمان الكتابى الحقيقى اللازم للخلاص لا يمكن فصله عن التوبة.

تحوَّلْ إذاً عن التمرد، وتعال إلى الملكوت خاضعاً للملك هذه هى التوبة الحقيقية، وبهذه الطريقة نحصل على التحرير من نظام العالم.

الجـزء الـرابع

كيف ننال ما أعدّه الله لنا

الفصل السادس عشر

من الأمور الشرعية إلى الإختبارية

سنتحدث فى الفصول الثلاثة الأخيرة عن بعض الإرشادات العمليَّة للحصول على ما أعدّه الله لنا من خلال الكفَّارة. ولكن قبل ذلك سنلخص الموضوعين الرئيسيين اللذين غطيناهما فى الفصول السابقة.

قمنا فى البداية بتحليل جوانب المبادلة التسعة التى حصلنا عليها حين مات الرب يسوع على الصليب:

١ . عُوقب الرب يسوع لكى يُغفر لنا.

٢ . جُرح الرب يسوع لكى نُشفى.

٣ . جُعِل الرب يسوع خطيّة بخطيتنا لكى نتبرر نحن ببره.

٤ . مات الرب يسوع موتنا لكى نقبل نحن حياته.

٥ . حُسِب الرب يسوع لعنة لكى ننال البركة.

٦ . تحمّل الرب يسوع فقرنا لكى نشاركه فى فيض غناه.

٧ . تحمّل الرب يسوع خزينا لكى نشاركه فى مجده.

٨ . تحمل الرب يسوع رفضنا لكى نحظى بالقبول عند الآب مثله.

٩ . مات إنساننا العتيق فى الرب يسوع لكى يحيا الإنسان الجديد فينا.

وأنا أشجعك أن تحفظ هذه المبادلات فى ذاكرتك، فهى عمل الصليب الحيوى التى يجب أن تشكل وتحدد كل حياتنا.

ثم تحدثنا عن خمسة جوانب للتحرير، يمكننا أن ننالها من خلال تطبيق عمل الصليب في حياتنا، وهذه الجوانب موجودة فى رسالة غلاطية. فمن خلال الصليب ننال:

١ . التحرير من هذا الدّهر الحاضر الشرير.

٢ . التحرير من الناموس.

٣ . التحرير من الذّات.

٤ . التحرير من الجسد.

٥ . التحرير من العالم.

كل هذا عمله الله. لكن لا يمكن أن يتغير فينا شيء حتى نعرف كيف ننال هذه الأمور، وهذا هو موضوعنا فى بقيّة هذا الكتاب.

ولكن دعنى أضيف أنك لو أخفقت فى الحصول على ما أعدّه الله لك، فليس السبب صعوبة المسالة، بل لأنها بسيطة جداً، فليس هناك شيء معقد فى خطة الله لتقديم خلاصه.

المثال المذكور فى سفر يشوع:

يحتوى سفر يشوع على نموذج رائع لنا حتى نتبعه. لقد أعطى الله يشوع مسؤولية كبيرة هى أن يقود بنى إسرائيل إلى أرض كنعان بعد موت موسى. بالطبع كان من الصعب أخذ مكان موسى، وهذا ما قاله الرب ليشوع:

«**مُوسى عبدى قد مات. فالآن قُم اعبر هذا الأردن أنت وكل هذا الشعب إلى الأرض التى أنا مُعطيها لهُم** (أى لبنى إسرائيل.) **كل موضع تدوسه بطون أقدامكم لكم أعطيته، كما كلَّمت موسى**» (يشوع ١ : ٢ـ٣).

ويتضمن وعد الله زمنين مختلفتين للفعل. ففى الآية (٢) يقول «**أنا معطيها**» بينما يقول فى الآية (٣) « ...**لكم أعطيته**». ونحن نعلم أن الرب هو من أعد كل شيء فى السماء وعلى الأرض: «**للرّب الأرض وملؤها، المسكونة والساكنين فيها**» (مزمور ٢٤ : ١).

وحين يقول الرب إنه يعطى شيئاً ما، فهذا أكيد، ولا جدال فيه. فالرّب يقول: «**الأرض التى أنا معطيها لهم**»، ثم يقول: «... **لكم أعطيته**». فمن تلك اللحظة أصبحت كل أرض كنعان لبنى إسرائيل من الناحية الشرعية القانونية، ولكن من ناحية الإختبارية، لم يختبر الشعب أكثر مما كان لهم قبل أن يتكلّم الرب بذلك.

كان يمكن أن يكون لدى بنى إسرائيل ردا فعلٍ خاطئين: الأول الخوف. قال الرب إنه أعطانا كل الأرض، ولكن ليس لدينا الآن أى شىء زيادة على ما كنا نمتلك. ورد الفعل الثانى هو التسليم الافتراضى بالأمر، وهذا هو النقيض التام للخوف، فيصطف الشعب على الضفّة الشرقية من نهر الأردن ناظرين نحو الغرب، ويقولون وأياديهم مطوية: «كل الأرض لنا» أو ربما يكونون أكثر مغامرة فيعبرون الأردن ويصطفون على الضفة الغربية وينظرون إلى الأرض ويقفون مكتوفى الأيدى ويقولون :«كل الأرض لنا». هم محقون من الناحية الشرعية، ولكن فى مجال الاختبار الفعلى هم مخطئون، فالكنعانيون فى ذلك الوقت كانوا يعلمون من الذى يمتلك الأرض بالفعل.

التطبيق على الكنيسة:

أحياناً كثيرة يكون هذا هو حال الكنيسة، فبصرف النظر عن الضفة التى نقف عليها، فقد ننظر إلى أرض الميعاد ونقول: «كلها لنا» وهذا صحيح من الناحية الشرعية، ولكن من ناحية الإختبار العملى فنحن مخطئون. سمعت أحدهم يقول: «لقد نلت كل شىء عندما خلصت» ولكن جوابى على هذا الكلام: «إن كنت قد نلت كل شىء، فأين هو؟ أظهره فنراه» قد يكون ما يُقال صحيحاً تماماً من الناحية القانونية الشرعية فقط. حين نولد ولادة ثانية نكون ورثة الله، و وارثون مع يسوع المسيح، وكل ما هو للمسيح هو لنا. لكن هناك فرق كبير بين ما هو شرعى وما هو اختبارى، فنحن لم نمتلك بعد كل شىء.

من الناحية القانونية، كل شىء عمله الرب يسوع على الصليب هو لنا، وقد تم بالفعل إعداده وتجهيزه. لكن من الناحية الاختباريه لم نحصل على كل شىء أعدّه الرب يسوع لنا، وأنا أشك

أن أحداً ما قد حصل عملياً على كل شيء وفرّه لنا الرب يسوع من خلال موته على الصليب.

أحد الآيات التى تأملنا فيها فى الفصل الأول تقول: «**لأنه بقربان واحد قد أكمل إلى الآبد المقدّسين**» (عبرانيين ١٠: ١٤). الصليب هو القربان الواحد. والله يقول: «**لكم أعطيته**». لكن التقديس هو مثل عبور النهر، فعلينا أن نسير باتجاه الأرض ونمتلكها.

نقاتل حتى ننال:

أجرى الله معجزتين رائعتين ليحضر بنى إسرائيل إلى أرض الميعاد: شَق نهر الأردن حتى يعبر الشعب، وأسقط أسوار أريحا. لكن من ذلك الوقت فصاعداً كان على الشعب أن يقاتل لكى يحصل على ما أعدّه له الله، وهذا أيضاً صحيح فى الحياة المسيحيّة. **سيُجرى الله بعض المعجزات ليدخلك فى مواعيده، لكن بعد ذلك لن تنال إلا ما تحارب لأجله. فإن لم تفعل، فلن تنال.**

تاريخياً، لم يمتلك بنو إسرائيل كل الأرض فى ذلك الوقت، لكنهم تعايشوا مع الغرباء، فكانت الكارثة، وهذه هى صورة الكنيسة، فهى تحاول النمو والانتصار، وفى نفس الوقت تتعايش مع قوى معادية لا ينبغى أن تكون موجودة.

إن دخول يشوع وبنى إسرائيل إلى ميراثهم هو نموذج لك ولى، فلا تقف مكتوفى الأيدى وتقول: «كلها لى» وأنت مقيد بالإحباط والخيبة، ولا تخاف إذا وجدت نفسك منخرطاً فى معارك رهيبة، فهذا جزء من عملية امتلاك المواعيد.

استعادة ميراثنا:

يقدّم لنا سفر عوبديا، وهو أحد اقصر الكتب النبويّة، رسالة قويّة عن استعادتنا لميراثنا. تتحدث الآية (١٧) عن إحياء وتعويض بنى إسرائيل فى نهاية هذا الدهر. ومع أن قوّة النبوّة ما زالت تحتاج لمزيد من الوقت حتى تتم، إلا أنها فى حيز التنفيذ:

«وأمّا جبل صهيون فتكون عليه نجاة، ويكون مقدّساً، ويرث بيت يعقوب مواريثهم» (عوبديا ١٧).

لاحظ هذه النقاط الثلاث القاطعة: **تكون عليه نجاة، يكون مقدّساً، يرث شعب الله مواريثهم**. فمن الممكن أن يكون هناك مواريث لم ترثها بعد. هذه هى إذاً الخطوات بترتيبها البسيط وهى التى يستعيد بها شعب الله مواريثهم. لقد خسر اليهود كثيراً بسبب عدم الطاعة، فأُبعدوا لفترة تقارب التسعة عشر قرناً عن ميراثهم المُعطى لهم من الله، وهم يعودون إلى مواعيد الله فى الوقت المعيّن.

هذا لا ينطبق فقط على بنى إسرائيل، بل أيضاً على شعب العهد الآخر، وهو الكنيسة، فقد أُبعدت الكنيسة عن الميراث الذى أعطاها إيّاه الله فى المسيح لمدة تقارب فترة إبعاد بنى إسرائيل. قارن صورة الكنيسة فى سفر أعمال الرسل بالكنيسة الموجودة عبر القرون، فستتفق معى على وجود تطابق ما بين تاريخ بنى إسرائيل وتاريخ الكنيسة. الكنيسة اليوم أمام تحدٍّ كبير لكى تعود هى أيضاً إلى ميراثها الرّوحى فى المسيح، والخطوات نحو ذلك هى نفسها؛ التحرير، القداسة، ثم نرث ميراثنا.

تحدثنا فى الجزء السابق من هذا الكتاب عن خمسة جوانب للتحرير، وقد أعدنا ذكرها فى بداية هذا الفصل، وهى كما قلنا مذكورة فى رسالة غلاطية. هذه الجوانب الخمسة للتحرير مهمة وأساسيّة إن أراد شعب الله أن يسترد ميراثه.

لا يمكننا أبداً استعادة ميراثنا بدون القداسة، تذكر ما تقوله الرسالة فى (عبرانيين ١٠ : ١٤):

«لأنّه بقربان واحد قد أكمل إلى الأبد المقدّسين».

فبينما ننمو فى القداسة، نعود لنمتلك ميراثنا بالتدريج.

ما الذى يتضمنه الإيمان :

الآن نأتى إلى هذا الجانب العملى: كيف ننال ما هو مُعد لنا فى الصليب؟

أوّل شىء يجب أن نؤكِّد عليه هو الإيمان.

« ... بدون أيمان لا يمكن إرضاؤه. لأنه يجب أن الذى يأتى إلى الله يؤمن بأنه موجود وأنه يجازى (يكافئ) الذين يطلبونه (باجتهاد)» (عبرانيين ١١ : ٦).

من غير المجدى محاولة إرضاء الله بدون إيمان، فهذا مستحيل، بماذا يجب أن نؤمن؟ بحسب (عبرانيين ١١ : ٦) يجب أن نؤمن بشيئين يختصان بالله: «**بأنه موجود وأنه يجازى (يكافئ) الذين يطلبونه**».

أغلب الناس يؤمنون بأن الله موجود، ولكن هذا لا يكفى. عليهم أن يؤمنوا بأنهم إذا طلبوه (باجتهاد) فهو سيجازيهم، فالإيمان شىء أساسى، ولكن يوجد شىء آخر أساسى وهو الاجتهاد.

افحص كل الكتاب المقدّس بتفصيل لترى إن كان يقول أى شىء جيّد عن الكسل. الكتاب المقدّس ليس فيه أى كلمة مديح ليقولها عن الكسل! فصحيح أن الكتاب يدين السّكر، إلا أنه يدين الكسل بدرجة أقسى. لقد فسدت كثير من قيمنا فى الكنيسة لأننا ندين الناس الذين يسكرون ونتسامح مع الكسالى.

ليس الإيمان وحده ضرورى، ولكن الاجتهاد أيضاً، فليس لدى الله أى مكافأة للكسل. هذا يتطلّب منا أن نرتب أولوياتنا، ونحتاج أن نؤمن أنه إذا طلبناه باجتهاد فسنكافأ.

تأتى أوقات حيث تكون متأكداً فيها أنّك تطلب الله بكل اجتهاد، ولا يظهر فيها أنّك تنال أيّة مكافأة، وأنا متأكد أنى لست الوحيد الذى مر فى هذه الأوقات، وهنا عليك أن تتمسّك بإيمانك، فالآية السابقة تقول إنه يكافئ الذين يطلبونه باجتهاد، فسواء رأيتها أو شعرت بها أم لا، ومهما حدث، فمكافأتك أكيدة. قد لا تنالها فى الوقت الذى تتوقعه، وقد لا تأتى بالطريقة التى تنتظرها، لكنها أكيده. الله «يجازى (يكافئ) الذين يطلبونه (باجتهاد)».

كيف تنال هذا الإيمان؟

وصفت سابقاً كيف كنت مريضاً راقداً فى مستشفى لمدة عامٍ كامل، وأنا أبحث عن الإيمان بلا أمل، وبعدها أعطانى الله هذه العبارة الكتابية الرائعة، وكم أشكر الله عليها، فقد كانت (رومية ١٠ : ١٧) بصيصاً من النور وسط ظلمتى القاتمة:

«**الإيمان بالخبر** (السماع) **والخبر** (السماع) **بكلمة الله**».

كانت هذه الآية هى الطريق الذى أخرجنى من المستشفى، وهى مازالت تنبض بالحياة بالنسبة لى.

ولكن لا يجب أن نبسط الآية أكثر من اللازم. قد يقول أحدهم إن الإيمان يأتى بسماع كلمة الله، ولكن ليس هذا ما يقوله بولس الرسول تماماً. يقول بولس إن ما يأتى من كلمة الله هو سماعها، وما يأتى من سماع الكلمة هو الإيمان، وهذا يعنى وجود مرحلتين، فحين تكشف نفسك أمام كلمة الله بقلب وذهن مفتوحين، فما يأتى أولاً هو السماع، أى إمكانية سماع ما يقوله الله، ثم يصبح ما تسمعه حقيقة بالنسبة لك، فينتج الإيمان من السماع.

أعطِ الله وقتاً :

المشكلة أن كثيرين منا لا يقضون الوقت اللازم للسماع حتى يتكون الإيمان. ينبغى أن تكشف نفسك أمام كلمة الله دون أن تضع حدوداً زمنية. هذه هى أحد الأشياء التى اكتشفتها أثناء مسيرتى مع الرب، أن لا أضع حدوداً زمنيّةً لله، فإذا بدأنا فى الصلاة ونحن نعلم أنه ليس أمامنا سوى نصف ساعة، فسنأخذ فقط ما يمكن أن نناله فى نصف ساعة. لكن الأمر سيكون مُختلفاً إذا أتينا إلى الله ولنا إتجاه مختلف وهو أننا نريد أن نسمع من الله دون أن نضع حدوداً زمنية.

إن الله لا يوفِّر إيماناً فورياً لكننا اعتدنا أن نعمل مفترضين أن الله يتعامل مع الأمور بهذه الطريقة. فكثير من الناس فى الكنائس يتعاملون مع الله وكأنه آلة بيع سماويّة! فعليك أن تجد قطعة النقود المعدنية الملائمة، فتضعها فى المكان المناسب فى الآلة لتحصل على

المشروب الذى تريد! ليس الله هكذا، فهو ليس آلة، إنه شخص. عليك أن تتعامل معه بطريقة شخصيّة حتى تحصل على النتائج.

لهذا أقترح عليك أن تعطى وقتاً أكثر مما يفعله المؤمنون هذه الأيام، وذلك لكى تسمع ما يقوله لك الله من خلال كلمته فى الكتاب المقدّس إن لم تعطى وقتاً للسماع يكون كل ما تفعله هو أنك تقرأ الكتاب المقدس، ولا يأتى الإيمان بقراءة الكتاب، بل يأتى بسماع الله من خلال كلمته، فالسماع أولاً، ثم الإيمان.

د ع الله يكلمك:

كلمة «كلمه» الموجودة فى (رومية ١٠ : ١٧) هى «ريما» «rhema» فى الأصل اليونانى. هذه الكلمة لا تعنى كلمة الله الثابتة إلى الأبد فى السماء، فلتلك الكلمة لفظ آخر هو «لوجوس» «logos». تشير «ريما» إلى الكلمة التى يعطيك إياها الله فى لحظة معينة، وقد استخدم الرب يسوع هذه الكلمة فى (متّى ٤ : ٤) عندما قال: «**مكتوب ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان، بل بكل كلمة تخرج من فم الله**».

نحن لا نحيا بكلمات مطبوعة فى مجلد إسمه الكتاب المقدّس، ولكن ــ إذا جاز التعبير ــ نحن نحيا بكلمات تصبح حقيقية وشخصية لنا فى أى لحظة من خلال الروح القدس. يتكون الكتاب المقدّس من صفحات بيضاء عليها رموز وإشارات سوداء تسمّى الحروف. هذه العلامات السوداء لا تفيدنا بشىء. لكن ما يحوّلها إلى مصدر ينتج الإيمان هو الروح القدس الذى يجعل كلمة الله حيّة، وبهذا تصبح الكلمة «rhema».

خلال الأشهر الأولى لى فى الجيش البريطانى، عندما بدأت أدرس الكتاب المقدّس، كنت أشعر أن من واجبى كأستاذ للفلسفة، أن أعرف ما يجب أن يقوله الكتاب المقدّس، ولم أجد فيه شىء مثيراً وجذاب. لكنى ببساطة شعرت أنه لا يمكننى أن أتحدث بثقة وسلطان عن الكتاب المقدّس إذا لم أعرف ما يقوله. كانت قراءته مُتعبة ومملّة! ولم يجعلنى استمر فى القراءة سوى تصميمى على ذلك.

وكنت أقول: «لا يوجد أى كتاب يستطيع أن يغلبنى، سأنطلق من بدايته وأقرأه حتى النهاية».

بعد تسعة أشهر، ألتقيت بطريقة قويّة مع الرب يسوع فى منتصف إحدى الليالى. لم يكن ذلك قراراً فكرياً فقط بل اختباراً عمليّاً. فى الليلة التالية لهذا الاختبار، أمسكت بالكتاب المقدّس فكان مختلفاً تماماً! كان الأمر كما لو أنه لا يوجد سوى شخصين فى الكون: الله، وأنا! وأصبح الكتاب المقدّس بالنسبة لى هو صوت الله الذى يتحدث إلىَّ بصورة شخصيّة، وكان هذا شيئاً مُثيراً.

من هنا يجب أن يبدأ كل واحد منا. فمهما كلَّفك الأمر لا تتوقف عن العلاقة الشخصيّة بالله التى تجعل كلمته تتحدث إليك بصورة شخصية وعليك أولاً أن تُعد نفسك لسماع ما يكلمك به الله، ومن خلال السماع يأتى الإيمان.

كيفية قراءة الكتاب المقدّس:

سأقدّم هنا اقتراحين فى كيفيّة فهم النصوص الكتابية:

١- إقرأها ككلمة الله:

يعبر بولس عن افتخارة بمسيحى تسالونيكى، فيقول إنهم كانوا مثالاً للمؤمنين الآخرين، ويذكر السبب فى نجاحهم هذا فى (١تسالونيكى ٢: ١٣):

«لأنّكم إذ تسلمتم منا كلمة خبر من الله قبلتموها لا ككلمة أناس بل كما هى بالحقيقة ككلمة الله التى تعمل أيضاً فيكم أنتم المؤمنين».

حين تقبل النصوص الكتابية، ليس ككلمة من أشخاص، ولا تقرأها كما تقرأ كتابات وأعمال الحكمة البشرية الأخرى، بل ككلمه الله التى فيها الله نفسه يتحدث إليك، فستعمل عملها فيك. حين تفتح قلبك بالإيمان لكلمة الله، فستعمل فيك ما قاله الله أنها تعمله، كما هو مكتوب **«كما هى بالحقيقة ككلمة الله، التى تعمل أيضاً فيكم أنتم المؤمنين»**.

٢ـ بوداعـــــة :

مطلب آخر لقراءة الكتاب المقدّس نجده فى رسالة يعقوب:

«لذلك اطرحوا كل نجاسة وكثرة شر، فاقبلوا بوداعة الكلمة المغروسة القادرة أن تخلّص نفوسكم» (يعقوب ١ : ٢١).

ما معنى أن نقبل كلمة الله بوداعة؟ معنى هذا أن نسلّم أن الله هو المعلِّم ونحن التلاميذ، فنحن لا نرشد الله كيف يجب أن يسيّر الكون، ولا نعلّمه كيف يجب أن يقود حياتنا، ولكن بكل اتضاع نسمح له بأن يُعلّمنا.

توصلت موخراً لهذا التعريف للإيمان وهو بسيط جداً: الإيمان هو التعامل مع الله بجديّة، فقراءة الكتاب المقدّس بإيمان هى أن نأخذ كل شىء يقوله الله باهتمام وجديّة، فحين يقول الله «افعل هذا» نفعل نحن ما يقول.

وهذا مثال لتوضيح على ما أقول، إن تمسّكت به، فسيغيّر حياتك.

يقول الرسول فى (١تسالونيكى ٥ : ١٨):

«اشكروا فى كل شىء. لأن هذه هى مشيئة الله فى المسيح الرب يسوع من جهتكم» ما هى الأشياء التى يجب أن نشكر الله فيها؟ كل شىء. هل تؤمن بهذا؟ هل تأخذ هذا الأمر بجديّة؟ هل تطبق هذا الشىء؟

حين ترتدى ملابسك، اشكر الله عليها متذكّراً أنه يوجد أناس كثيرون ليس لديهم ما يلبسون. ماذا تفعل حين تنتعل حذائك؟ كثيرون فى العالم ليس لديهم أحذية. حين تركب سيارتك، اشكر الله على سيارتك، وحين تقود السّيارة على الطريق السّريع، اشكر الله من أجل الطريق، حتى لو كان مزدحماً بالسّيارات، فقد تكلف بناؤه الكثير من المال والعمالة. لا تأخذ الأمور على أنها تحصيل حاصل.

بكلمات أخرى، لا تشكر الله فقط بطريقة متقطعة حين يخطر الأمر على بالك، ولكن اجعل منها عادةً أن تشكر الله فى كل شىء، وهذا سيُغيرك.

هذا مثال لِما يعنيه الكتاب المقدّس بأن نقبل كلمة الله بوداعة. قد تقول «لا يبدو هذا لى معقولاً، فقد دفعت ثمن ثيابى وثمن حذائى وثمن سيّارتى» لا، اقبل كلمة الله بوداعة. قل: «حسناً يا رب، تقول كلمتك بأن نشكرك، ولهذا فسأشكرك على كل الأشياء».

الانتقال من الشرعى إلى الاختبارى:

سننهى هذا الفصل بمُلخص عن كيفية الانتقال من ما هو شرعى فقط إلى الاختبار العملى، وذلك يتم بتطبيق كلمة الله. يقول الرب يسوع:

«**اطلبوا أولاً ملكوت الله وبرّه وهذه كلها تزاد لكم**» (متّى ٦: ٣٣).

أعطِ الله وكلمته الأولوية على كل شىء آخر فى حياتك. اطلب الله وكلمته أولاً. تذكر أن تقضى وقتاً مع الكلمة التى تبنى إيمانك. اقبل النصوص الكتابية ككلمة خاصة من الله لك. اقبل كلمة الله بوداعة، وبطاعة كاملة لما تأمرك به.

دع هذه الأمور تأخذ الأولوية فوق كل شىء آخر فى حياتك، وحين تنظّم أولوياتك وتتجه نحو الله وكلمته، فأنت تسمح للإيمان بأن يأتى، وتكون فى طريقك لتنال ما أعدّه الله لك، وعندها يصبح ما أعده الرب يسوع بموته على الصليب حقيقياً فى حياتك.

الفصل السابع عشر

مرشدنا الشخصى للخلاص الشامل

قلنا سابقاً إن ذبيحة الرب يسوع على الصليب تقدّم لنا كل شيء نحتاجه الآن وفى الأبدية، وهى متاحة لكل مؤمن. وقلنا إن هذه الذبيحة كاملة ولكننا ننال ما نحتاجه منها بشكل تدريجى. كيف ننال كل ما أعده الله لنا فى ذبيحة الرب يسوع على الصليب؟

أشرنا فى الفصل الماضى إلى المطلب الأول الأساسى وهو الإيمان، فمن يأتى إلى الله ينبغى أن يؤمن، فالإيمان ليس خيارا، وبحسب (عبرانيين ١١ : ٦) عليك أن تؤمن بأن الله موجود وأنه يجازى (يكافئ) الذين يطلبونه (باجتهاد).

سندرس فى هذا الفصل مطلبا آخر، وهو أن نرتبط بالروح القدس، فالروح القدس يرشدنا لنحصل على كل ما هو مقدم لنا فى كفارة المسيح، وهو سيقودك بطريقة شخصيّة لتنال كل ما تحتاجه.

لا يعنى الخلاص فقط حصولنا على غفران الخطايا، مع أن هذا جانب أساسى منه، ونشكر الله من أجله، لكن الخلاص هو كل ما يتيحه الله لشعبه من خلال ذبيحة الرب يسوع.

تحدثنا فى الفصل الرابع عن كلمة «sozoy» اليونانيه، والتى تترجم عادة إلى «خلاص» وأشرنا أيضاً إلى أن كلمة «sozoy» تستخدم فى الكتاب المقدس للحديث عن شفاء الأمراض، وتحرير الناس من الأرواح الشريرة، وكذلك عند إقامة الموتى و عند الحديث عن حفظ شعب الله، فهذه الكلمة تصف كل هذه البركات. لذلك فتعريفنا للخلاص يغطى كل شيء قد أعدّه الله لنا روحياً وجسدياً وعاطفياً وماديّاً، فى كل وقت و فى الأبدية، وكل

هذا من خلال ذبيحة الرب يسوع على الصليب.

الولادة الثانية هى اختبار يحدث مرّة واحدة، وهذا الاختبار يضعنا فى بداية طريق الخلاص، وخلاصنا هو اختبار تدريجى متواصل علينا أن نسير خلاله لنكتشف أبعاده ونمتلكه، فالخلاص مثل أرض كنعان التى كان على بنى إسرائيل أن يمتلكوها على مراحل.

نجد فى (مزمور ٧٨) أن الخلاص يغطى كل شىء عمله الله لشعبه من مصر وحتى أرض الموعد، وهو يشمل جميع أعمال الرحمة والبركة وجميع العطايا التى قدمها الله لهم. يتضمن ذلك تحريرهم من أرض مصر، وعبورهم البحر الأحمر، ومسيرة الله معهم فى السحابة، وإطعامهم المن ، وتزويدهم بالماء من الصخرة، وحقيقة أن ثيابهم وأحذيتهم لم تبلى، وطرد الأمم من أمامهم. كل هذا وأكثر يُجمع فى كلمة واحدة وهى «الخلاص».

لكن بنى إسرائيل كانوا غير مؤمنين، وغير مطيعين، بل جرّبوا الله، أى «**تذمروا على الله**» (الآية ١٩ـ كتاب الحياة).

«**لذلك سمعَ الرب فغضبَ، واشتعلت نارٌ فى يعقوب، وسخطٌ أيضاً صعد على إسرائيل، لأنهم لم يؤمنوا بالله ولم يتّكلوا على خلاصه**» (الآيات ٢١ـ٢٢).

ماذا كانت مشكلة بنى إسرائيل الأساسية؟ أنهم لم يؤمنوا بالله ولم يثقوا بخلاصه الكامل، وواضح من هذه الآيات أن عدم الإيمان يغضب الله.

هل تنطبق هذه المشكلة على الكنيسة؟ نعم، نحن لا نؤمن بالله كما يريد منا أن نؤمن. ونحن لا نثق فى أنه يسدّد احتياجاتنا بالكامل، لكن الله يريدنا أن نثق به فى كل شىء.

يعلن الله فى (رومية ٨: ٣٢) أن ما يهبه لنا يشمل «**كل شىء**» وهذه الآية تشبه «شيكاً على بياض» موقعاً من الله باسمك. لكن الله لم يكتب أى مبلغ عليه، وعليك أنت أن تكتب عليه احتياجاتك يوماً بعد يوم.

«الذى لم يُشفق على ابنه، بل بذله لأجلنا أجمعين، كيف لا يهبنا أيضاً معه كل شىء؟»

إن كان الله قد شاء فبذل الرب يسوع ليموت على الصليب، وهو أغلى وأعز ثروة فى الكون، وهو الشخص الألصق إلى قلب الله، فلا يمكن أن يوجد أى شىء آخر يمكن أن يمنعه الله عنا. لا تنسَ أنه بدون الرب يسوع ليس لنا الحق فى المطالبة بأى شىء من الله، بل إننا لا نستحق سوى الدينونة. لكن مع الرب يسوع وبسبب الرب يسوع، سيعطيك الله كل ما تحتاج. لست بحاجة لعمل أى شىء فوق ما تم عمله على الصليب. ولا يوجد أى ثمن تدفعه. فالله يعطيك كل شىء مجّاناً.

هذا هو خلاصنا الشامل، وهو يأتى من خلال الهبة المجانية: ذبيحة الرب يسوع على الصليب. لكن لا يمكننا الدخول إلى هذا الخلاص الشامل إلى أن ندرك الدور الذى يلعبه الروح القدس.

ماذا يفعل الروح القدس؟

يُقسم الجنس فى اللغة اليونانية إلى ثلاث فئات: المذكر، والمؤنث، والمحايد. الكلمة اليونانية التى تعنى «روح» هى «pneuma» وتعنى «ريح» أو «نَفَس» أو «روح» وهى كلمة محايدة، أى من الفئة الثالثة، ورغم أن لهذه الفئة ضميراً خاصاً بها فى اللغة اليونانية (مثل الضمير it فى الإنجليزية) إلا أن الرب يسوع حين تحدّث عن الروح القدس فى (يوحنا ١٦ : ١٣) استخدم ضمير الغائب العاقل «هو» بقوله: «**وأمَّا متى جاء ذاك، روح الحقِّ فهو يرشدكم**» ... ولم يستخدم الضمير الخاص بالكلمات المحايدة.

لقد كُسرت فى هذه الفقرة قواعد اللغة. لكن الرب يسوع فعل هذا ليؤكد أنه على الرغم من الاستخدام المعتاد للقواعد، فالروح القدس ليس مجرّد شىء لكنه شخص، فالروح القدس هو شخص تماماً كالله الآب والله الابن.

أحد مفاتيح النجاح فى الحياة المسيحيّة هو أن تتعلّم كيف تتعامل مع الروح القدس كشخص، فإذا دعونا الروح القدس وفقاً للشروط الكتابية، فسيأتى إلينا الروح القدس كشخص. لابد لنا أن نتعامل ونتصل بشخص الروح القدس ونقيم علاقة صداقة به، فهو شخص رائع لتُصادقه.

ما الذى يفعله الروح القدس ليساعدنا لننال ما أعدّه الله لنا فى كفارة المسيح؟

يدير شؤون الخلاص:

الروح القدس هو المدير الوحيد لشؤون الخلاص، وهو يحمل مفاتيح المستودعات لجميع الهبات والعطايا الإلهية، وهو يفتح خزانة الكنوز الإلهية، ويعطينا ما نحتاج إليه. ومع هذا، نرى أن الكنيسة قد أهملت شخصه بشكل كبير، وحتى الخمسينيون والكاريزماتيون الذين يتحدثون كثيراً عن الروح القدس، كثيراً ما يهملونه أيضاً.

إن أردت أن تأخذ ميراثك وتنال ما أعدّه الله لك، أقم صداقة مع الروح القدس. كان الرب يسوع فى (يوحنا ١٦) يستعد لترك تلاميذه، وكان يعدّهم للأيّام القادمة حين قال:

«**لكنى أقول لكم الحق إنه خيرٌ لكم أن أنطلق. لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزِّى. ولكن إن ذهبت أرسله إليكم**» (الآية ٧).

لاحظ أن الرب يسوع كان يتحدث عن مُبادلة شخص بآخر، فكأنه يقول: «أنا سأعود إلى السماء، لكنى سأرسل لكم شخصاً آخر ليكون مكانى» وقد قال الرب يسوع شيئاً مدهشاً حقّاً: «**خيرٌ لكم أن أنطلق**» وبكلمات أخرى: «أن أكون فى السماء ويكون الروح القدس على الأرض، أفضل من حالكم وأنا معكم على الأرض والروح القدس فى السماء».

كثير من المسيحيّين لا يدركون هذا الأمر. نفكّر كثيراً أنه من الرائع لو عشنا فى أيام المسيح حين كان على الأرض مع تلاميذه. نعم هذا رائع لكن الرب يسوع بيّن أن تلك المرحلة هى مرحلة انتقالية، وكأنه يقول: «خير لكم أن أترككم ويأخذ الروح القدس مكانى على الأرض، فمن السماء سأكون قادراً من خلال الروح القدس أن أعمل فى كل مكان على الأرض وفى نفس الوقت دون أن يحددنى الجسد المادى، ولهذا فخير لكم أن أنطلق».

يرشدنا إلى الحق ويشير إلى الرب يسوع:

يتابع الرب يسوع فيقول: «**وأمَّا متى جاء ذاك، روح الحقِّ، فهو يرشدكم إلى جميع الحقِّ لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية**» (يوحنا ١٦: ١٣).

الروح القدس هو أقل شخص فى العالم يجذب الانتباه نحو نفسه، ولهذا السبب، فنحن نميل إلى تجاهله. قال الرب يسوع إن الروح القدس لن يتكلم من نفسه، بل سيتكلم فقط بما يسمع من الآب والابن. لمن يجذب الروح القدس الانتباه؟ إلى الرب يسوع، فقد قال الرب يسوع عنه: «**ذاك يمجدنى**» (يوحنا ١٦: ١٤).

من أفضل الاختبارات لفحص إن كان شيء ما من الروح القدس، ليس مقدار الضجيج الذى يصدره، بل إن كان يمجِّد الرب يسوع أم لا. إذا كان الشيء يمجِّد بشراً أو يركّز على عقيدة أو طائفة، فليس هذا من عمل الروح القدس، فالروح القدس لا يمجد هذه الأشياء، فهو لايمجد إلا الرب يسوع.

وإذا أردنا أن نجذب الروح القدس، وهذا عمل من الرائع أن نفعله، فيجب أن نأخذ وقتاً فى تسبيح اسم الرب يسوع. حينئذ يقول الروح القدس لنفسه: «هذا ما أحب أن أسمعه، لذلك سأذهب وأقضى بعض الوقت مع هؤلاء الناس».

من المهم أن نتعلّم ما يحبه الروح القدس لكى نفى بمتطلباته.

يساعدنا حتى نميّز الحق :

الروح القدس يرشدنا إلى كل الحق. ليس هذا فقط، لكنه المرشد الوحيد الموثوق به. كتب يوحنا إلى الكنيسة الأولى: «**وأما أنتم فلكم مسحة من القدوس، وتعلمون كل شىء**» (١يوحنا ٢ : ٢٠)، وهو يشير هنا إلى الروح القدس. يا ليت شعب الله فى هذه الأيام لديهم هذه المسحة حتى يميزوا الفرق بين الصواب والخطأ. فالمؤمنون «الممتلؤون بالروح القدس» هم الأسهل انخداعاً، إذا لم يتعلموا كيف يميّزون بين الضجّة والجسدانية والتظاهر من جهة وبين ما يمجّد الرب يسوع من جهة أخرى.

انظر (يوحنا ١٦ : ١٤-١٥):

«**ذاك** (الروح القدس) **يمجدنى لأنه يأخذ ممَّا لى ويخبركم. كل ما للآب هو لى. لهذا قلت إنه يأخذ ممَّا لى ويخبركم**».

لاحظ فى هذه العبارة اتضاع الرب يسوع! فهو لم يرد أن يترك لدينا الانطباع بأنه المصدر الأساسى لكل شىء بمفرده، فهو يقول «هذه الأشياء هى لى فقط لأن الآب قد أعطانى إياها». يا له من مثال جميل لتمجيد الآخر! نعم، الروح القدس يمجِّد الرب يسوع، والرب يسوع يمجِّد الآب، ثم يشير الرب يسوع إلى الروح القدس ويقول حين يأتى الروح القدس، فسيأخذ مما لى ويعلنه أو يظهره أو يفعله لكم.

من هذا يظهر أن الروح القدس يحمل مفتاح مخزن الكنوز الإلهيّة. كل ما هو للآب وللابن، يُدار من الروح القدس. كثير من المؤمنين الذّين يدرسون العقيدة والتعاليم الكتابية لا يقيمون صداقة مع الروح القدس، لكن من الجدير بنا حقاً أن نقيم صداقة مع الروح القدس.

صورة كتابية:

لدينا فى الكنيسة محامٍ ومرشد رائع فى رحلة هذه الحياة الطويلة وهو الروح القدس. يعطينا (تكوين ٢٤) صورة جميلة عن دور الروح القدس القيادى، وذلك فى قصّة إبراهيم فى بحثه عن عروس لابنه إسحاق.

كان إبراهيم يصر على أن لا يأخذ لابنه عروساً من بنات كنعان. فى هذه القصة، وهو يعكس بهذا الصورة التقليديّة للرجل الشرقى الذى يقول: «يجب أن تكون العروس من عشيرتى» وهكذا يرسل هذا الشيخ الجليل خادمه إلى شعبه وأهله ـ عشيرة إبراهيم ـ حتى يجد الفتاة المناسبة ويحضرها معه.

يمثل إبراهيم فى هذه القصّة الله الآب، بينما يمثل إسحاق الرب يسوع المسيح، أمّا رفقة فتمثل الكنيسة. لكن هناك شخصيّة أخرى، وهى شخصية خادم إبراهيم الذى لم يذكر الكتاب اسمه فى هذه القصه، فهو يمثل الروح القدس. إن (تكوين ٢٤) صورة شخصيّة مكتوبة تمثَل الروح القدس، لكن دون أية إشارة إليه.

أخذ هذا الخادم الّذى لم يذكر اسمه عشرة جمال مُحمّلة بهدايا كثيرة، والجمال كما هو معروف فى الشرق الأوسط، تُحمّل بالكثير من الأحمال والمؤن. الأمر نفسه ينطبق على الروح القدس، فحين يأتى الروح، لا يأتى فارغ اليدين، بل يأتى ومعه عشرة جمال مُحمّلَة بالهدايا، فكم نكون أغبياء إذا لم نقم صداقةً معه!

حين وصل هذا الخادم إلى البئر، فى طريقه للبحث عن الفتاة المنُاسبة صلّى وقال: «**أيها الرَّب إله سيِّدى إبراهيم... ليكن أن الفتاة التى أقول لها: أميلى جرتك لأشرب، فتقول: اشرب وأنا أسقى جمالك أيضاً، هى التى عيّنتها لعبدك إسْحَاق**» (تكوين ٢٤: ١٢، ١٤)، قال هذا لأنه من الطبيعى أن أية فتاة كانت ستعرض عليه أن تسقيه هو.

ولأن هذا الخادم كان لديه عشرة جمال، والجمل الواحد يستطيع أن يشرب أربعين جالوناً من الماء، فقد كان على هذه الفتاة الشّابة أن تضخ من البئر ما يقرب من أربعمئة جالون من المياه! والفتاة التى تفعل مثل هذا الأمر، ليست فقط لطيفة وكريمة، لكن لديها عضلات قوية أيضاً! فيا لها من زوجة رائعة لإسحاق!

هذا يذكرنى بتعليق قاله أحد الشبّان فى أفريقيا، حيث كنت ولمدّة خمسة سنوات أُدرب بعض التلاميذ ليصبحوا معلمين. كنت أتجوَّل أحياناً مع تلاميذى وأسالهم بعض الأسئلة. فى إحدى المرّات سألت هذا الشاب وقلت: «قُل لى، ما مواصفات الفتاة التى ترغب فى الزواج منها؟» فأجابنى بدون تردد: «يجب أن تكون سمراء وقويّة» لا أعلم تماماً ماذا كان لون بشرة رفقة، ولكن أستطيع أن أؤكد لك أنّها لم تكن شقراء، ولكن بالتأكيد كانت فتاةً قويّة.

أثناء وقوف هذا الخادم بجانب البئر، تأتى امرأة شابّة، فيطلب أن يشرب قليلاً من الماء، فتعطيه وتبادر فتعرض أن تسقى جماله أيضاً. يا لها من صورة جميلة للكنيسة! فلَم يصوّر الكتاب المقدّس الكنيسة بامرأة رقيقة تجلس فى المقعد الأمامى وترنم الترانيم، بل هى امرأة لها عضلات قويّة، مُعدّة للعمل ولتقديم حياتها.

يقول الخادم فى نفسه هذه هى الفتاة، وبعد أن قابل هذا الخادم عائلة رفقة، وأخبرهم عن رغبة إبراهيم بأن يجد زوجة لابنه، يوجّه الأهل هذا السؤال لرفقة: «هل تذهبين مع هذا الرّجل؟» فتقرر مصيرها وتقول: «**أذهب**» (الآية ٥٨).

هذا هو الإيمان، فالمدَة التى عرفت فيها رفقة هذا الخادم تقل عن يوم واحد، لكنها تقرر الخروج معه فى رحلة طويلة خطرة ليكون مرشدها والمحامى الوحيد عنها، ونحن كذلك ككنيسة، نسير فى رحلة طويلة وخطرة، فى طريقنا للقاء عريسنا، ولكن فى رحلتنا هذه لدينا محامٍ ومرشد رائع وهو الروح القدس.

الأكثر من ذلك، لم تكن رفقة قد شاهدت من قبل ذلك الرجل الذى ستتزوجه. كل ما كانت تعرفه عن إسحاق هو ما أخبرها به هذا الخادم، وكل شىء يمكننا أن نعرفه عن الرب يسوع ـ إلى أن نلاقيه ـ نتعلّمه من الروح القدس. لهذا فنحن نخسر ونفقد الكثير حين لا ننمّى علاقة عميقة وحميمة بالروح القدس.

اعتمد على الروح فى الخدمة:

(رومية ٨: ١٤) التى سبق أن تأملنا بها، هى آية مهمة جداً لهؤلاء الذّين يرغبون فى إعداد نفوسهم للخدمة فى جسد المسيح:

«لأن كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله».

يستخدم بولس الرسول فى هذه الآية الفعل المُضارع المُستمر، فنستطيع أن نترجمها هكذا: «**لأن كل الذين ينقادون بروح الله باستمرار فأولئك هم أبناء الله**» من هم أبناء الله؟ أبناء الله هم الذين ينقادون باستمرار بالروح القدس، وبكلمات أخرى، فأنا أحيا كابنٍ لله حين أبدأ بالانقياد بانتظام بروحه.

أنت أيضاً تحتاج أن تنقاد، ليس بالقوانين أو المبادىء أو التقنيات أو الإجراءات مهما كانت، لكن بروح الله، وأنا لا أقول إن هذه الأشياء خاطئة، ولكن الخطأ أن تتكل عليها اتكالاً كاملاً، فلا يوجد سوى شخص واحد تستطيع أن تعتمد عليه بشكل كامل وهو الروح القدس. إن اعتمدت عليه، سيقودك إلى القانون أو المبدأ أو الطريقة أو التقنية المناسبة، أمّا إذا اتكلنا على القوانين وحدها فلن نحصل سوى على ما تستطيع المصادر البشرية أن تقدّمه.

كمسيحيّين مؤمنين يجب علينا أن نقدّم للعالم أكثر من ذلك، فعلى سبيل المثال، قد يقوم أستاذ فى علم النفس بتحليل معين وفقاً لقوانينه التى يستخدمها، فيصيب أو يخطئ.

ولكن نحن مدعون لنفعل أكثر من هذا. فلدينا صديق رائع اسمه الروح القدس،و هو لديه موارد خارقة إلهيّة ويضعها تحت تصرفنا.

أرجوك لا تكن محللاً نفسياً هاوياً! المحلل النفسى المحترف قد يكون خطيراً، أمّا المحلل النفسى الهاوى فهو فى غاية الخطورة. حين يأتى إليك شخص من أجل المشورة فلا تذهب مُباشرة إلى قائمة أعراض الأمراض، بل اعتمد على الروح القدس. قد يقودك الروح إلى تلك القائمة، فليس بالضرورة أن تكون القائمة خاطئة، لكنك لا تستطيع الاعتماد عليها، فقط يمكنك الاعتماد على الروح القدس وحده.

من وسائل المشورة التى يستخدمها بعض الناس أن يرجعوا الشخص من الحاضر إلى أيّام الطفولة، ثم إلى الطفولة المُبكرة، وربما إلى الرحم! لكن الرب يسوع حين قابل المرأة السامريّة على البئر، لم يرجعها إلى أيّام الطفولة والطفولة المُبكرة، بل كانت لديه كلمة علم من الروح القدس: « **... كان لك خمسة أزواج، والذى لك الآن ليس هو زوجك**» (يوحنا ٤ : ١٨). لم يحتاج الرب يسوع أن يقول أكثر من ذلك، وهذه المعرفة الثاقبة كشفت كل قلبها وحياتها فوراً.

كانت زوجتى الأولى ليديا، وهى الآن عند الرب، سيدةً فريدةً جدّاً بجميع المقاييس. كانت ليديا من الدنمارك وهى بالحقيقة مُقاتلة قويّة. وكنا قد عزمنا على شراء بيت، فأتت إلينا سمسارتان صلبتان جداً ليدلاننا على أحد البيوت لنشتريها، حيث قرر أصحاب ذلك البيت أن يبيعوه.

وبينما هما جالستان على الأريكة جنباً إلى جنب، نظرت زوجتى ليديا إلى إحداهما وقالت لها فجأةً: «أعتقد أن رجليك غير مُتساويتين فى الطول، فهل تريدين أن يصلى زوجى من أجلك؟»

كيف يمكن لتلك السّيدة أن تقول لا ؟. ركعتُ على ركبتى بالقرب من تلك السمسارة، واكتشفت أن رجليها بالفعل غير مُتساويتين فى الطول، فصليت من أجلها، وأمام عينى، نمت رجلها الأقصر لتساوى الرجل الثانية فى الطول، وكانت هذه السّيدة مصدومة مما تراه!

انتقلت بسرعة إلى المرأة الأخرى وقلت: «هل تسمحين لى بأن أفحص رجليك؟»

لقد نمتا أيضاً.

ثم سألت «ماذا عن ذراعيك؟»

فقالت «لا، لا هذا يكفى!»

ولكن من ذلك الوقت فصاعداً أصبحت هاتان السّيدتان امرأتين مختلفتين تماماً. صارت السمسارتان الصلبتان امرأتين طبيعيتين لديهما مشاكل طبيعية، أرادتا مشاركتها مع ليديا ومعى، وقد باعونا بيتاً جيداً!

فمن الّذى صنع الفرق؟ إنه الروح القدس.

سيقودك الروح القدس حتى تنال الوعود التى فى ذبيحة المسيح الكفّاريّة، فهو يحمل مفتاح مخزن عطايا وهبات الله، وسيكون الروح القدس هو المرشد الشخصى لك.

الفصل الثامن عشر

امتلاك ميراثنا

رأينا فى الفصول السابقة أن الله قد أتاح لنا خلاصاً كاملاً وتامّاً من خلال ذبيحة الرب يسوع على الصليب. إنه عمل الصليب «التام من جميع الجوانب والتام فى جميع الأوجه»، وأتاح لنا الله أيضاً مرشداً إلهيّاً ليقودنا إلى ميراثنا هو الروح القدس.

وكنموذج عن كيفية قيادة الله شعبه لميراثهم، فقد بحثنا فى حياة يشوع وبنى إسرائيل، وتأملنا بصورة خاصّة فى (يشوع ١ : ٢) حيث يتحدث الله عن أرض الموعد فيقول: «**الأرض التى أنا معطيها لهم**» ثم يقول فى (الآية ٣): «**...لكم أعطيته**» ومن خلال هذه الآية فقد أصبحت الأرض تخص بنى إسرائيل قانونياً وشرعياً، وذلك رغم أنهم لم يكونوا قد دخلوها بعد، وما لهم شرعياً كان يجب أن يصبح ملكهم اختبارياً.

وهذا صحيح بالنسبة لنا أيضاً فيما يتعلّق بذبيحة الرب يسوع على الصليب، فقد عمل الرب يسوع كل شيء، وأتاح لنا الخلاص الكامل، والتّام والشامل. لكن علينا نحن أن ننتقل من الشيء الذى لنا شرعاً إلى الاختبار. يجب أن يصبح الصليب حقيقيّاً فى حياتنا، وعلينا أن نعيش على أرض الواقع كل ما أعدّه الرب يسوع لنا، وهذا لا يحدث فى اختبار واحد، ولكن عبر سلسلة من الاختبارات المستمرّة فى حياتنا اليومية.

بحثنا كذلك عبر دراستنا فى المعانى المختلفة لكلمة «خلاص» فى العهد الجديد، ورأينا أن هذه الكلمة تشمل طرق عديدة يتعامل بها الرب يسوع فى حياتنا، فخلاص الرب يسوع لا يقتصر على غفران الخطايا فحسب، لكنه يشمل أيضاً الشفاء الجسدى، والتحرر من الأرواح

الشريرة، وحتى إقامة شخص من الموت. كل هذا وأكثر تشمله كلمة واحدة وهى «**خلاص**».

هذا كله مُتاح لنا، وقد أصبح بالفعل لنا شرعاً بالإيمان فى المسيح، ولكن كما فى حالة يشوع وبنى إسرائيل، علينا أن ننتقل مما هو شرعى إلى الاختبار العملى، والنموذج الكتابى الأساسى الذى يعلّمنا كيف نفعل هذا قد تم توضيحه فى يوم الخمسين كما هو مسجل فى (أعمال ٢ : ٣٨ــ٣٩).

بعد أن تحدث بطرس الرسول للجموع الغفيرة معلناً لهم حياة وموت وقيامة الرب يسوع، صرخوا وقالوا: «**ماذا نصنع أيها الرجال الأخوة؟**» فأجاب بطرس الرسول ناطقاً باسم الله والكنيسة، ووضع ثلاثة مُتطلبات متتالية: **توبوا، اعتمدوا، اقبلوا الروح القدس**. من خلال هذه الخطوات الكتابية الثلاث نستطيع الدخول إلى الخلاص الكامل الذى أعدّه المسيح لنا، وسنتحدث بشكل مختصر عن كل مطلّب منها.

١ـ توبـــــوا:

حتى نفهم معنى التّوبة بشكل كامل، نحتاج أن نفحص معنى الكلمة «توبة» فى كل من اللغتين اليونانية (لغة العهد الجديد)، والعبريّة (لغة العهد القديم). الفعل اليونانى للتّوبة هو «metanoo» ويعنى «تغيير الفكر» وهذا يتضمن «اتخاذ قرار»، أمّا فى العبريّة فالكلمة هى من الفعل «شوب»• أى «رجع» أو «غيّر اتجاهه» وهذا يتضمن القيام بفعل معين. حين نجمع معنى الكلمتين، نصل إلى الصورة الكاملة لمعنى التّوبة. إنها قرار يتبعه فعل، أوّلاً أنا اتّخذ قراراً ثم أُتبع هذا القرار بالفعل المُناسب.

من الأمثلة الحية للتوبة قصة الابن الضّال فى (لوقا ١٥ : ١١ــ٣٢). فأوّل ما عمله ذلك الشاب أنه اتّخذ قراراً: «**أقومُ وأذهبُ إلى أبى**» (الآية ١٨)، ثم قام بالفعل المناسب حيث رجع إلى بيته سالكاً الطريق الذى ارتحل منه سابقاً.

• «شوب» العبرية قريبة من العربية «تاب» التى تعنى أيضاً «رجع» أو «عاد».

التوّبة مثل الالتفاف فى السّيارة للاتجاه المعاكس تماماً (U-Turn)، فحين تسافر فى اتجاه خاطئ، تتوقف، وتتخذ بالسّيارة دورة ١٨٠ درجة، وتكمل رحلتك سالكاً الاتجاه المعاكس، والتّوبة على نفس السياق، لا تكون كاملة حتى تتحرك فى الاتجاه الجديد.

قد أعلن الله عن ضرورة التّوبة أوّلاً من خلال يوحنّا المعمدان فى (متّى ٣ : ٢): «**توبوا لأنّه قد اقترب ملكوت السّموات**» ثم كرر الرب يسوع نفسه هذه الدّعوة فى (مرقس ١ : ١٥): «**قد كَمُل الزمان واقترب ملكوت الله، فتوبوا وآمنوا بالإنجيل**».

للأسف فكثير من الوعّاظ فى هذه الأيام يهملون بشكل كبير خطوة التّوبة، وهى الخطوة الأولى التى تحتاج أن تأخذها.

كنت مُشاركاً قبل عدّة سنوات فى لقاء كبير فى جنوب شرق آسيا، وكانت غالبية الحضور من خلفيات صينية، وقليلون من بين الحضور كان لديهم معرفة بالكتاب المقدّس. قدّم الواعظ حينها تعليماً جيّداً عن كيفية نوال الشفاء من خلال كلمة الله، لكنه لم يذكر أبداً كلمة (توبة)، ثم قال حين انهى عظته: «إن كنت تريد الشفاء، فتقدّم إلى الأمام وابدأ بالصلاة».

وجدت نفسى حينها أمام حشود غفيرة من الناس تجمعوا فى الأمام يريدون الصلاة. كانت خلفيات هؤلاء تتنوع بين عبادة الأسلاف، وممارسة السّحر، والتنجيم، وعبادة الأوثان، فأرادوا إضافة الرب يسوع إلى كل هذا! لكن الرب يسوع لن يوافق أبداً أن نضيفه إلى مجموعة أشياء أخرى فى حياتنا، فإمّا أن يكون هو الأساس الوحيد والفريد لكل معتقداتنا أو لا يكون شيئاً فى حياتنا.

كان ينبغى على الواعظ أن يقول: «تحوّلوا عن السّحر والتنجيم وعن طرقكم الشريرة، اتركوا عبادة الأسلاف وكل الممارسات الوثنية التى عشتم فيها قبلاً. توقفوا عن كل هذا، وارجعوا إلى الرب يسوع» ولكن للأسف لم تكن التّوبة جزءاً من الرسالة فى ذلك اليوم.

كانت نتيجة ذلك اللقاء مربكة أكثر منها مُؤِّثرة، فلم يخلص سوى القليل القليل من الناس ـ إن وجدوا ـ لأنهم لم يتخذوا الخطوة الأولى الضرورية للخلاص وهى التّوبة.

تذيع كثير من الكنائس اليوم رسالة مثل هذه: «إن كنت تريد أن تتخلّص من مشاكلك، فقط اقبل الرب يسوع!» لكن الحقيقة أن قبول الرب يسوع لا يحل كل مشاكلك، بل قد تواجه فى حياتك مشاكل جديدة حين تقبل الرب يسوع.

إن المطلّب الأوّل الذى لا يتغير من أجل الخلاص هو التّوبة. لا يتحدث العهد الجديد ابداً عن الإيمان بدون توبة تؤدى إلى الخلاص، ودائماً يضع الكتاب المقدس التّوبة قبل الإيمان. يتحدث المسيح المُقام لتلاميذه فى (لوقا ٢٤: ٤٦ـ٤٧) عن أنه كان ينبغى أن يموت، فيقول:

«كان ينبغى أن المسيح يتألم ويقوم من الأموات فى اليوم الثالث، وأن يكرز باسمه بالتوبة ومغفرة الخطايا لجميع الأمم» ... ماذا كانت الرسالة التى أمر الرب يسوع تلاميذه أن يكرزوا بها؟ لم تكن الرسالة تشمل فقط مغفرة الخطايا، بل تشمل التّوبة أوّلاً وبعدها مغفرة الخطايا.

يصف بولس الرسول فى (أعمال ٢٠: ٢٠ـ٢١) خدمته فى أفسس فيقول:

«لم أؤخّر شيئاً من الفوائد إلا وأخبرتكم وعلمتكم به جهراً وفى كل بيت شاهداً لليهود واليونانيين بالتوبة إلى الله والإيمان الذى بربنا الرب يسوع المسيح».

يوجز بولس الرسول فى هذه العبارة الرسالة التى كان يعلنها للجميع، لليهود واليونانيين فى السر أو فى العلن: **«...التوبة إلى الله والإيمان الذى بربنا الرب يسوع المسيح».**

فى نهاية العهد الجديد، فى (الأصحاحات ٢ـ٣ من الرؤيا)، يسجل الرسول يوحنّا رسالة الرب يسوع المسيح للكنائس السبع فى مقاطعة أسيّا، ولخمس من هذه الكنائس، كان المطلب الأوّل الذى يطلبه هو التّوبة، وأنا متأكد أن نسبة الكنائس التى تحتاج إلى تّوبة اليوم ليست أقل من ذلك.

خلال السنوات الماضية مارست خدمة المشورة لكثير من الناس الذين كانوا يأتون بأنواع مختلفة من المشاكل، وبإعادة التفكير فى المشاكل، التى كنت أسمعها، توصلت إلى النتيجة التالية: أنه فى أغلب الحالات كان أصل المشاكل واحداً وهو عدم التّوبة، فلو قبل هؤلاء وخضعوا لرسالة التّوبة، لما احتاجوا ـ فى أغلب الحالات ـ إلى مشورة ولتغلبوا على مشاكلهم.

إن الخطيّة الأساسية التى سببت حالة العبوديِّة لدى البشر هى التمرد ضد الله.

فى نهاية الحرب العالمية الثانية اتصلت دول الحلفاء مع دول المحور وأبلغوهم بشرطهم الذى على أساسه يوافقون على إقامة السلام معهم. كان الشرط هو الاستسلام غير المشروط، واضافوا أنّهم لن يقيموا سلاماً على أى أساس آخر. الله يعرض نفس الشرط. فالله لن يقيم معنا السّلام إذا لم نستسلم له استسلاماً غير مشروط. لا مجادلات، لا متطلبات، لا أعذار، لا تحفّظات. ينبغى أن تكون استجابتنا الواضحة: «ها أنا يا رب، أنا أخضع! فأخبرنى ماذا أفعل».

التّوبة الحقيقة هى أن تتحول عن الخطيّة، وتُخضع نفسك لله، مستسلماً لقيادة الرب يسوع لك، وبالرجوع لنصوص الكتاب المقدّس، نرى أن التّوبة هى المطلّب الأساسى الغير قابل للنقاش لنوال الخلاص.

٢ـ اعتمـــــــدوا :

كلمة «يعتمد» فى أصلها اليونانى مُشتقّة من كلمة معناها «يغطِّس» أو «يغمر» تحت سطح الماء أو تحت سائل آخر. كان اليهود على أيّام الرب يسوع، وضمن بعض طقوسهم الدّينيّة، يمّارسون شكلاً من أشكال المعموديّة. كما كان للمعموديّة دور مركزى فى خدمة يوحنّا المعمدان، فحين كان الناس يستجيبون لدعوته لهم بالتّوبة، كان يطلب منهم أن يعتمدوا فى نهر الأردن، وكانت معموديّة يوحنّا المعمدان هى اعتراف علنى بأن الشخص الذى تعمّد قد تاب عن خطاياه، ولم تكن تزيد فى معناها عن هذا.

خضع يسوع نفسه لمعموديّة يوحنّا قبل أن يبدأ خدمته، ولكن لم تكن معموديّة الرب يسوع إعلاناً أو اعترافاً بخطيّة، لأن الرب يسوع لم يرتكب أيّة خطيّة. يوضِّح الرب يسوع وفى (متّى ٣ : ١٥) لماذا أعتمد: «**لأنه هكذا يليق بنا أن نكمِّل كل برٍّ**» وبخضوع الرب يسوع لمعموديّة يوحنّا فقد أتمَّ أو أكمل الجانب الخارجى للبر الداخلى الذى يمتلكه من الأزل، وكانت هذه المعموديّة هى المدخل لخدمة الرب يسوع العلنية.

كانت خدمة يوحنّا المعمدان خدمة انتقالية، فقد ختمت خدمة العهد القديم وفتحت الطريق لخدمة الرب يسوع والإنجيل. وحالما أتمَّ الرب يسوع خدمته الأرضيّة، ودفع ثمن خطايانا، لم تعد لمعموديّة يوحنّا أهميّة أو فعاليّة. تسجِّل لنا (أعمال ١٩ : ١ـ٥) كيف واجه بولس مجموعة من تلاميّذ يوحنّا المعمدان وشرح لهم فى أفسس رسالة الإنجيل الكاملة، ومحورها موت وقيامة الرب يسوع، وبعد أن سمع هؤلاء التلاميّذ الرسالة اعتمّدوا بالمعموديّة المسيحيّة باسم الرب يسوع.

الملامح المميزة للمعموديّة المسيحيّة تتلخص فى أن الشخص المتعمِّد يختبر موت ودفن وقيامة الرب يسوع، و ذلك فى عمل علنى. يذكر بولس الرسول فى رسالته لأهل كولوسى هذا الأمر: « **... مدفونين معه فى المعموديّة التى فيها أقمتم أيضاً معه بإيمان عمل الله الذى أقامه من الأموات**» (كولوسى ٢ : ١٢)، فلتتميم قصد الله من بشارة الإنجيل، يطلب الله من كل الذين يعلنون خلاصهم بالإيمان فى الذبيحة الكفّاريّة

للرب يسوع المسيح أن يقدّموا شهادة علنية أمام الشعب عن هذا الخلاص، وذلك بأن يعتمدوا.

فى المجتمعات غير المسيحيّة حول العالم، كالمجتمعات الهندوسية و غيرها، يكون إجراء المعموديّة المسيحية علامة قاطعة على أن الشخص المعتمد صار من تلاميذ الرب يسوع، وتثير هذه الممارسة لدى غير المؤمنين ردود أفعال قويّة.

حين بعث الرب يسوع رسله الأوائل كما جاء فى (مرقس ١٦ : ١٥ـ١٦) ليبشروا بالإنجيل، أوصاهم فقال:

«اذهبوا إلى العالم أجمع، واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها. من آمن واعتمد خلص، ومن لم يؤمن يُدن».

ليست المعموديّة المسيحيّة ملحقاً إضافياً غير ضرورى لعمليّة الخلاص، ولكنها تتميم لهذه العمليّة، فالرب يسوع لم يَعِدْ بالخلاص لهؤلاء الذين آمنوا ولم يعتمدوا، ولا يسجِّل العهد الجديد أيّة حالة لشخص أعلن خلاصه بالإيمان بالرب يسوع المسيح دون أن يعتمد.

الشىء الأخير الذى تشير إليه المعمودية المسيحيّة، وبأكثر تأكيد، ليس الموت أو الدّفن، بل القيامة التى تفتح الباب لأسلوب ونوع جديد تماماً من الحياة، ويلخّص بولس الرسول هذا الأمر فى (كولوسى ٣ : ١ـ٤):

«فإن كنتم قد قمتم مع المسيح فاطلبوا ما فوق حيث المسيح جالس عن يمين الله. اهتمّوا بما فوق لا بما على الأرض. لأنكم قد متم وحياتكم مستترة مع المسيح فى الله. متى أُظهِر المسيح حياتنا فحينئذ تُظهرُون أنتم أيضاً معه فى المجد».

٣- اقبلوا الروح القدس :

هذه هى الخطوة الثالثة والحاسمة فى مسيرنا لإمتلاك ميراثنا فى المسيح، وحتى نفهم ما تتضمنه هذه الخطوة بوضوح، فنحن نحتاج أن ندرك أن العهد الجديد يتحدث عن طريقتين مختلفتين لقبول الروح القدس.

يسجل لنا (يوحنّا ٢٠ : ٢١ـ٢٢) ظهور الرب يسوع الأوّل لتلاميّذه بعد القيامة، وما قاله لهم:

«سلامٌ لكم. كما أرسلنى الآبُ أرسلكم أنا. ولمّا قال هذا نَفَخَ وقال لهم: اقبلوا الروح القدس» ...

وبكلمات أكثر حرفية نستطيع ترجمة الآية (٢٢) هكذا: «**ولمّا قال هذا نفخ فيهم وقال لهم: اقبلوا النفخة المقدّسة**. فالعمل الذى أجراه الرب يسوع كان يتلاءم مع الكلمات التى قالها، وفى تلك اللحظة، قبل التلاميذ الروح القدس من الرب يسوع كنفخةٍ إلهيّه. ما حصل لهم حقيقةً فى ذلك الوقت أنهم وُلدوا ولادة ثانية من الروح القدس. فقد قبلوا حياة القيامة الإلهيّة؛ تلك الحياة التى انتصرت على الشيطان، وعلى الخطيّة والموت والقبر.

على ضوء هذا الكلام يقول يوحنّا فى (١يوحنّا ٥ : ٤): «**لأن كل من ولد من الله يغلب العالم**» . لا توجد أيّة قوّة فى العالم تستطيع أن تغلب الحياة الإلهيّة الأبدية التى يقبلها من الله كل مؤمن فى المسيح، فهم قد ولِدوا ثانية من الروح القدس.

لكن هناك المزيد مما يجب للتلاميّذ أن يقبلوه من الروح القدس، ففى اليوم الأربعين من قيامة الرب يسوع، وبالتحديد فى يوم صعوده إلى السماء، نقرأ ما يلى:
«**وفيما هُو مُجتمعٌ معهم أوصاهُم أن لا يبرحوا من أُورشليم بل ينتظروا موعد الآب الذى سمعتموه منى: لأن يوحنّا عمَّد بالماء وأمّا أنتم فستتعمّدون بالروح القدس** (أو فى الروح القدس) **ليس بعد هذه الأيام بكثير**» (أعمال ١ : ٤ـ٥).

من الواضح أن المعموديّة فى الروح القدس هى شىء لم يكن قد حدث للتلاميّذ بعد، حتى بعد الذى اختبروه فى أحد القيامة حين نفخ فيهم الرب يسوع.

وإتمام وعد الرب يسوع هذا مُسجل فى (أعمال ٢ : ١ـ٤):

«ولمّا حضر يوم الخمسين، كان الجميع معاً بنفس واحدة. وصار بغتة من السماء صوت كما من هبوب ريحٍ عاصفةٍ وملأ كل البيت حيث كانوا جالسين. وظهرت لهم ألسنة منقسمة كأنها من نار، واستقرت على كل واحد منهم. وأمتلأ الجميع من الروح القدس وابتدأوا يتكلّمون بألسنة أخرى كما أعطاهم الروح أن ينطقوا».

تظهر فى الآيات السابقة ثلاث مراحل متتالية فى اختبار يوم الخمسين: أوّلاً، كانت هناك معموديّة،أى غمر؛ إذ غُمِر الجميع فى الروح القدس الذى حل عليهم من فوق، ويمكن تشبيه ما حدث بالوقوف تحت شلالات نياجارا! الشىء الثانى الذى حدث هو الملء، فقد امتلأ كل واحد منهم بشكل فردى بالروح القدس، وثالثاً الفيض، فقد فاض الروح القدس الذى بداخلهم بواسطتهم من خلال النطق بكلام فوق طبيعى، إذ بدأوا يمجدون الله بلغات لم يتعلموها قبلاً ولا كانوا يفهمونها.

إن اختبار التلاميّذ فى يوم الخمسين يوضِّح المبدأ الذى قاله الرب يسوع فى (متّى ١٢ : ٣٤): «**من فضلة القلب يتكلّم اللسان**» وبكلمات أخرى، عندما يمتلىء القلب، فهو يفيض من خلال اللسان بالكلام.

كان اختبار الروح القدس هذا هو الأداة فوق الطبيعية الثانية لجعل التلاميّذ فعّالين كشهود للرب يسوع، فقد كان عليهم أن يشهدوا عن حدث فوق طبيعى وهو قيامة وصعود الرب يسوع، والشهادة لحدث غير طبيعى كهذا، تحتاج لقوّة فوق طبيعيّة. لقد ظهرت هذه القوّة فى يوم الخمسين، وبقى عملها مستمرّاً طوال سجلات سفر أعمال الرسل، بل لم

تُسحب هذه القوّة أبداً من الكنيسة، ومازالت مُتاحة حتى هذا اليوم. يبيّن بولس الرسول بكل وضوح فى (١ كورنثوس ١ : ٤ـ٨) أن المواهب وإظهارات الروح القدس فوق الطبيعيّة ستستمر فى العمل فى الكنيسة حتى نهاية هذا الدهر:

«أشكر إلهى فى كلِّ حين من جهتكم على نعمة الله المعطاة لكم فى الرب يسوع المسيح، إنكم فى كلِ شىءٍ استغنيتم فيه فى كل كلمةٍ وكل علمٍ، كما ثبتت فيكم شهادة المسيح حتى إنكم لستم ناقصين فى موهبةٍ ما، وأنتُم متوقّعون استعلان ربّنا الرب يسوع المسيحِ الذى سيثبتكم أيضاً إلى النهاية بلا لومٍ فى يوم ربّنا الرب يسوع المسيح» .

نستطيع توضيح عمل الروح القدس الموصوف أعلاه بمقارنة يومين مهمّين فى تاريخ الكنيسة:

أحد القيامة	أحد الخمسين
المسيح المُقام من الموت	المسيح الصاعد إلى السماء.
نفخة الروح القدس	انسكاب الروح القدس.
النتيجة: حياة القيامة	النتيجة: قوّة الشهادة.

لهؤلاء الذين نالوا اختبار أحد القيامة، ويشعرون بإحتياجهم لاختبار يوم الخمسين، لدى الرب يسوع وعد لكم فى (يوحنّا ٧: ٣٧ـ٣٩):

«وفى اليوم الأخير العظيم من العيد وقف الرب يسوع ونادى قائلاً: إنْ عطش أحد فليقبل إلىَّ ويشرب. من آمن بى كما قال الكتاب تجرى من بطنه أنهار ماء حى. قال هذا عن الرّوح الذى كان المؤمنُون به مُزمعين أن يقبلوه. لأن الروح القدس لم يكن قد أعطى بعد. لأن الرب يسوع لم يكن قد مُجِّد بعدُ» .

هناك ثلاثة متطلبات بسيطة لكى تتعمد فى الروح القدس: **أن تعطش، وأن تأتى إلى الرب يسوع، وأن تشرب حتى تنال الفيض.**

نموذج العهد القديم:

كل هذه الأمور قد سبق التدليل عليها بقوّة فى العهد القديم، وذلك فى قصّة تحرير بنى إسرائيل من مصر. يصف بولس الرسول هذا فى (١كورنثوس ١٠: ١ـ٢):

«**فإنى لست أريد أيها الأخوة أن تجهلوا أن آباءَنا جميعهم كانوا تحت السَّحابة، وجميعهم اجتازوا فى البحر وجميعهم اعتمدوا لموسى فى السَّحابة وفى البحر**».

فى البداية حين كان بنو إسرائيل فى مصر، خَلصوا من قضاء الله من خلال دم حَمَلِ الفصح، ونفهم من خلال جميع النصوص الكتابيّة أن هذا الحَمَلَ يمثّل الرب يسوع؛ حَمَلَ الله الذى بدمة المسفوك على الصليب يخلّص الخطاة التائبين من دينونة الله على خطاياهم.

بعد هذا، خلص بنو إسرائيل من مصر من خلال ما يصفه بولس الرسول بمعموديّة ثنائية: معموديّة فى السحاب الآتى من فوق وهى تمثّل المعمودية فى الروح القدس، والمعموديّة الثانية هى عبور بنى إسرائيل فى البحر الأحمر الذى انشق بقوّة فوق طبيعيّة أمامهم، وهذه تمثل معموديّة التغطيس فى الماء. هذه المعموديّة الثنائية فصلت بنى إسرائيل عن مصر بكل فعالية وبشكل نهائى، ومصر فى هذه الحالة تمثّل هذا العالم فى حالته الساقطة.

يصف لنا الكتاب المقدس فى (خروج ١٤: ١٩ـ٢٠) معموديّة السحاب:

«**فانتقل ملاك الله السَّائر أمام عسكر إسرائيل وسار وراءهم. وانتقل**

عمود السَّحاب من أمامهم ووقف وراءهم. فدخل بين عسكر المصريّن وعسكر إسرائيل وصار السَّحاب والظَّلام وأضاء اللَّيل. فلم يقترب هذا إلى ذاك كلَّ اللَّيل».

لقد نزل الرب نفسه فى هذه السحابة فوق الطبيعيّة وحامى عن شعبه. كان للسحابة تأثيراً ثنائياً، فمن جهة المصريّين كانت معتمة ومخيفة، وأمّا من جهة بنى إسرائيل فقد كانت تضىء لهم الليل وتعطى نوراً، ومنعت المصريّين طوال الليل من الاقتراب إلى بنى إسرائيل.

لقد حل ملاك الرب فى السحابة ليحامى عن شعبه. وهذا يمثِّل ما أعلنه الرب يسوع لتلاميّذه من أن إقامته معهم ستكون دائمة وذلك من خلال الروح القدس، فهذه السحابة تشير بقوّة إلى ذلك الوعد الذى أعطاه الرب يسوع فى (يوحنّا ١٤ : ١٦ـ١٨):

«أطلب من الآب فيعطيكم مُعزَّياً آخر ليمكث معكم إلى الأبد. روح الحق الذى لا يستطيع العالم أن يقبله لأنه لا يراه ولا يعرفه. وأمّا أنتم فتعرفونه لأنه ماكثٌ معكم ويكون فيكم. لا أترككم يتامى. إنّى آتى إليكم. بعد قليل لا يرانى العالم أيضاً، وأمّا أنتم فترونني. إنّى أنا حىٌّ فأنتُم ستحيون».

نرى فى قصّة خروج بنى إسرائيل من مصر أن ملاك الرب كان فى عمود السحاب الذى فصل معسكر بنى إسرائيل عن المصريّن، وبطريقه مماثلة فالرّب الرب يسوع المسيح يقود شعبه ويقيم معهم إقامة دائمة، وذلك من خلال الروح القدس، وهكذا فهو يؤمِّن لهم الحماية والرّاحة فى أوقات الضغوط.

من خلال هذه المعموديّة الثنائية، بدأ شعب الله رحلة العمر التى ستنقلهم إلى الميراث الذى أعدّه الله لهم، ويوماً بعد يوم كان الشعب ينقادون من خلال نفس السحابة التى

نزلت عليهم من فوق على شاطىء البحر الأحمر، فكانت السحابة أثناء النهار تظلل عليهم من حرارة الشمس، وفى الليل كانت تؤمن لهم الضوء وسط الظلام. يا لروعة الروح القدس فهو لنا المرشد والمعزّى!

جميع بنى إسرائيل فى هذه الرحلة «**أكلوا طعاماً واحداً روحيّاً، وجميعهم شربوا شراباً واحداً روحيّاً**» (١كورنثوس ١٠ : ٣ـ٤)، والطعام الذى أكله بنو إسرائيل هو المن الذى كان ينزل من فوق مع النّدى فى وقت الصباح. بنفس الطريقة وصف الرب يسوع فى (متّى ٤ : ٤) الطعام الرّوحى الذى أعدّه الله لشعبه فى جيلنا الحاضر: «**ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان، بل بكل كلمة تخرج من فم الله**» فاليوم نحن كمؤمنين كمسيحيّن قوّة وصحة روحيّة تأتينا من التّغذى اليومى المنتظم من كلمة الله فى الكتاب المقدّس.

كذلك يقول الرب يسوع أيضاً فى (يوحنّا ٧ : ٣٧ـ٣٩):

«**وفى اليوم الأخير العظيم من العيد وقف الرب يسوع ونادى قائلاً: إنْ عطش أحد فليقبل إلىَّ ويشرب. من آمن بى كما قال الكتاب تجرى من بطنه أنهار ماء حى. قال هذا عن الرّوح الذى كان المؤمنُون به مُزمعين أن يقبلوه. لأن الروح القدس لم يكن قد أعطى بعد. لأن الرب يسوع لم يكن قد مُجِّد بعدُ**».

إن كل مسيحى مولود ولادة ثانية، ويسكن فيه الروح القدس لديه فى داخله ينبوع لا ينضب من الماء الحى.

فصحتنا و رفاهيتنا الرّوحيّة فى رحلة الحياة هذه تعتمد على تغذيتنا اليومية من كلمة الله فى الكتاب المقدّس، وشربنا اليومى من ينبوع الروح القدس الذى فينا. من تجربتى الشخصيّة

كإنسان مسيحى مؤمن، فقد تعلمت أن هذا يأتى من خلال الشركة الشخصيّة اليوميّة مع الرّب، والتغذية بكلمته والاستجابة له بالصلاة والعبادة بقوّة وحث الروح القدس فى قلوبنا، فقد أصبح واضحاً بالنسبة لى أن المن الذى كان الله يقدّمه الله لبنى إسرائيل فى رحلتهم فى البريّة كان يجب أن يجمع مبكراً فى الصباح، وإلا فحين تشرق الشمس فستذيب حرارتها ذلك المن . من الضرورى أن نتغذّى بكلمة الله مبكرين فى الصّباح قبل أن تعمل حرارة العالم من هموم ومسؤوليات على إذابة المن .

كانت السحابة منذ وصولهم إلى البحر الأحمر، وطوال الرحلة فى البريّة، هى من أرشدت بنى إسرائيل. وهذا يوضح بقوّة ما كان يعنيه بولس الرسول فى (رومية ٨: ١٤):

«لأن كلَّ الذين ينقادون بروحِ الله فأولئك هم أبناء الله».

كان هدفى من هذا الكتاب أن أجهزّك واعدّك للرّحلة التى تمتد أمامك. وقد حان الوقت الآن لننهى دراستنا معاً ونفترق، وصلاتى لك من أعماق قلبى أن يكون لك رحلة ملؤها الانتصار والنجاح، حتى نتقابل معاً يوماً ما، وجهاً لوجه فى وطننا السماوى.